

رواية

# آلة الموتى

دينا هيكل



# آلة الموتى

هيكّل، دينا  
**آلة الموتى** : رواية / دينا هيكل  
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.  
200 صفحة، 20 سم.  
تدمك : 2-276-820-977-978  
-أ القصص العربية.  
ب- العنوان : 813  
رقم الإيداع : 34505 / 2025  
الطبعة الأولى : يناير 2025.  
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

-  
كيان للنشر والتوزيع  
إشراف عام:  
محمد جميل صبري  
نيفين التهامي

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.  
© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون  
إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

آلة الموتى

رواية

دينا هيكل



إلى آدم  
بطل كل حكاياتي



## هنا المستقبل

لم يساعد ظلام الليل والمطر المنهمر، على الرؤية الواضحة في هذا الشارع، حتى مع وجود ضوء الكشافات المسلط على المكان. وُضعت مظلة ضخمة فوق البقعة التي توجد بها الجثة لحمايتها. ليس معلوماً كم محاط المطر من الأدلة. لكن هذا لا يُهم، سيأتون في أي لحظة، وهم لا يهتمون كثيراً بهذه الأشياء. البصمات والحمض النووي وآثار المقاومة ليست أولوية لهم. يهتمون فقط بالشاهد. والشاهد الأول والأخير: الضحية.

قال الشرطي الشاب للمحقق الذي وقف أمامه يفحص المكان حول الجثة: «إنهم في الطريق.»

لم يكن المحقق مسروراً بما سمعه، وتنهّد في ضيق. لكنه إجراءً مُضطر له في مثل هذه الحالات.

سأل الشرطي في فضول: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً، لم تكرههم لهذا الحد؟»

أجابته المحقق: «هم أوغاد غامضون، كل ما يهتمون به هو التمويل والصلاحيات التي تُقدّم لهم. لا مراعاة لحرمة الموتى أو لخصوصياتهم.»

قال الشرطي في دهشة من ردة فعل المحقق: «لكن هم لا يختلفون عن قسم الطب الشرعي أو التشريح.»

قال المحقق في استنكار: «هذا ما يقولونه.»

ولم يسأل الشرطي أكثر، فهذا جدال لا جدوى منه.

بعد قليل، وصلت السيارة الخاصة بالقسم؛ سيارة سوداء عريضة، نوافذها مظلمة، مثل سيارة إسعاف، ولكنها ليست مجهزة لنجدة الأحياء. ترجل منها أربعة أشخاص. ركض منهم اثنان يدفعان بفراشٍ نُقِل على عجلات، تجاه الجثة مباشرة، وخلفهم امرأة شابة تحمل حقيبة سوداء صغيرة، جلست بجانب الجثة ووضعت حقيبتها أمامها. أخرجت جهازاً منها. جهاز إلكتروني أسود رفيع، تُغطي شاشة أحد أوجهه. مرّته المرأة أعلى رأس الجثة، وفحصت الصورة التي ظهرت على الشاشة في تركيز. ثم أخرجت أنبوبةً رفيعةً بها سائل أزرق مشع، طرفها إبرة طويلة. أدخلت الإبرة في طرف عين الجثة اليسرى في حذر، وضغطت ليدخل السائل كله داخل الرأس. وقف حولها رجال الشرطة يُراقبون ما تفعله في فضول، والبعض في دهشة؛ هؤلاء لم يروا هذا من قبل. لكن هذا الإجراء المعتاد. في كل مرة، تتلقّى الجثة السائل الأزرق.

تقدّم منها المحقق، وقال مشيراً لأعلى: «سقط الضحية من شقته بالدور السادس، لكن لا يبدو من زاوية السقوط أنه قفز و...»

قالت المرأة مُقاطعةً وهي تفحص الجرح في رأس الجثة: «لا تبدو هذه الإصابة من السقوط.» غسل المطر الدماء من على وجه الشاب وكأنه نائم لولا الحفرة بجانب رأسه.

تعجّب المحقق من السؤال وأجابها: «لا، على حدّ علمنا.»

قالت المرأة بينما فحصت الشارع حولهم: «ربما سجّلت أي من كاميرات المحيطة ما وقع بين السقوط وبين لحظة وصول الشرطة. هل يُمكنك أن تتّلع عليها؟ وترسل لنا كل المعلومات الخاصة بالضحية.»

أوماً المحقق برأسه على مضض، وأشار إلى الشرطي الشاب باتباعه، الذي أسرع خلفه رغم فضوله.

اعتادت على مثل هذه المعاملة، حتى بعد كل هذه الأعوام من العمل بقسم تحقيقات جرائم القتل الخاص ومعدل غلق قضايا بنسبة نجاح تزيد عن ٥٩٪، ما زال هناك من يُشكك وينقد ويكره ما يفعلونه. لا تلومهم معظم الوقت، فالتناس

يخافون ما لا يفهمونه. وهناك القليل في هذا العالم من يفهم ما يفعلونه حقًا. فهي لا تلوم من يطلق عليهم جزارين مُثلين بالمتى أو حتى شياطين وسحرة. يزعمونها فقط. أشارت المرأة لمن معها وقالت: «لننقل الشاهد.»



## ١. متاهة

«اركض يا شرودنجر. اركض.»

ارتفعت الجدران حوله في لحظة. تحاوطه من كل مكان، لا يرى ما بعدها، ولا مخرج في مرمى بصره. ولكنه معتاد هذا المكان، معتاد هذه الجدران، ليست أول مرة، ولن تكون الأخيرة، على ما يعتقد. يعرف ما يجب فعله. يعرف هدفه، ويستطيع أن يشتم رائحته. انطلق تجاهها، يركض ويحاول التذكر. إلى اليمين أم اليسار؟ أنعطف هنا أم أعود؟ قراراته سريعة ودقيقة. ليست بعيدة الآن؛ تزداد الرائحة قوة. قريباً سيفوز بها، قريباً ستكون غايته بين محالبه. سيُرضي نهمه فور الوصول إليها، وسيمنحه أسرُه - الذي لا يعرف عن دوافعه شيئاً - حُرته. سيحمله ويُخرجه من هذه المتاهة الخائفة.

ها هي، تلمع كقطعة من السماء، كنجمة، كجوهرة. حجمها كافٍ لئيشبعه طوال ليله. يمسكها بين محالبه الصغيرة ويقضم ويرضى. فلا يوجد أشهى من قطعة الجبنة بالنسبة لفأر.

«رائع! أظننا مُستعدين.»

حمله كفأان بلطف إلى قفصه بعدما انتهى من وجبته. أغلق أسرُه ضوء الغرفة الساطع، واستمع للفأر لهمهمة الكهرباء الغريبة في الغرفة حتى غفا.

\*\*\*

لم يفهم أبداً فكرة الفواصل العالية، هذه الجدران الخائفة. المقصورة، مساحة العمل الخاصة بك، بيتك الثاني. فواصل تمنعك من رؤية من حولك، من التواصل. يزعمون أنها للخصوصية ولزيادة التركيز، لترتكب لعملك. فأنت لعملك وعملك لك. رفع نظره خارج حُجيرته الصغيرة، ولا يرى سوى عدة مقصورات مثلها ملتصقة ببعضها. كلٌّ منها تحتوي على مخلوق تعس مثله. من الأعلى كان المكان يُشبه متاهة بلا مخرج واضح. بالطبع باب المكتب على بُعد خطوات منه، كل ما عليه هو النهوض من مقصورته والخروج. لن يمنعه شيء، عدا: حاجته إلى المال والطعام والمأوى، ودفع حصته من مصروف البيت التي يكاد يقسم أنها أكثر من حصّة عمّه وعائلته الذين يتشاركون معه المنزل. وإن لم يدفع، سيطرده عمه فوراً. رغم أنه بيت جدّه وله فيه ميراث والده الفقيد - لولا هذه الورقة - فلا يقدر على مواجهة عمه الكبير وولديه الضخمين. وهم للأسف كل ما تبقى من عائلته. لم لم يمرض ويموت هو عوضاً عن والده الطيب؟ حتى يعيش في هذه المتاهة اللا نهائية. أنت لعملك... وعملك لمديرك. هذا أقرب للحقيقة والفئات الذي يتبرعون به له كل شهر، من المفترض أن يُعوضه مجهوده!

هذه الجدران في كل مكان، ولا مخرج في مرمى بصره. أطلق هاتفه صوت تنبيه برسالة جديدة. ولكنه معتاد هذا المكان. ثم أخرى، أمسك بهاتفه وحدّق في الاسم في دهشة. وليست أول مرة، ولن تكون الأخيرة.

\*\*\*

خرجت الفتاة من باب المكتب، ومسحت بيديها دموعها سريعاً، توجهت لمكتبها وكأن كل شيء تحت السيطرة. راقبها من خلف النافذة الزجاجية في مكتبه، مُحتبماً خلف الستارة. همس لنفسه: «ليس لورا أيضاً!» إذا ذهب لورا فلا أمل لأحد. وبعد دقائق، خرجت لورا من مكتبها حاملةً صندوقاً ممتلئاً بأشياءها. ثم اتجهت لباب الخروج وسط نظرات الشفقة من زملائها. فجأة، صارت جدران مكتبه - الذي كان يقفز فرحاً عندما حصل عليه - ضيقة، خانقة.

بعد قليل، وصله الاستدعاء لمكتب المهلاك الذي لم يخرج منه أحد من زملائه خلال الأيام السابقة إلا عائداً لمنزله دون رجعة.

\*\*\*

قال الرجل: «تعرف كم أنت مُهم بالنسبة لعملنا. وكم نُقدِّر مجهوداتك...»  
بدأ الصوت الصغير المرتعد في عقله يبتُّ الأفكار السلبية، ويقطع تركيزه عن حديث مديره.  
أكمل: «وأنت عضو هام في هذه المنظومة...»  
لا تفعل هذا يا مارك. ماذا سأفعل؟ سأعود إلى بلدي بالتأكيد. وكل أحلامي في جلب ندى هنا لتعيش معي، ستصير مضحكة.

«كما رأيت ولاحظت وضع الشركة الآن لا يسمح...»  
انتبه من الأمر. لا تتركني منتظراً. ربما ليس هذا أسوأ شيء. سأعود إلى أختي التي لم أرها منذ أكثر من عام.  
يقول مارك أخيراً: «ولكننا لا نقدِّر على التخلي عنك. رغم كل الظروف، أقنعت الشركاء بعدم التخلي عنك. كما وضّحت لك.»  
هذه مفاجأة. أجابه: شكرًا يا مارك.

ازدرد لعابه، وتنفس الصعداء وابتسم. ولكن ملامح مارك لا توحى بالارتياح. أعطاه مارك ورقة. أخذها وقرأ في صمتٍ بينما استمع لصوت نقرات قلم مارك على الطاولة، وشعر بعيونه مُعلقة عليه.  
هل هذا مقلب؟ تقريبًا ضعف العمل ونصف المميزات. قلّ راتبه الثلث. ظهر على مارك التوتر.  
«هذا...»

ابتسم مارك وقال: «كل ما نقدِّر على فعله من أجلك في الوضع الحالي.»  
يعرف أن ذلك العرض مُهين. لن يقبله أحد. ويعرف أيضًا كم هو يائس. يائس بالقدّر الكافي ليدخل تلك المتاهة. شعر بالجدران تضيق من حوله. ولا يخرج في مرمى بصره. ولكنه معتاد هذا المكان، هل يُجرب حظه في شيء آخر؟ مُستحيل. سيعتاد الوضع كما اعتاد سابقًا. لم يقدر على منع نفسه من تحريك رأسه لأعلى وأسفل، دليلًا على الموافقة.  
قال مارك في ارتياح: «أنا سعيد بقرارك وولائك يا يوسف. أراك بعد الإجازات.»  
عاد يوسف إلى مكتبه وحدّق في لا شيء. ثم أمسك بهاتفه، وفتح تطبيق الرسائل، توقّف عند اسم ندى، يفكر فيما سيقوله لها. ثم بدأت رسائل جديدة في الظهور.

**كيف حالك؟**

**أنا آدم.**

\*\*\*

يجب أن يرتّب كل شيء، يجهّز كل شيء. يجب أن يسير الأمر بسلاسة. لن يترك فرصة للحظ. كل هذا العمل، وكل هذه التضحيات من أجل أن تكون في أحسن حال، لن تضيع. مرّر يده على أسلاكها ومعدنّها البارد، ووقف لحظةً يستمع للطنين المميز الصادر منها.

«اقتربنا... سأعيد لك رفاقك القدامى.» قال قبل أن يفصل ذراع الكهرباء ليتوقّف الطنين. صعد السلم ثم أضاف قبل غلق الباب وإغلاق الأضواء: «أحلام سعيدة يا شرودنجر.»



## ٢. أصدقاء قدامى

لم تتغير ملامح البيت كثيرًا. عدا الحديقة التي تعاني بعض الإهمال وبعض التشققات في طلاء المنزل الخارجي. ولكن ها هي الشجرة نفسها التي اعتادوا المذاكرة تحتها أيام الكلية، أو التظاهر بها والعمل على أي نظرية تأتي في عقولهم. شاخت فروعها لحدّ ما، فقد مرّ ما يقرب من خمسة أعوام منذ آخر لقاء بها.

تحركت الذكرى في عقله دون إرادةٍ منه. رأى ثلاثتهم جالسين على العشب، يستندون إلى جذعها. وسمع حديثهم كلمحةً من الأمس. تداخلت أصواتهم مع بعضهم البعض، حتى لم يعد قادرًا على تذكّر من قال ماذا. لم يكن هذا هامًا في هذه الأوقات، فكانت أدمغتهم متزامنة، على خط واحد. «أكان صيفًا أم خريفًا؟»

«ماذا عن مُسجّل دائم للذكريات، حتى لا ينسى أحد شيئًا.»

«من يريد تذكّر كل شيء!»

«ربما أنت، أَلن يكون رائعًا أن تتذكّر ما تُذاكره.»

«هذا يتطلّب أن يُذاكر في البداية.»

«شاشة لعرض الأحلام، سيكون لدينا تطبيقات في مجالات كثيرة، الطب النفسي والترفيه. بعض الأحلام تكون أفضل من نصف ما نشاهده الآن.»

«هذا صعب تطبيقه.»

«وتسجيل الذكريات ممكن؟»

«ربما... لو كان أكثر تركيزًا. لذكرى مهمة...»

«الأخيرة.»

\*\*\*

عاد الحاضر سريعًا عندما قاطعه صوت نادى من خلفه: «يوسف!»

نظر تجاهه وابتسم: «زين!» قال في حماس وتعانقا. لم يتغيّر، حتى نظّارته، كاد يجزم أنها نفسها التي ارتداها دومًا.

سأل زين مبتسمًا: «متى عدت؟ لم أعرف أن آدم استدعاك أيضًا.»

قال يوسف: «نعم، لكنني كنتُ عائدًا في إجازة على أي حال.»

«لا أخفي عليك. تعجبت من رسائله، فقد مضى طويلًا منذ تحدثنا أو تقابلنا.»

«حقًا! لم؟ على الأقل أنتما في البلد نفسه. ظننت أنكما على اتصال.»

«لا، ليس حقًا...» تردد زين قليلًا وأكمل: «تعرف مشاغل الحياة.»

أومأ يوسف متفهمًا: «دعنا لا نتركه منتظرًا.»

وافقه زين، وتوجّها إلى الباب الأحمر الكبير وطرقه يوسف. صمّم منزل آدم على الطراز القديم، عواميده مزخرفة برسوماتٍ لمحارِبين ووحوش، وتزيّنه قباب صغيرة أعلاه، كانت يومًا ما بيضاء. لم يكن المنزل قديمًا فعليًا، ولكن حرص والد آدم على بنائه بهذا الشكل الأسطوري من أجل زوجته الراحلة، التي كانت مُغمرةً بالأساطير، حتى الجدران الداخلية والأثاث كانوا على نفس الطراز.

شعر زين بقشعريرة لرؤية هذه الوحوش مجددًا، فطالما أخافته هذه الرسومات. فُتح الباب على مصراعيه، وظهر الشاب من خلفه مبتسمًا. مدّ ذراعيه وقال في حماس: «عودة الابن الضال.» وأشار إليهما ليدخُلا.

توجّها مباشرة إلى غرفة الضيافة التي كانت يمين مدخل المنزل. لكنهما تردّدا؛ فهذه الغرفة كانت مُحرمة عليهم في الماضي

من قبل أهل آدم. أو بالأحرى مدبرة المنزل.

كانت تقول: «هذا الغرفة للضيوف المحترمين ليست للشباب للعب البلاي ستيشن.»  
تذكر زين كلامها، ونظر لآدم الذي ركض تجاه السلم وقال: «لستما ضيوفاً، إلى غرفتي.» تبعاه إلى الطابق الأعلى،  
وأكمل آدم: «لم أفتح هذا الصالون منذ فترة طويلة، كان سيلاً فيكما عائلة من العناكب أو ... الأشباح.»  
«أو ربما تحشى مدام زينب.» قال يوسف ضاحكاً ثم أضاف: «أين هي؟ لا أصدق أنني أقول هذا، ولكنني أفتقدها.»

اكتفى آدم بكلمة واحدة، دون تعقيب: «ماتت.»

قال يوسف: «أنا أسف. أعلم كم كنت قريباً منها.»

وتبعه زين: «الله يرحمها. كانت عظيمةً ومُخيفة أكثر الوقت.»

لم يُعقب آدم على تعازيهما. وأشار إليهما بالدخول أمام باب غرفته، مع انحناء ساخرة صغيرة: «سادتي.»  
غرفة آدم كانت بعيدة كل البعد عن تصميم المنزل، كأنها في عالم آخر كلياً. الجدران زرقاء، ممتلئة ببعض الملصقات  
لمسلسلات الإنمي وبعض شخصيات الكتب المشهورة، وفي الوسط فوق فراشه لوحة زيتية لم تنتم للمكان. حدّق بها يوسف  
قليلاً في تعجب. لم يتذكّر وجودها في الماضي.

هناك مكتب عريض عليه جهاز حاسب محمول وكومة من الكتب. ومُعلق على جدار آخر شاشة كبيرة أسفلها مكتبة  
ملينة بأسطوانات الألعاب والأفلام وأمامها كرسي (لايزي بوي) مواجه لها.

قال زين: «لم تتغير الغرفة كثيراً.»

قال يوسف: «كنا نسهر للفجر في اللعب هنا.»

ضحك زين وأكمل: «حتى تأتي مدام زينب وتطرّدنا.»

فأجابه يوسف: «أو تُحضر لنا الإفطار ...»

ابتسم آدم معهما، ووضع كرسيين بجانب كرسيه، وأشار إليهما بالجلوس. وجلس بجانبهما سائلاً: «كيف حالكما؟  
أعمالكما؟»

«جيدة.» قال زين: «وندى، كيف هي؟»

قال يوسف: «بخير.»

ثم مرّت بعض الدقائق في صمت. وكأنهم نسوا كيفية التحدث.

قال يوسف أخيراً لكسر الصمت: «أفتقد هذا المكان ... ولم تتغير يا آدم، كأنني تركتُك بالأمس.»

أجابه آدم: «ولكنك تغيرت، تبدو كموظف شركة بحق.»

ابتسم يوسف في إحراج وقال: «أنا كذلك فعلاً مهندس في شركة. ماذا تقصد؟»

اعتدل آدم فوق كرسيه وقال: «لا أعلم، كنت تكره هذا النوع من العمل.»

قال يوسف متحفزاً: «على الأقل هو نوع من العمل، ماذا تفعل أنت؟ هل أنهيت دراستك المعلقة منذ سنوات؟»  
ابتلع زين ريقه، وضحك في محاولة لتهدئة الوضع: «لقد كبرنا ولم تعد أفكارنا مثل السابق، لا أحب عملي أيضاً، ولكنه  
يدفع ثمن احتياجاتي.»

أكمل آدم: «واحتياجات عمك وعائلته أيضاً.»

لم يُجبه زين، ونظر إلى أسفل في محاولة لابتلاع الضيق.

سأل يوسف: «ماذا تحاول أن تفعل يا آدم؟»

«أحاول التحدّث مع رفاقي القدامى.» قال آدم وتلملم في مجلسه وكأنه على وشك القفز من فوق الكرسي.

أجابه يوسف: «والآن فقط تتذكّر رفاقك القدامى؟»  
قال زين مُتضامياً: «هذا ليس عادلاً، كلُّنا شغلَّتنا الحياة.»  
نفض آدم فجأة وقال: «سأحضر قهوة.»  
همس يوسف: «لم يتغيّر، فيه هروبه.»  
قال زين: «يبدو متوتراً.» وأشار بيديه حول الغرفة: «انظر حولك. هذه نفس الغرفة التي تركناها من أعوام. ربما مُرتبة ونظيفة، على غير عادته.»

نظر يوسف في حيرة حولهما. لكنه كان مُحفّماً. ربما شغلتهما الحياة، لكن بالنسبة لآدم كأن حياته توقفت كلياً.  
ابتسم يوسف في سُخرية وقال: «يتغيّر البشر طوال الوقت.»  
فحص زين ملامح يوسف وسأل: «هل ندى بخير، وعملك حَقاً؟»  
«ندى بخير.» اكتفى يوسف بقول هذا. وكان هذا كافياً لتخمين حال العمل.  
فجأة ارتعشت إضاءة المكان عدة مرات وتوقفت ثم بدأت مجدداً. نظر الصديقان لبعضهما في توتّر. نفض يوسف ونادى: «آدم.» ولم يتلقَ ردّاً. خرّجا من الغرفة، ثم هبطا للطابق السُّفلي بحثاً عنه. توجَّها للمطبخ ووقفَا أمام باب القبو الذي كان نصف مفتوح. وسمعا صوتاً صدر من خلف الباب.  
سأل يوسف مُحذراً بالباب: «ماذا يفعل بالأسفل؟»  
أجاب زين ساخراً ليُخفي توتُّره: «لا أريد أن أعرف حَقاً.»  
ابتسم يوسف، وتقدم للأمام ليسمح لنفسه برؤية أفضل ثم سأل: «أتخاف من القبو؟ أم من آدم؟»  
أجابه زين مازحاً: «الاثنتان متساويان في درجة الخطر.»

فتح يوسف الباب لآخره، وبدأ في النزول، وتبعه زين سريعاً حتى لا يبقى وحيداً. أول ما قابلهما هو رائحة غريبة، بالأحرى عدة روائح مُمتزجة ببعضها، لم تكن منقّرة، ولكنها لا تطمئنُ أيضاً. أسلاك مُحترقة، شيء كيميائي! وجبنة!  
لم يكن القبو مكاناً غريباً عليهما؛ فقد زاره الثلاثي مراتٍ عديدة من قبل، ولكن تحت شروط معينة. فالمقابلة في القبو تعني شيئاً جاداً وغالباً كارثياً. معظم الخطط التي فكّر بها الثلاثي داخل القبو كانت ذات عواقب ثقيلة. مثل عندما وضعوا خطة ضد أبناء عم زين، لينتقموا له، وانتهى الأمر بهم جميعاً داخل قسم الشرطة.  
الغرفة واسعة ذات ثلاث مناطق فصلت بينها العواميد وكأنها بوابات، الجزء الرئيسي المقابل للسلم كان غرفة معيشة صغيرة بما كل الأثاث الذي حُكم عليه بالنفي من الأعلى؛ أريكة عريضة وعدة كراسي مختلفة وأرفف مُمتلئة بالكتب القديمة وطاولة دائرية في المنتصف، وبعض الصناديق المترصّة بجانب الجدار. لم يتغيّر هذا الجزء كثيراً من عوامل الزمن. بينما تغيّرت المنطقتان خلف السلم بصورة جذرية.

نادى يوسف بينما تقدّم في حذر: «آدم! أنت هنا؟»  
صدر صوت آدم متحمساً من الجزء الخلفي: «أفسدتمُ المفاجأة.» وركض ليقف أمام السلم. حدّقا به في حيرة. ولم يترك لهما فرصة السؤال؛ فقال في حماس: «هيا! هناك من أريدكما أن تُقابلاه.»  
قادهما للجزء الآخر من القبو، خلف السلم وتطلّب الأمر منهما قليلاً من الوقت ليستوعبا ما يريانه.

قال آدم: «اسمه شرودنجر.»  
وقف آدم أمام قفص زجاجي صغير به فأر مشغول في حلِّ رأسه.  
«هو حي بالتأكيد.» كان كل ما استطاع زين قوله مشيراً للفأر.  
ابتسم له آدم وقال: «حالياً.»  
لم يتبسّم له زين.

كان القفص فوق طاولة طويلة وبجانبه ثلاثة أرفاف أخرى. بكل منها عدة من الفئران، كُتب على أحدها بينكي، وآخر شرودنجر والأخير بلا اسم. بجانب الحائط على يمينهم مكتب عليه جهاز حاسب آلي وعدة كتب وكومة فوضوية من الأوراق. بجانب المكتب وقفت سبورة بيضاء ملطخة بخط آدم غير المفهوم. وفي الجزء الأخير طاولة معدنية وبجانبها أسطوانة معدنية ضخمة متصلة بعدة أسلاك كهربائية ضخمة متصلة بالجدار وبشاشة سوداء أمامها. كان يشبه جهاز زين مغناطيسي من وضعية الطاولة أمام فم الأسطوانة وكأنها تستعدُّ لابتلاعها.

سأل يوسف: «ما كل هذا؟»

وأجابه آدم بابتسامةٍ أوسع: «سيُتضح كل شيء قريباً.»

عقد يوسف ذراعيه. وقفا أمامه يفحصان المكان في صبر. وضع آدم يده في القفص أمامه، وأمسك بشرودنجر وتحرك به لآخر الطاولة، ثم أشار إليهما باتباعه عندما رآهما مُجمَّدين في أماكنهما. أطاعاه من فضولهما. فوق الطاولة كان هناك متاهة صغيرة مصنوعة من الورق المقوى. وضع آدم شرودنجر في بدايتها، فتحرك الفأر فوراً، وشق طريقه لمنتصفها في سهولة نسبية. ثم أمسك به آدم مُجدداً عند النهاية.

وقال في تشجيع: «جيد جداً. أتريان لقد مرَّته ليجتاز هذه المتاهة.»

قال يوسف، مُدعياً الدهشة: «هذا رائع! يمكنك تقديمه للسيرك.»

ضحك آدم ضحكةً ساخرة قصيرة، ثم مدَّ يده بالفأر تجاه زين وقال: «أمسك هذا.» وأطاعه زين دون أن يُفكر في الأمر. وندم فوراً عندما ارتعد بجسده عند لمس جلد الفأر الطري.

خطا آدم خطوةً واسعة تجاه القفص المجاور، حيث توجد الفئران الأخرى، وكل منها لديه ورقة صغيرة مربوطة بذيل كلٍ منهم للفرقة.

«هذا هنا هو بينكي.» قال آدم مُقدماً الفأر الآخر، ووضعها عند مقدمة المتاهة، ولكن الفأر لم يتحرك بسرعة، وتعثر

بين جدران المتاهة في حيرة. قال آدم موضحاً: «هذه أول مرة يرى فيها المتاهة.»

أمسك آدم بالفأر الآخر وأعطاه ليوسف. أمسكه يوسف في تقزُّز، ثم قال موجهاً كلامه للفأر في يده: «فقد صديقي عقله أخيراً.» لكنه لم يقدِر على إنكار فضوله، وظلَّت عيناه تفحص الآلة خلفه من حينٍ لآخر.

مدَّ آدم يده تجاه زين ليأخذ منه شرودنجر، ثم رفعه أمام رأسه حتى ظن زين أنه سيُقْتَل المخلوق. ولكنه همس: «شكراً لجهوداتك.» وأخرج محققاً صغيراً من دُرج بجانب المكتب، وحقن به الفأر. ارتجف جسده للحظاتٍ ثم سكن.

سأل زين في فزع: «ماذا فعلت؟»

قال آدم: «مات. لا نحتاجه حياً.»

وضع جسد الفأر على الطاولة المعدنية أمام الأسطوانة، وحركها حتى وصلت لمنتصفها. ألصق ثلاثة أسلاكٍ برأس الفأر. وبعدها تحرك خلف الأسطوانة المعدنية، وأضاء الشاشة المقابلة، ثم ضغط على عدة أزرار على لوحة التحكم الملحقة بها؛ فأضاءت الأسلاك الملتقمة حول الأسطوانة، وازداد طنين الكهرباء، وبدأت تدور حلقة مُضيئة بسرعة تدريجية داخل الأسطوانة.

همس يوسف، وما زالت عيناه مُعلقتين على الأسطوانة: «ماذا تفعل؟»

ابتسم آدم، وأشار إليه بالانتظار. رغم الأسئلة المتراكمة في عقله، راقب يوسف في صمت. بعد عدة دقائق من الحركة المتوترة والصبر الضئيل، ظهرت الكلمات على الشاشة:

Mapping Complete

ثم توقفت الحلقة الداخلية بالأسطوانة عن الدوران. أزاح آدم شرودنجر في لطف، ووضعها في قفصه، ومدَّ يده تجاه يوسف مشيراً للفأر الآخر: «أعطني بينكي.»

سأله زين مُبتلعًا ريقه: «هل ستقتله أيضًا؟»

«لا، سأحوّله لبرابن.» قال آدم مازحًا، لكن لم يضحك أحد غيره. أخرج حقنة أخرى وأضاف: «هذا مجرد مُهدئ بسيط.» حقن الفأر به، ووضعه على الطاولة، ووصل برأسه الأسلاك. ثم قال مشيرًا لصدره الصغير الذي يعلو ويهبط في بطنه: «أتريان؟ لا يزال يتنفس.»

أعاد آدم تشغيل الأسطوانة، ارتحف جسد الفأر، وبعد عدة دقائق أخرى أضاءت الشاشة:

Download Complete

أمسك آدم بالفأر في حماس، وأزال الأسلاك ثم حرّكه في لطف بين يديه: «بينكي، هيا استيقظ ... هيا يا صديقي الصغير.»

بعد عدة ثوانٍ تحرك الفأر.

«وقت العرض الحقيقي.» قال آدم وركض عائداً للمتاهة في حماس. «مستعدون؟»

لم ينتظر إجابةً منهما، ووضع بينكي عند بداية المتاهة وانتظر. ظل بينكي ساكنًا لعدة ثوانٍ، ثم بدأ في الركض في خطوات واثقة حتى وصل لمنتصف المتاهة دون أي خطأ أو تردد. نظر آدم تجاه صديقيه وراقب ملاحظتهما. ضيق يوسف عينيه، ورمش عدة مرات، بينما سقط فم زين مفتوحًا، في محاولة استيعاب ما يحدث.

سأل زين: «ماذا حدث بالضبط؟»

أجاب آدم: «لقد حصل بينكي على المساعدة من شرودنجر.» ومدّ آدم ذراعيه تجاه الأسطوانة: «عن طريق نيموسين.»

أجاب يوسف: «هذه إلهة الذكريات!»

قال آدم: «نعم! جيد. أتتذكران الآن؟»

تقدم زين، ووقف أمام اللوح الأبيض، ثم التفت وسأل في دهشة: «هل هذا مشروعنا القديم؟»

أجاب آدم: «أضفتُ بعض الأشياء وأزلتُ أشياء أخرى.»

اقرب يوسف من الأسطوانة وفحصها بعينه. شعر بحرارة صادرة عنها ثم قال: «ولكن، كان من المستحيل بناؤه.»

قال آدم مبتسمًا في فخر: «لديّ موهبة في تحويل المستحيل إلى واقع.»

سأل زين، وهو يُعدّل من وضع نظارته: «كيف تعمل إذن؟ تنقل معلومات مُعينة، ذكريات كما افترضنا.»

أجاب آدم سريعًا: «ليس أي ذكريات، الأخيرة. ننسخها من المخ الميت، ونُعطيها للمخ الحي، وتصير كذكرى عاشها

بالفعل. آخر ذكرى لشرودنجر كانت عبور المتاهة، ونقلتها نيموسين لبينكي.»

التفت يوسف تجاههما وقال: «هذا غير معقول.»

قال آدم: «لم تكن تظن هذا في الماضي.»

تنهّد يوسف وقال: «كان خيالنا جامحًا. والعقبات التي كانت أمامنا جعلت الأمر مستحيلًا. تحتاج إلى فهم تفصيلي

لكيفية تكوين ذكرى مُعينة بواسطة الخلايا العصبية، فكل مخّ لديه طريقته لاستيعاب وحفظ الذاكرة، فنفس الذكرى يمكن

أن تُحفظ عن طريق مسارات مُعينة، وتسترجع بمسارات أخرى. نحتاج قوة حسابية هائلة لقراءتها وإعادة بثّها، نحتاج الكثير

من المال والموارد والوقت. تقول لي إنك تغلّبت على كل هذا؟»

قال زين في حماس: «ألم ترّ بنفسك؟ هي تعمل.»

«لم يكن الأمر سهلًا.» قال آدم ثم تقدّم ناحية الآلة ليقيف بجانبها: «وصلت لهذه النتيجة بعد عدة تجارب ... كارثية.

لكن كان لديّ المال والموارد والوقت لأوصلها لهذه المرحلة.»

قال زين مازحًا: «آدم يعترف بشيءٍ صعب عليه، هذا أكثر استحالة من هذه الآلة.»

ضحك آدم في سخرية، ولكن يوسف كان مُحدقًا بالأرض، متعمقًا في التفكير.

«إذن هي تعمل؟ أنت عبقرى.» قال يوسف ونظر تجاه آدم: «ماذا تريد الآن؟ لم نحن هنا؟ فقط لثرينا إنجازاتك؟»  
ابتسم آدم ابتسامةً واسعة ثم قال: «لنكمل ما بدأنا، أريدكما معي لتحضير نيموسين للتجارب البشرية.»

\*\*\*

«الأخيرة!» قال يوسف في تعجب من مكانهم تحت الشجرة في حديقة المنزل، التي أنهى الخريف على معظم أوراقها،  
وصار الجو مائلاً للبرودة.

«نعم!» بدأ آدم في الحديث، وهو يُمَرُّ يديه بين الأوراق المتساقطة بجانبه: «تخيّل كم هي مهمة. الذكرى الأخيرة  
للإنسان.» ثم نظر ليوسف وأكمل: «الذكرى الأخيرة لأبيك من الممكن أن تكون رقم سيارة الشخص الذي سبّب الحادثة  
أو ربما وجهه.»

ظلّ يوسف صامتاً، يُحاول أن يُخفي ردة فعله.

أكمل زين: «الذكرى الأخيرة لأبي يمكن أن تكون هل وقع على ورقة التنازل هذه بالقوة، أم لم يوقع من الأساس.»  
أوماً آدم وأكمل: «أترين كل الإجابات التي يُمكن أن تأتي من الذكرى الأخيرة المفقودة؟» ثم توقف شارداً الذهن، قبل  
أن يقول بصوتٍ مهموم: «كنت سأعرف إذا كان موت أمي... كنت سأعرف إذا كانت قتلت نفسها أم لا.»



### ٣. عالم جديد

وقف زين أمام باب البيت، دارت في عقله أحداث اليوم. كان ما سمعه وما رآه غريبًا بما يكفي ليصير مُقدمةً رواية خيالية. احتاج وقتًا ليفكر. لكن داخل هذا البيت، كانت هذه عملية شبه مستحيلة. تنهّد وطرق الباب قبل أن يفتحه بمفتاحه. تحرك سريعًا تجاه غرفته موجّهًا نظره إلى بابها فقط، وتمتّى ألا يلاحظه أحد.

«هناك من نسي الإيجار ومصروف الشهر يا صالح.» قال صوت أنثوي حاد، من مكانها على الأريكة موجّهةً كلامها للتلفاز.

نظر إليها زوجها. لم يفهم ما تقصده ثم لمح شبح زين الممسرح إلى غرفته، فقال: «معك حق. يبدو أننا نُعاقب على طيبة قلوبنا.»

توقّف زين للحظة، وحدّق بالمشهد أمامه، كرة ترتدي الأصفر وبجانبتها عمّه النحيل بملابسه الداخلية البيضاء، كأنهما طبق من البيض المقلي يُشاهد التلفاز.

قال زين مُتبرّمًا: «هذا اليوم الثاني في الشهر.»

«أعرف التاريخ جيدًا.» تقول زوجة عمّه، وتضع يدها أسفل ذقنها المتدلي: «لولا صلة الدماء لكننا تصرّفنا بطريقةٍ أخرى. حتى إننا لم نطلب زيادة بعد غلاء الأسعار الذي نُعانيه.»

«زيادة! أنا الوحيد الذي يعمل هنا.» قال زين وشعر بدمائه تغلي، لم يتحمّل عقله هذه التفاهات اليوم: «لم لا تطلبينها من ولدك العاطلين؟»

حدّق به عمه وزوجته من مكانهما على الأريكة في دهشةٍ تحوّلت لغضبٍ سريع. لم يعتادا نبرته المنفعله هذه. وربما شعر زين ببعض الدهشة من نفسه.

لم يتطلّب الأمر وقتًا طويلًا حتى ظهر أولاد عمه: كامل وكمال. وبمجرد رؤيته قذفًا ناحيته كل نظرات الاستحقار التي يقدران عليها.

سأل أحدهما: «ما الذي يحدث هنا؟»

عانى زين لفترةٍ طويلة من صعوبة التفريق بينهما، فكانا عاديين بطريقةٍ رتيبة. ربما ميزهما نسبة غبائهما المدهشة التي تحدّ من قدرتهما المدهشة أيضًا على الأذى في بعض الأحيان. توءمان كما هو واضح، وكرها زين بقدر ما كرههما.

فجأة بكت زوجة عمّه بينما أشارت إليه بيدٍ مرتعشة. استغرق عمّه عدة لحظات ليفهم ما تفعله ثم بدأ يربّت على كتفها ليواسيها.

قال عمّه في تأثر وذنوب: «آسف يا زوجتي العزيزة، أنا السبب في وجوده هنا.» حاول التظاهر بالحزن وفشل. لكن لم يُهم مدى براعته، لم تحتج هذه العائلة الكثير لتشتعل النيران بالمنزل.

لم يكن زين مندهشًا، فقد شاهد مثل هذه اللقطات السينمائية كثيرًا، وعلم ما هو آتٍ. شعر بنظرات التوءم التي تُحاول حرّقه في مكانه. ولكنه ابتسم في استنكار، وتوجّه للباب. لن يكمل بقية الفيلم. وقف التوءم أمام طريقه ليمنعه. في وقتٍ آخر كان سيحاول تهدئة الموقف وإنهاءه، لينعم بالهدوء ولو لوقتٍ قصير. لكن في هذه اللحظة، عاد عقله للماضي، ورأى آدم ويوسف بجواره.

لم يشعر بنفسه وهو يُسدّد لكمةً لوجه أحد التوءمين سيفتخر بها آدم ويوسف. غادر زين المنزل هذه الليلة وسط صرخات الغضب والدهشة.

هل عودتهما أعادت داخله بعضًا من المقاومة والجرأة، أم هذا تأثير فكرة العالم الجديد الذي هم على أعتابه؟

\*\*\*

«أعلم، المكان فوضى بالنسبة لك.» قالت المرأة ذلك بينما أغلقت باب الشقة. إذا كان المكان فوضويًا لم يلاحظه يوسف. فقد حدّق بها طويلاً، فلم تأت له الفرصة بعدُ لرؤية الشقة. كانت المرأة أقلّ طولاً منه، شعرها الأسود أطول منذ رآها آخر مرة، مربوط خلف رأسها، وتهرب خصلات من جانبي العقدة، نظرت إلى أعلى لوجهه بعيونٍ واسعة في حُب مثل عيون أمهما، لكن تغطيهما الآن نظارة طبية. ابتسم ابتسامةً صغيرةً ونظر حولهما.

قالت: «أصغر أيضاً من شقّتنا القديمة. لكن المكان هادئ، لا يوجد الكثير من الجيران.» لم يعتدّ كلمة شقّتنا القديمة بعد، لطالما كان بيتنا فقط، حيث كان أبواه. لم يظن أنه سيشتاق يوماً لمكانٍ هكذا. هذا سخيف. ندى تعيش هنا، هنا بيتنا الآن.

قال يوسف: «لا بأس به. قمتِ بعملٍ جيد يا ندى.» ثم توجّه إلى أريكة في غرفة المعيشة وجلس، ما زال في زاوية الغرفة بعض الصناديق المغلقة وبعض اللوحات القماشية.

«اضطرتُّ للنقل في أقل من شهر، وأقضي معظم وقتي في المستشفى.» قالت فخورة بنفسها، ثم جلست بجانبه: «أسفة. لم أجهّز الغرفة الأخرى بعد.»

«لا داعي، لن أبقى طويلاً. لدي الكثير من العمل.» قال يوسف ولاحظ نظرة الحزن على وجهها، فنظر في الاتجاه الآخر.

«سترحل بهذه السرعة! لم أرك منذ أكثر من سنة ونصف.»

لم يرد. ولكنه يراها وعلم أنها تحاول ألا تغضب، دوماً تغضب عند رحيله ودوماً يتركها. لا بأس، يُمكنها الغضب والبكاء والتأمُّم، حُثّها الشعور بكل شيء، وفي كل وقت. وواجهه هو فعل كل شيء بإمكانه حتى تشعر بحرية، دون أعباء وعقبات. لم يبك في جنازة والدّيه حتى تبكي هي وتصرخ هي، وظلّ هو ليُلملم بقاياها، وانتظر في صبرٍ حتى تعود كاملةً قطعةً تلو الأخرى.

سألت محاولةً إخفاء الألم في صوتها وتغيير الموضوع: «كيف هما؟»

تمتم أخيراً: «من؟»

قالت في سخرية: «من تعتقد؟ أفراد عصابتك: زين وادم.»

«كما هما. وكأنني لم أذهب.»

قالت ساخرة: «هذا مؤسف. إذن ماذا أراد آدم؟»

«المشاركة في بعض من جنونه.» قال يوسف وابتسم نصف ابتسامة، مُتذكراً كلامه. وأضاف عندما رأى الحيرة على وجهها: «فكرة قديمة لنا.»

أومأت ثم سألت: «وهل ستشاركه؟»

تفاجأ يوسف من السؤال، ظنّ أن إجابته ستكون مباشرة وواضحة. ولكنه وجد نفسه يتردّد ويفكر. ظنّ أنه من المنطقي ألا يتبع آدم، ويترك كل حياته، ولكنه لم يقدر على قولها. نهض أخيراً وقال: «لم لا تطلّبين لنا عشاءً ضخمًا، شيئًا محليًا لا يُنسي.»

توجه لباب الحمام، وجرّ خلفه حقيبتيه. لكن أوقفته ندى، قالت هامسةً وكأن كلماتها مُحزنة: «يوسف، ابق.» توقف، ولكنه لم يلتفت فأكملت: «هذه المرة، ابق من أجلهما، ومن أجل فكرتكما القديمة، و...»

نظر أخيراً تجاهها، ووجد عينيها ممتلئةً بالدموع. تجمّد، لم يتوقع مثل هذه العاطفة الآن، اعتادت غيابه، أليس كذلك؟ فلم تبكي؟

«ابق من أجلي.»

\*\*\*

«هل تظنهما سيعودان؟» سأل آدم وبين يديه الفأر. حي، تتحرك أطرافه في هدوء. لم يُجبه الفأر، هذا الرجل يُعطيه الطعام دومًا، أين هو إذن؟

أكمل آدم في قلق: «ربما لم يقتنعا بالعرض.»

ردة فعل يوسف كانت التشكيك في كل شيء، وهذا ما ألقه منه. ظلّ زين صامتًا، وفحص الأوراق واللوح الأبيض في تمعن. لم يُقدّم له إجابة فعلية. شعر بجسده يرتجف لفكرة تخليهما عنه الآن وهو على الحافة. يُمكنه السقوط مثلما في الماضي، ويمكنه النجاة وجلب عالمٍ جديد معهما. هذا ما قاله لهما.

«عالم جديد! هل أخفتنهما؟» سأل آدم الفأر ثم أضاف: «على أي حال، قمت بعملٍ جيد اليوم. سأتركك للنوم.» وضع الفأر في قفصه الذي ركض حيث يضع الطعام دومًا. لاحظ آدم وألقى له بقطعةٍ من الجبن وشاهده يلتهمها، ربما تكون هذه وجبته الأخيرة. ألقى آدم نظرةً أخرى على الآلة، ثم عاد إلى الطابق العلوي.

\*\*\*

بعد مرور يومين، وقف يوسف أمام باب منزل آدم، وطرقه بعد مرور عدة دقائق من التردد. رحيل طائرته في الصباح التالي، من المفترض أن يجهز حقائبه، ولكنه وجد نفسه هنا. أراد رؤيتها مرةً أخيرة، أراد فهمها. فتح آدم الباب، وفتح فكّه على اتساعه مبتسمًا عند رؤيته.

«تأخرت.» قال آدم ودعاه إلى الدخول.

دخل يوسف وقال: «أردتُ توديعك ... سأسافر غدًا.»

قال آدم: «حسنًا.»

تحرك آدم مباشرةً تجاه القبو، فتبعه يوسف. كان مضاءً بالفعل، هبط يوسف السلم خلف آدم، والتفت تجاه الجهاز، كانت أكبر مما كانت في ذاكرته ومعدنًا أقل بريقًا. في الواقع لم يتوقّف عن التفكير بها وكيف هي موجودة، لكنه لم يُظهر هذا. ليس لديه الوقت لملاحظة حُلم قديم. وقف يُحدق بها، ولم يلاحظ أن هناك من يقف في جانب الغرفة، غير آدم.

«قلت لك سيأتي.» قال زين لآدم، ووضع جهاز حاسبٍ لوحياً من يده على الطاولة.

سأل يوسف: «منذ متى أنت هنا؟»

أجابه زين: «عدت في نفس الليلة.»

لاحظ يوسف كدمةً في طريقها إلى الزوال في جانب فمه، كاد يسأله فورًا، ولكنه تذكر مثل هذه المواقف بالماضي، كم عدد المرات التي ظهر فيها لهما زين بكدمةٍ أو اثنتين نتيجةً لحُبِّ أبناء عمّه له. وقتها كانا يقضيان الليل في التفكير في خطةٍ ما انتقامية، لكنهما لم يعودا صغارًا. قرّر عدم الحديث عنها، منعًا للإحراج.

وقف آدم أمام يوسف، وسأله في حماس: «أتريد أن تفحصها؟»

أجاب يوسف: «نعم!» ثم أضاف في تردد: «ولكن لا يعني هذا أي شيء. سأسافر غدًا. فقط أردت ...»

قال آدم، ومدّ ذراعه مشيرًا للمكان: «معملي هو معملك.»

تقدم يوسف في حذر، وبدأ في تفحص الجهاز الساكن أمامه، تتبع الأسلاك وفحصه قطعةً بعد قطعة، وتدرجياً، ظهر الحماس في حركاته التي صارت أسرع، وراقبه آدم في سعادة.

قال يوسف دون أن يُبعد نظره عن الآلة: «هذا ...»

أكمل آدم بدلاً منه: «عبقري؟»

«خطير وفوضوي ...»

تنهّد آدم وقال: «تعمل.»

سأل يوسف: «كيف؟»

وقف آدم أمام الأسطوانة المعدنية وأشار إليها: «ملخص الأمر: يقوم هذا الجزء بتوصيل دفعات من الطاقة للفصّ الأمامي من المخ حيث تكون الذكريات قصيرة المدى، ثم تبحث عن وتفحص بصماتٍ مُعينة تركتها الخلايا العصبية، كمسارات محفورة، وتميز المسارات الحديثة التي تكون آخر ذكري؛ فكلّما مرّ الوقت على ذكري معينة، كان من الصعب تكوين خريطة لها. تنقل كل المعلومات التي تجدها إلى الحاسب الكمي المتصل بها، فيكوّن خريطة بهذه المسارات، ويُترجمها لشيفرة عصبية مناسبة للمخ المستقبل، ثم يرسلها ليقرأها ويخزنها المخ كذكري خاصة به.»

نظر تجاهه لعدة لحظاتٍ ثم ابتسم: «هذا ... جنون.»

أكمل آدم: «والأكثر جنوناً، هذه المسارات تختلف من شخصٍ لآخر أو من فأرٍ لآخر حتى الآن، ومع تكرار العملية، تعلّمت الآلة قراءة هذه المسارات المختلفة وتكوين شيفرة خاصة بها تعتمد على عيّنة الاختبار. هي فعلياً تُترجم الذكري من المرسل، إلى المستقبل مثل الترجمة من لغةٍ لأخرى، وتتكيف مع كل لغةٍ باختلاف العينات. وفي كل مرة تتطلب العلمية وقتاً أقل.»

أضاف زين: «ذكاء اصطناعي وليس مجرد جهاز ماسح أو ... طابعة.»

«هي أكثر بكثير.» قال آدم في فخر، ثم التفت تجاه يوسف وقال: «كل ما فعلته هنا، يُمكنك رؤية ومراجعة ما شئت، فقط إذا بقيت.»

تنهّد يوسف، وقال في خيبة أمل: «لا يُمكنني، لديّ عمل ...»

قال آدم في سخرية: «إذن تعملون على شيءٍ مُشابه في شركتكم؟» لم يُجب يوسف، وابتسم زين ابتسامةً صغيرة.

قال آدم، مشيراً بيده إلى صاحبيه: «هذا المشروع لن يكون كاملاً بدونكما.»

سأل يوسف: «لم؟ ما تفعله هنا غير مسبوق. لماذا لم تحتفظ به لنفسك وتغير العالم كما قلت؟» شغله هذا السؤال منذ جاء أول مرة، لم يفهم دوافع آدم. لم يُرد التفاخر بما صنعه، هذا ليس آدم.

أجابه آدم: «لم تكن فكري وحدي. بنيت كل هذه تبعاً لخُطتنا القديمة.»

لم يُرد أن يأخذ كل الفضل؟ لكنه بالفعل قام بكل هذا بمفرده.

قال يوسف: «تلك الخطة كانت حلمًا. وما يحدث هنا ...»

قاطعه آدم: «ليس حلمًا. لن يكون لهذا معنى بدونكما، هي تحتاج إليكما، لقد أوصلتها لهذا الحد، ولن أقدر على المواصلة بدونكما.»

لم يرد أن يظل بمفرده.

لعدة لحظات كان الصوت الوحيد في الغرفة هو طنين الكهرباء الصادر من الآلة. ثم كسر هذا الصمت زين: «إذا لم يكن هذا واضحًا، أنا معك يا آدم.»

ابتسم آدم في امتنان.

تحرك زين، ووقف أمام الآلة، ووضع يده على الأسطوانة، وأكمل بصوتٍ منخفض كمن يتحدّث مع نفسه: «ليس لديّ ما يستحق أن أعود إليه على أية حال.»

قال يوسف عندما التفت إليه زين وآدم في انتظار رده: «أحتاج وقتًا ... أحتاج أن أفهم أكثر ... أن ...» سقطت مُبرراته سريعًا، وسمع صوت ندى في عقله تطلّب منه البقاء.

قال آدم: «ابقِ الليلة، وافهم ما تريد ...»

أوماً يوسف، دون أن يُضيف شيئًا آخر. فلم يقدر على مقاومة كلٍّ من برأسه في تلك اللحظة. سيبقى، الليلة فقط، ففكر مؤكّدًا لنفسه.

ثم سأل آدم في حماس: «حسنًا من جائع؟»

\*\*\*

كانت الشمس في منتصف السماء، لكن لم يعلم المقيمون في القبو أي شيء عنها. لم يكن المكان مُرتبًا من قبل، ولكنه لا يُقارن بالآن. انتشرت أربع أو خمس حاسبات حول الغرفة ودرجة حرارتهم لا تبشّر بعمرٍ طويل. جلس الثلاثة على الأرض في حالة تركيز وإرهاق مألوفة لهم، وتبعثرت حولهم الأوراق وأكواب القهوة وعدة عُلب فارغة من البييتزا.

سأل آدم في إرهاق: «هل تبقى أيّ من البييتزا؟»

أمسك زين بالعُلب بجانبه، وفتش بها ثم قال في أسف: «لا.»

أمسك يوسف بجهازه، ثم رفع حاجبيه وقال: «هذا ...»

قاطعه آدم في سأم، فقد سمع هذا الاتهام عدة مرات هذه الليلة: «جنون. أعلم.»

أكمل يوسف مفسرًا: «أقصد هناك ما يقرب من خمسين سببًا يجعلها لا تعمل، ولكن ...»

أشار إليه آدم بأصبعه مُبتسمًا وقال: «لهذا أنت هنا يا يوسف، عددت فقط ثلاثين من قبل.»

ابتسم يوسف نصف ابتسامة، وترك الجهاز من يده، ثم عقد ذراعيه في تركيز.

تثاءب زين، ثم نظر ليوسف وسأل: «إذن هل ستسافر أم ...»

نظر إليه يوسف، ثم نظر إلى ساعته، وقال في هدوء: «أقلمت الطائرة منذ ثلاث ساعات.»

ظهرت الدهشة على وجه زين أولاً، ثم ابتسم آدم أوسع ابتسامة مُمكنة لقدرات وجهه الحالية.

قال زين في حماس: «ستبقى إذن!»

«ماذا تظن؟ انظر إليه.» قال يوسف وأشار لآدم: «من المدهش أنه لم يفجّر المنزل حتى الآن.»

قال آدم: «اقتربت مرةً أو ثلاثًا.» ثم زحف بجسده على الأرض حتى استلقى تمامًا على ظهره.

أكمل يوسف: «يحتاجنا.»

قال آدم في سخرية: «توقّف، ستجعلني أبكي ...»

\*\*\*

لاحقًا أيقظهم صوت جرس الباب، انتفض آدم من مكانه بجانب الآلة، حيث كان مُستلقيًا، ونهض يوسف وزين أيضًا، لم يكن أيّ منهم متأكدًا متى سقطوا في هذا النوم، ولم يتأكدوا من الوقت أيضًا من موقعهم تحت الأرض.

سأل آدم: «هل هذه البييتزا؟»

قال زين مشيرًا للعُلب الفارغة جانبه: «لقد أكلناها.»

«طلبت مجددًا.» قال آدم، ولكنه كان أقرب للسؤال، بدا كشيء سيفعله. نهض متجهًا للطابق العلوي وتبعه يوسف،

اعتدل زين في مكانه، وعاد إلى النوم.

ظل الجرس مُلحًا حتى فتحه آدم وابتسم.

سأل يوسف متعجبًا، من خلفه عندما رأى الزائر: «ما زلت تعرفين العنوان؟»

قال آدم: «تفضّلي يا ندى.» ولكنه تراجع عندما رأى الغضب في عينيها.

«هل نسيتني؟» سألت في غضبٍ موجهةً كلامها ليوسف، ثم دخلت حتى وقفت أمام يوسف: «لم أعلم إذا كنت ما

زلت هنا. لولا أنني وجدتُ حقيبتك.»

«لم أنسك ... فقط، شُغلت.» قال يوسف وأشار لآدم، ليُوضح السبب.

قال آدم منسحبًا في بطء: «سأترُككما لحديثكما.»

لكن أوقفته ندى: «أنت انتظر! ماذا فعلت؟ كيف أقنعته بالبقاء؟» كانت نبرتها أقل حدة، تحللها بعض الفرح. تردد آدم في الإجابة. فالتفتت تجاه يوسف وسألت بسرعة: «وهل ستبقى فعلاً؟ لكم من الوقت؟» قال يوسف، وما زال يُحارب النوم: «لا أعلم، لا شيء مؤكد حتى الآن.» تحوّل غضبها لخبية أملٍ سريعاً.

قال آدم متظاهراً بالتهديد: «لا تتراجع.» نظر لآدم أولاً وقال: «لم أفعل.» ثم التفت لندى: «تعالي.» قادها لغرفة المعيشة، وهرب آدم عائداً للقبو.

جلسا متجاورين على الأريكة، وقال يوسف في هدوء: «قلت لي ابق.» قالت ندى: «طلبْتُ هذا من قبل، لم ستبقى الآن؟»

هل كل ما تطلبه الأمر هو طلب آدم؟

عقد يوسف حاجبيه وقال: «قلتِ دوماً ركّز في عملك، وإنك بحالٍ جيدة... قلت لي زُرني أكثر، لكن لم تقولي ابقِ قط.»

لم تُقل شيئاً، ظلّت في صمتٍ لعدة لحظات. لم ترد أن تغضب. ثم قالت: «ربما أنت مُحق.» لم تُرد أن تضغط عليه أكثر، إذا كان السبب فعلاً هي أم لا، أو كان يخشى أن يعترف أنه سيترك كل شيءٍ من أجل فكرة آدم، المهم أنه هنا الآن ولن يرحل. سألت: «ماذا عن عملك؟»

قال يوسف: «طلبْتُ مدّاً في الإجازة.»

«هل سيكون هذا مقبولاً؟»

ضحك وقال: «لا أظن ذلك. لكن عندما ينجح ما نعمل عليه؛ لن يُهم أي عمل.»

«تؤمن بهذه الفكرة كثيراً.»

نظر إليها في تساؤل، وأجابته قبل أن يقول أي شيء: «قلتِ عندما ينجح لم تُقل إذا...» نهضت وأضافت: «سأسأل عن التفاصيل لاحقاً، لديّ فترة مسائية في المستشفى. اذهب للبيت للتغيير، وربما للاستحمام أيضاً.» «لا تنتظريني. أقصد سأكلمك.» قال بينما اتجهت إلى الباب، ورحلت دون كلمة أخرى.

\*\*\*

حقد زين بعينيّ الفأر لعدة لحظاتٍ قبل أن يُعطيه لآدم ويقول: «ستذهب لمكان أفضل.» لم تكن أول مرة لهم في تجربة الآلة مُتبعين، لكن شعر زين بنفس الحزن لرحيل الفأر كل مرة. وقف أمام الشاشة المتصلة بالآلة ولوحة التحكم التي أوصل بها جهازه، وأمسك يوسف بجهازه في يده وقلم في اليد الأخرى، أداره بين أصابعه في توتر. قام آدم بالخطوات التي قام بها عشرات المرات من قبل، ولم تُحْتَبِ أمله الآلة ولا الفئران. كاد يوسف يصيح من الحماس عندما ركض الفأر عبر المتاهة في ثقة.

«ما زال هذا مُدهشاً كل مرة.»

سأل زين، وما زال مُحدقاً بجهازه: «آدم، أردتُ سؤالك. هل كتبتَ هذا الكود؟»

وهو يُعيد الأسلاك لمكانها وقال: «نعم، هل هو عبقرتي؟»

«فوضوي.» قال زين وبدأت أصابعه تطير على لوحة المفاتيح يُعدّل ما يقدر عليه. ثم سأل: «منذ متى أنت مُبرمج؟»

قال آدم: «ربما عاقين أو أكثر، وحصلت على المساعدة.» ووقف أمام قفص الفئران، يُحصيهم، ويضع لهم الطعام.

نظر إليه زين وسأل: «من ساعدك؟»

قال آدم مبتسماً: «هنود بارعون على اليوتيوب.»

ضحك زين ضحكة سخريّة صغيرة ثم قال: «سأحاول ترتيب هذا، وربما أجرب شيئاً أو اثنين ...»  
قال آدم: «كما شئت.»

وقف يوسف فوق الطاولة أمام الأسطوانة ليصل للجزء العلوي منها، لمس الأسطوانة ثم أزاح يده سريعاً: «هذه الحرارة ستسبب مشكلة.» ثم التفت لآدم وقال: «وبمناسبة المساعدة، كيف جمعت كل هذه المكونات؟ أشك أن بعضها مسموح به الدخول للبلد بهذه السهولة.»

وضع آدم قطعة من الجبن أمام فمه، ثم تركها وأجاب: «لم يكن أي شيء بها سهلاً، طلبت من أبي ما أريد مقابل صمتي، وتركته لمغامرته العاطفية دون إزعاج.»

قال يوسف في تعجب: «ساعدك على كل هذا!»

«فقط في البداية، ولكنه ...» توقف آدم يفكر فيما يجب عليه أن يقوله، تنهد وأكمل: «ملّ ... لم يعد يظن أن الأمر يستحق.»

«وكيف استمررت؟»

نفض آدم يديه، والتفت لمواجهتهما ثم قال مُعلناً: «لدينا راع.»

توقف زين عن الطباعة، وهبط يوسف من فوق المائدة، وحدّق به في دهشة. لم يُرد أن يفتح هذا الموضوع بهذه السرعة، ولكنه علم أنه لا مفرّ من مناقشته، ولا مفرّ من تلقّي ردة فعل مزعجة.

سأل يوسف: «راع، من ومقابل ماذا؟»

قال زين في حيرة: «ظننت أن هذا مشروعنا بالكامل.»

قال آدم في محاولة لطمأنتهما: «لا تقلقا. الآلة ملكنا بالكامل، وستكون براءة الاختراع باسمنا.»

قال يوسف في سخريّة: «إذن يقوم هذا الراعي بمساعدتك بكلّ هذا كعملٍ خيري؟ ومن هو من الأساس؟»  
تنهد آدم وقال: «طلب إبقاء هويته مجهولة.»

اقترب منه يوسف حتى وقف أمامه وسأل: «ألا تجد هذا غريباً ومثيراً للشبهات يا آدم؟»

قال آدم، وحافظ على نبرة صوته هادئة، لم يُرد أن يزيد التوتر في الغرفة: «في البداية، ولكن النظام يعمل، لم يتأخّر في كل ما طلبته ولم يكن أي شيء غير عاملٍ مساعدٍ حتى الآن. ولم يكن أمامي خياراتٌ متعددة من الأساس.»

سأل زين: «كيف وصلت له؟»

«لنقل إنه القدر.»

بدأ يوسف يدور في الغرفة يفكر.

بعد لحظاتٍ قال زين: «ربما هذا جيد. نطلب ما نشاء، ولا نقلق بشأن المال وكيفية جلب ما نحتاج. هذا حلم كل مخترع، يُمكننا أن نجرب للوقت الحالي، حتى نجد اختياراً أفضل.»

توقف يوسف من دهشته وحدّق به.

قال آدم، وقد أراحه الفوز بزين لجانبه: «بالضبط هذا تفكيري أيضاً.»

حدق يوسف بالآلة أمامه، وحدّق به زين وآدم، ظنّ آدم أنه على وشك فقدانه مجدداً.

ثم قال يوسف في استسلام: «حيث إنه لا خيار أماننا الآن، لنرى ما سنصل إليه.»

وقبل أن يُبدى أي ردّ فعلٍ على كلامه، صدر صوت انفجار من الحاسب المتصل بالآلة، وملأت الغرفة رائحة حريق. ففز زين من مكانه، وركض يوسف حول الغرفة يبحث عن مطفأة، وجدّها وفتحها تجاه الجهاز قبل أن تندلع أي نيران. امتلأت الغرفة بالغاز الأبيض. بينما وقف آدم يُحدق بالجهاز الفقيد في سكون. نظر إليه يوسف وزين في ترقّب.

«كنت سأطلب فئران زيادة على أية حال، سأضيف بعض قطع الغيار.» قال آدم ورفض المادة البيضاء عن قميصه، ثم التفتَ لهما مُضيقاً: «اكتبنا كلَّ شيءٍ تحتاجانه، وستريان ما يُقدمه الراعي لنا.»

## ٤. الراعي

شروط التواصل مع الراعي بسيطة لحدِّ ما وهي كالتالي:  
أولاً، يتم التواصل فقط عن طريق هاتفٍ خاص به تطبيق محادثة مُخصَّص بمستوى عالٍ من التشفير، وبمسح تاريخ المحادثة كل أربع وعشرين ساعة.  
ثانياً، يكتب مواصفات الأجهزة أو المعدّات المطلوبة بكل تفاصيلها التقنية وبدون أي زيادةٍ أو أسئلة أو مُقدمات، لا مجال لكيفٍ؟ ولمن؟.

ثالثاً، غير مسموح التواصل مع أي شخصٍ غير آدم، لا يُهم صلتهم بالمشروع، فالسرية أولوية.  
رابعاً، سيُحدّد وقت لإرسال الطلب أو منح المساعدة المطلوبة، ويجب التواجد فيه بلا تعطيل أو تأجيل من كلتا الجهتين. سيأتي وسيط للتسليم، غير مسموح بالسؤال عن اسمه، أو أي شيءٍ لا يتعلق بالطلب.

\*\*\*

أشارت الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل عندما وصل الوسيط، سكان المنزل مُستيقظون، أحدهم يرتجف جسده من الحماس وآخر يُحاول التظاهر بالهدوء والأخير يراقبهما في استمتاع. ركض زين تجاه الباب الأمامي عندما أعلن آدم وصول الوسيط. بينما أشار آدم تجاه الباب الآخر الصغير، في نهاية المطبخ. التفت زين وعاد للمطبخ.  
لم يمر أكثر من ثلاثة أيام على إرسال الطلب، وسرعة التنفيذ كانت مذهشة بالنسبة ليوسف وزين. خاصةً لمدى صعوبة بعضٍ من الطلبات، وقد حرص يوسف على ذلك كاختبارٍ بسيط، أدرك آدم هذا، وتركه يقوم به، فعلم كم ستكون نتائجه مُرضية.

وقف رجل في منتصف الثلاثينيات شعره قصير، ويرتدي معطفاً أسود أمام الباب، وبدأ فوراً في تسليم صناديق كرتونية لآدم دون أي مقدمات. جلس زين على الأرض، وبدأ في فتح أول صندوقٍ ليرى محتوياته في حماس طفلٍ يفتح هدايا مغلفة. توجه آدم له فوراً، ووضع يده أعلى الصندوق ليوقفه، ثم أشار تجاه الوسيط الذي يُحدق بهما، وقال بصوتٍ منخفض: «انتظر حتى ينصرف طارق.»  
اقترب يوسف وسأل هامساً: «اسمه طارق؟»

أجابه آدم: «لا، اخترتُ له اسماً عشوائياً.» ثم نحض عائداً ليتسلّم باقي الصناديق.  
سلّم الرجل آخر صندوق، ووقف أمام الباب يُحدق بهم في حيرة، فلم يعتدّ وجود أشخاصٍ غير آدم في المكان.  
قال آدم: «هل أحضر شيئاً أو ما شابه؟» التفت الوسيط ووجّه له نظرة امتعاض، والتفت ليرحل، قبل أن يعرض آدم:  
«ربما سندوتشات للطريق؟»

قال يوسف في سخرية بينما يُغلق الباب: «بيدو ودوداً.»  
ابتسم آدم وأسرع إلى جانب زين ليفتح معه باقي الصناديق.

\*\*\*

سرعان ما وجد الثلاثي روتيناً اتّبعوه يومياً دون قصدٍ منهم، مع الآلة والفئران في المعمل، حيث يعملون ويتجادلون ويأكلون، ثم ينامون في موقعهم الأخير، في بعض الأحيان هو القبو نفسه وبعضها في عُرفهم عندما يتذكرون.  
كان يوم ثلاثاء عندما كُسر هذا الروتين. وقف آدم أمام اللوح الأبيض وخلفه زين ويوسف والآلة يُراقبونه في ترُقّب. أمسك بالقلم ويبيد مرتعشة رسم علامة (X) بجانب أحد السطور، ثم بدأ زين ويوسف في التصفيق والتشجيع. على اللوح قائمة تُمثل كل العقبات والخطوات المطلوب تحطّيتها للوصول للآلة الكاملة، والبدء في التجارب البشرية. في البداية كلٌّ منهم

كان يُضيف عنصرين أو ثلاثة يوميًا والآن فقط يتبقى القليل.  
توجّه آدم للآلة، وأخذ يوسف مكانه أمام اللوح، ليفحص باقي القائمة. ربّت آدم على الأسطوانة ثم قال هامسًا:  
«عمل جيد يا نيمو.»

ابتسم زين من موقعه أمام الحاسب فوق المكتب، وقال يوسف: «لا أحب هذا الاسم. لا يُمكننا تقديمها كنيموسين  
للمجتمع العلمي. ماذا عن

«LMA: Last Memory Analyzer»

اقترح زين: «Neural Pathways Scanner»

جلس آدم على طاولة الآلة المعدنية، وتلملم في عدم راحةٍ ثم قال: «يُمكنكما اختيار أي اسمٍ علمي تُريدانه وقتها،  
لكنها دومًا ستكون نيمو بالنسبة لي.»

خلع زين نظارته وذلك عينيّه، ثم قال لينتهي هذا النقاش: «أنا مُتعب، وأريد الخروج من هذا القبو. نحتاج للراحة.»  
«أتفق معك، لكن لدينا طلبية الليلة.» قال آدم وهبط على الأرض ثم أكمل: «غدًا، أعلن غدًا عطلة.» توجّه آدم للوح  
وقلّبهُ حيث توجد قائمة أخرى بالطلبات وكتب: فراش. نظرًا تجاهه في تساؤلٍ فقال: «لن تنفع هذه الطاولة عندما نبدأ  
التجارب البشرية، هي غير مريحة.»

قلّب يوسف اللوح مُجددًا، وأشار إلى القائمة بِكلتا ذراعيه كمن يُقدم عرضًا: «تقليل الإشعاع، وقت التشفير المتغير،  
صلاحية أنسجة المخ، والأعراض الجانبية. لدينا كل هذا قبل أن نُفكر في التجارب.»  
قال آدم بنبرةٍ منتصرة: «بالضبط، هذا فقط.»

لطالما أغضبه عندما يُقلل آدم من العقبات أمامهم. شعر بأنه يريد لكّمه لتسقط هذه النظرة غير الواقعية من عقله. قد  
يحترق المنزل حولهم وسيقول آدم: «فلنحضر بعض المياه وغدًا سنعيد بناء المنزل.»  
قال يوسف: «هؤلاء الأضعف، يكفي مشكلة الإشعاع أو الوقت الصالح للعمل لإيقاف المشروع كله.»  
قال آدم: «لا زلنا في المنطقة الآمنة.»

ربما كانت نيته تشجيعهم، وهذا ليس سيئًا في بعض الأوقات. لكن خشي يوسف إذا قلّلوا من خطورة شيءٍ وعاد ليهدّد  
البناء فوقهم.

أكمل آدم: «ولدنا حتى ثماني ساعات بعد الموت أو أكثر إذا كان المخُ محفوظًا، لتخطيط الذكرى بدقّةٍ يُمكننا العمل  
بالتوازي على باقي التحديات، وأيضًا ما سيظهر عندما نبدأ.»

حاول زين التحدث، ولكنه يعلم عندما يبدأ هذان الاثنان في الجدل هكذا من الأفضل أن يظلّ صامتًا ولا يتدخل،  
أخافته فكرة المرحلة القادمة، ولكنه كان أيضًا متحمسًا لها، ولم يُرد الانتظار طويلًا. فضلّ مُحايدًا، سينتظر ويتحدّث مع  
المنتصر لاحقًا.

قال يوسف في جدية: «يتعلق الأمر بمخّ بشري يمكن أن نضع حياته في خطر.»  
«وأنا مُختص علم الأعصاب هنا، دعني أقلق بشأن المخ البشري، وافلّق أنت بشأن مخها.» أشار آدم للآلة. عندما بدأ  
وجهُ يوسف في الاحمرار، أدرك آدم أنه لن يُفيده الانتصار هنا، فتوقّف عن المحاولة، وقال بنبرة هادئة: «لن نبدأ غدًا، لدينا  
وقتنا، كل ما أقوله هو أنه لا يفيد انتظار كل جزءٍ حتى يصير كاملًا. يجب أن نتعلّم ونتطوّر في أثناء العملية.»  
اقترب آدم من يوسف، وربّت على كتفه.

تهند زين. مسرور بانتهاء هذه المحادثة ثم قال: «أليس مناسبًا أكثر أن أكون المسئول عن مخّها؟» وأشار ليوسف، في  
محاولة لغيظه: «وأنت عن جسديها، أنت الميكانيكي.»

نظر إليه يوسف منزعجًا، واتجه للسُّلم، قائلاً: «أظنني سأنام ... بالأعلى.»

ابتسم زين، ونظر لآدم وسأل: «ثم منذ متى أنت عالم أعصاب؟»  
أجابه آدم ببساطة: «عامين أو أكثر ...»

\*\*\*

«أين صديقك؟» قال الوسيط بينما سلم آدم الصناديق. كانا بالدور الأعلى في غرفتهما. وانتظر آدم الوسيط بمُفرد. توقف آدم متفاجئًا، وحدّق به، ثم قال في سخرية: «طارق، يُمكنك الحديث؟»  
قال الوسيط منزعًا: «لقد تحدثت من قبل. وهذا ليس اسمي.»  
قال آدم مبتسمًا: «على الرغم من سعادتي لسماع صوتك الرائع هذا، ليس مسموحًا بالسؤال، أتتذكر؟»  
أسقط الوسيط آخر صندوقٍ بين ذراعي آدم، وكاد يسقط آدم معه، ورحل دون تعقيب.  
قال آدم مودعًا: «سأفتدك.»

وضع الصندوق على الأرض، وأغلق الباب ثم وقف وسط الهدوء بينما يستمتع كُلٌّ من صديقيه بنوم هادئ، وفي الحقيقة تبرّح آدم بالبقاء مُستيقظًا لاستلام الطلب، ثم عليه القيام بمكالمةٍ طويلة، لم يقدر عليها منذ صار له رفقاء في المنزل. فلا يُهم النوم الآن.

\*\*\*

لم يستطع يوسف النوم طويلاً، وقرّر الاستسلام عن محاولة العودة إليه بعد ساعتين تقريبًا، منعته حالة الإثارة المستمرة التي دخل بها منذ بدأ العمل على الآلة. كان عقله متحمسًا، ويعمل بضعف القدرة العادية. نحض أخيرًا وهبط للطابق الأسفل، لم يسمع صوتًا. على الأقل هناك من هو نائم بالبيت.

توجّه للمطبخ، وفتح البراد مُحدقًا بمحتوياته لا يعرف ما سيفعل بها. ثم قاطعه صوت حركةٍ من داخل القبو. الباب مفتوح، ولكنهم لا يتكونه مُغلّفًا معظم الوقت. ربما هناك ساكن آخر لا يقدر على النوم، قرّر الانضمام إليه. توجّه للباب وهبط السلم في هدوء، سطع ضوء من الجزء الخلفي للغرفة بحيث توجد الآلة واختفى فجأة. هذه ليست إضاءة الغرفة أو حتى مصباح كهربائي. وصل يوسف لآخر السلم، سطع الضوء مجددًا واختفى. ورأى ظل شخصٍ يقف في منتصف الغرفة. هذا ضوء فلاش كاميرا.

«ماذا تفعل؟» سأل يوسف بينما اقترب منه، حاول معرفة لم سيقوم زين أو آدم بتصوير الآلة، وفي هذا الوقت. ثم إن غداً إجازة تاقوا لها جميعًا.

توقف الظل، وظلّ ساكنًا للحظات. بينما حاول يوسف تخمين هوية الظل، ليس زين. هو ليس بهذا الطول. التفت الظل فجأة. وسطع الضوء في وجه يوسف، غطى وجهه، لكنه لم يهتز. ولم يكن آدم أيضًا. دفعه صاحب الظل للخلف سريعًا، وانطلق تجاه السلم. ترنّح يوسف للخلف، لكنه لم يسقط. ركض خلفه على السلم وصاح: «توقف! توقف!»  
أمسك بساق صاحب الظلّ قبل أن يصل إلى الباب، فسقط. لكنه دار وبسرعة ركل يوسف في صدره بقوة، فعاد سقوطًا لآخر السلم وارتطم رأسه بالأرض. أظلمت عيناه للحظة، وشعر بسخونةٍ في مقدمة رأسه، ثم صدمته ألم صارخ، لم يقدر على النهوض، وشعر بالغثيان، وعلم أنه على بُعد ثوانٍ من فقدان الوعي، وسيهرب هذا الظل دون أن يعرف من هو. من حاول سرقة... نيموسين.

كانت ترتدي رداءً أبيض مشرقًا طويلاً، وشعرها موجات من الأحمر حول رأسها، بشرتها ناصعة البياض وعيناها مُضيئة وهادئة، كانت حافيةً بينما اقتربت منه من تجاه الجزء الخلفي للقبو. توقفت أمامه وهبطت ببطء لتجلس على ركبتَيها، ومرّرت يدها على وجهه بلطف وابتسمت، قبل أن تُظلم الدنيا تمامًا.

\*\*\*

حدث كل شيء بسرعة، لم تترك لعقله فرصة إدراك الوضع. كان هابطًا من السطح حيث كان بإمكانه إجراء المكالمات

دون أي مقاطعة، وفي طريقه للمطبخ للحصول على وجبة سريعة، عندما سمع صوت يوسف يصرخ: «توقف!» ولم يكن موجهاً له، ركض حتى توقف أمام باب القبو، وقبل أن يتحرك اصطدم به جسد منطلقاً من باب القبو، سقط الاثنان، وراه آدم للحظة. تحرك بسرعة وأمسك به قبل أن يهرب، دفعه للجدار وسقط منه هاتفه. استغل الرجل التفات آدم ناحية الهاتف، ولكمه ودفعه إلى الأرض. تحركت عينياه باحثاً عن الهاتف. أدرك آدم هدفه، وركل الهاتف بعيداً، فانزلق أسفل البراد. لكمة الرجل مجدداً، ثم أفلته وركض تجاه الباب، أفقده الأمل في وجهه فدرته على النهوض وملاحقة الدخيل، وظل على الأرض حتى تراجع الألم بما يكفي لينهض ويدرك سوء الوضع.

«يوسف! زين!» صاح آدم من مكانه أكثر من مرة قبل أن ينهض بصعوبة.

هي هدفه بالتأكد، هو الوحيد غيرهم من يدرك كم هو مهم مشروعهم، كم هو ثمين، حتى إذا لم يفهم ماهيته. هو من يعرف بيته ويعرف سكانه. الهاتف أسفل البراد، وصعب الوصول إليه الآن. عليه أن يسرع، ويطمئن أنها بأمان. تحرك تجاه القبو وقلبه ينبض بسرعة، أضواء النور وهبط السلم ورأى الدماء. لا تنزف الآلة، ولكن ينزف البشر.

\*\*\*

على الرغم من مدى رعب الوضع الذي تعرضوا له، كان صباح ندى بهم عندما رأت شقيقها يدخل المشفى الذي تعمل به، أكثر رعباً.

«سقط من فوق السلم.» قال آدم بصوت مهزوز: «كما قلنا.»

أغلقت ندى الستار الذي يفصلهم عن باقي غرفة الطوارئ، لحسن الحظ لم تكن ليلة ذات حظ سيئ بالنسبة للكثير، فقط ثلاثة أفراد وجدوا معهم في الغرفة.

قالت ندى في غضب: «وما زلت لا أصدقك.» ثم حاولت السيطرة على مستوى صوتها، بينما تجمّعوا حول فراش يوسف. رأسه مُضَمَّد وكان نائماً أخيراً. وقف زين عند طرف الفراش، وجلس آدم على كرسي بجانبه.

أصر آدم: «لا أكذب.»

فعلياً لم يكذب، سقط يوسف من فوق الدرجات، ولكنه لم يثقل كيف سقط. لم يعرف ماذا يفعل؟ لا يمكنه الاتصال بالشرطة، فبمجرد رؤية ما يخبئونه بالقبو سينقلب الأمر عليهم سريعاً. تذكر صديقاً له أوقفه شرطي مرة، في أثناء ذهابه للجامعة وبين يديه مشروع دائرة كهربائية بسيط، فظنه قبلة.

«هل تعاركنم مع أبناء عمك مجدداً؟» سألت ندى موجهة حديثها لزين الذي ما زالت يدها ترتعشان.

قال بسرعة: «كنت نائماً.»

كان نائماً واستيقظ على صراخ آدم مُنادياً، وهبط ليراه على الأرض بجانب يوسف يُحاول التمسك بهاتفه بين يديه المرتجفتين.

سألت ندى في استنكار: «لا تعرف إذا كانا هما؟»

«لا، أفصد. كنت نائماً... لم أر...» قال زين ووجد آدم يُحدق به فأكمل سريعاً: «سقط من فوق السلم.»

قرراً عدم الاتصال بالإسعاف والقيادة لمشفى ندى، حيث إن هذا أكثر حلٍ يمكن السيطرة على مُتغيراته.

تنهدت ندى في غيظ، وأشارت إلى وجه آدم: «هل سقطت معه أيضاً؟»

لم يدرك آدم بوجود كدمة في وجهه حتى تلك اللحظة، وفكر: لهذا يؤلمه وجهه لهذه الدرجة. وضع يده على وجهه وقال: «تلقيتُ صدمة... في وجهي.» ولم يقل إنها بواسطة قبضة رجل.

«سأنتظر يوسف وأسأله، وإذا عرفت...» قالت في استياء، ثم اقتربت من آدم في تهديد: «إنك ورطت أخي ونفسك

وهذا المسكين في وضعٍ خطير...»

ابتلع آدم ريقه في انتظار باقي التهديد، وأنقذه صوت يوسف ينادي: «ندى.»

التفت الجميع تجاهه، وأسرعت ندى إلى جانبه: «أنت بخير؟ هل تتألم؟»

قال يوسف ووضع يده على رأسه: «نعم. ماذا حدث؟»

سألت ندى: «قل لي أنت ماذا حدث؟»

نظر يوسف تجاه آدم وزين قبل أن يجيب، فأشار زين من خلفها بأصابعه مُحَاكِيًا شخصًا يسقط من فوق درج.

فهمه يوسف بأعجوبة. وقال: «سقطتُ من فوق السلم.»

تنهدت ندى ثم سألت: «كيف؟»

فكر يوسف لثوانٍ قبل أن يقول: «لم يكن القبو مضاءً.»

«ولم ذهب للقبو في هذا الوقت؟»

قال يوسف: «لم أستطع النوم.» كان عقله مشوشًا، استرجاع تفاصيل الليلة بعد هذا كان صعبًا. لم يعرف كيف سيُجيب على السؤال التالي.

«أنتم الثلاثة تُفكرون بعقل خلية.» قالت ندى في استياء: «أعلم أنكم تكذبون.»

«لم نكذب يا ندى. كفى هذا التحقيق.» قال آدم واستند بذراعه إلى الفراش ليدفع بنفسه للنهوض، ولكن باغته ألم في كتفه جعله يتأوه في ألم، وأمسك به.

توجهت ندى إليه وسألت في قلق: «هل هناك إصابة أخرى؟»

«أنا بخير يا دكتور.»

«تبدو على وشك البكاء من الألم.» قالت ندى وأزاحت قميصه للخلف لتفحص كتفه: «هناك كدمة هنا. ارفع ذراعك ...» أمرته وأطاعها في هدوء، رفع ذراعه في ألم. قالت: «حركه في دائرة.» وأطاعها مجددًا.

«ليس مخلوعًا.» قالت وتركته، ثم أكملت: «سأكتب لك مرهمًا لهذه الكدمات، لكن من الأفضل أن نقوم بفحص إشعاعي.»

قال آدم محاولًا إنهاء الحديث: «لاحقًا.»

نفض يوسف ليجلس على الفراش بمساعدة زين، ثم سأل: «إذن هل يمكننا الذهاب؟»

«لا.» أجابته ندى في دهشة وكأنه أكثر البشر حمقًا، قالت موضحة: «لديك ارتجاج، يجب أن تبقى تحت الملاحظة حتى الصباح.»

تركتهم ندى بعد قليل. فكروا أن مجيئهم هنا سيُعفيهم الأسئلة التي لم يقدرُوا على الإجابة عليها. كانوا مُخْطئين. حدّق الثُلَاثِي ببعضهم، وبدءوا الكلام في نفس الوقت ثم توقفوا.

سأل زين: «ماذا حدث؟»

سأل يوسف: «هل قبضت عليه؟»

قال آدم مشيرًا لوجهه: «هل يبدو أنني فعلت؟»

تنهد يوسف وقال: «من كان هو؟ وجدته يلتقط صورًا ...»

وضع آدم وجهه بين يديه، ثم عضَّ على قبضته في غيظ. وقال أخيرًا: «رأيتُه، كان طارق!»

حدَّقا به في دهشة، وسأل زين للتأكيد: «الوسيط؟»

أومأ آدم، وشعر أن رأسه على وشك الانفجار، رغم أنه ليس هو المصاب بالارتجاج.

سأل زين في قلق: «لم؟ ثم هل يعني هذا أن هناك صورًا لآلة معه؟»

أجابته: «لا أعرف لم. لكنه أسقط هاتفه، لست متأكدًا إذا أُتيح له الوقت لإرسال أي منها.»

قال يوسف وهو يحاول استرجاع الأحداث: «لا أظن ذلك ... كان لا يزال يلتقط الصور عندما وجدته.»  
قال آدم: «سأرسل للراعي ما حدث.» ثم أمسك بهاتف التواصل مع الراعي، وبدأ في الكتابة.  
سأل يوسف: «ألا تظنُّ أنه ربما يكون وراء هذا الفعل؟»  
توقف آدم عن الكتابة وحدّق بيوسف. لم يردِّ لكنه لم يستطع منع الشك من التسلُّ داخله للحظة، فقط للحظة.  
أكمل يوسف: «هذا أقرب تخمين، هو يعمل لِدَيْهِ، ولا يطيع غيره، أليس كذلك؟»  
قال آدم: «ليس لِدَيْهِ سبب ليفعل هذا، ولماذا يُهاجمنا؟» لا يمكنه السماح بهذا الشك، سينهار كل شيءٍ معه. أكمل الكتابة وجاءه الرد سريعاً.

الراعي: أنت بخير؟

آدم: نعم.

الراعي: هل المشروع بأمان؟

آدم: نعم.

الراعي: لا تفعل شيئاً. سأتواصل قريباً.

\*\*\*

بالكاد سمحت لهم ندى بالخروج ظهيرة هذا اليوم بعد محاولة هربٍ فاشلة. وصلوا ووجد الهدية، فوق باب المنزل بجانب شرفة الطابق الثاني، وقف تمثال غارغويل قديم، هذا جزء من تماثيل المنزل المعتادة، لكن لم تضح عينه هكذا؟ بداخلها وجدوا كاميرا، واحدة من عدة كاميرات مُنتشرة حول مُحيط المنزل. لم يجدوا أيّاً من الكاميرات بالداخل لحسن الحظ. تفقدوا القبو أول شيء. لا يبدو أن أحداً دخله منذ رحيلهم. وما زالت بقعة الدماء أسفل السلم، لم يقدرُوا على إزالتها بالكامل، فوضعوا فوقها سجادة صغيرة، لثغيبها.

حاولوا استرجاع الهاتف من أسفل الثلاجة، ونجحوا بصعوبة. كان مكسوراً ومحمياً بكلمة سر. لكن لم يقف هذا أمامهم طويلاً. لسوء الحظ، لم يجدوا به معلومات مفيدة. كان جديداً، لم يكن به أرقام؛ فعرضه فقط هو الصور. استطاع الوسيط التقاط بعض الصور الفاضحة للآلة قبل أن يصل إليه يوسف، كانت ستودي بسرّيتها للهلاك.

هذه الليلة وجد آدم رسالةً جديدة من الراعي:

سيتواصل معك وسيط جديد قريباً. مُلحق برنامج لعرض فيديو الكاميرات التي رُكبت حول المنزل. اضطررتُ لهذه التدابير بعد ما حدث. لم يعد لدينا رفاهية الوقت، يجب البدء سريعاً في المرحلة القادمة. هناك عدوٌ يحوم حولنا.

## ٥. الشاهد الأول

سيطرت الآلة على القبو بأكمله، أخلوا الغرفة من كل شيء تدريجيًا لإتاحة مكان لنظام التبريد الجديد، ثم مولد الكهرباء الإضافي ورفّ السيرفرات وأجهزة التخزين وأخيرًا الفراش الذي يسع رجلًا بالغًا، والمبرد. فصار القبو يخدم الآلة ومعداتهما فقط.

ما زالت ذكرى الاقتحام حيةً في ذاكرتهم وأفعالهم. كانوا ينامون في نفس الغرفة خلال الليالي التالية، ولمراقبة حالة يوسف الصحية أيضًا. ليس معنى ذلك أن ندى لم تُغم بالكاكي، فقد كانت تأتي كل يوم، وتُحضر طعامًا - لم تقم بتحضيره مُعظم الوقت - فبعد أول مرة توسّلوا إليها أن تتوقف، لكنها ما زالت تُحاول إذا أُتيح لها الوقت. حتى طلب منها يوسف التوقّف عن المجيء كل يوم، ففكرة أن لديهم الآن عدوًّا قادرًا، مُحيفة، ولم يُرد أن يلاحظها هذا العدو، أو تدخل في خطه. خاصةً مع رفض الراعي أن يُعطيهم أي معلوماتٍ إضافية عن ماهية هذه العداوة.

استيقظ آدم من قيلولته لم تدم أكثر من ثلاثين دقيقةً وأبَّجه إلى المطبخ، وجد علب طعام كرتونية على الطاولة، صعد يوسف من القبو بينما كان يتفحصها.

سأل آدم: «هل أحضرت ندى طعامًا مُجددًا؟» قال آدم قبل أن يحضر ملعقةً ليتذوق محتويات كل علبه: «شقيقتك بارعة بعدة أشياء، الطبخ ليس منهم.»

وقف يوسف أمامه وقال: «قلتُ لها ألا تأتي مجددًا. أظنُّها غاضبة.»

فكر آدم ثم أشار الجرح رأسه وقال: «أتشعر بتحسّن؟»

أوماً يوسف وأمسك بملعقةٍ ثم بعد التفكير في الأمر تركها دون أن يأكل. انضم إليهم زين بعد قليل، وتجمع الثلاثة حول الطاولة. وضع يوسف طبقه أمامه وبدأ في الأكل بعد قليل من التردّد.

قال زين: «بعد أحر تعديلات، يجب أن يقلّ وقت الشفير بنسبة ثلاثين بالمائة. هذه يجعله ربما أربع دقائق... بالنسبة للفئران. يجب أن يعمل هذا على البشر أيضًا، لكن أظنُّ أن التحميل سيتطلب وقتًا أطول.»

«سنعرف عندما نُجرب؟ ولم تعد الحرارة الزائدة مشكلة الآن؟» التفت تجاه يوسف، وقال كسؤال، لكنه يعرف الإجابة. أجابه يوسف: «لا. أظن سنحتاج إلى نظام تهوية أكبر في المستقبل. لكن سيكفي هذه حاليًا. ما زلت أريد تقليل نسبة الإشعاع احتياطيًا.»

تنهّد آدم، وترك الملعقة من يده ثم قال: «لن ينتظر أكثر، لقد دفعت حدوده للنهاية. إذا أردنا الحفاظ على الراعي ومميزاته، يجب أن نبدأ.»

لم يعترض أيٌّ منهما، فخلال الفترة السابقة قدّما كل الأسباب التي يُمكنها تعطيل بدء التجارب، ولم يعودا قادرين على المجادلة، خاصة في شيء يريدان رؤيته يتحقّق أمامهما. شيء يتشوّقان له بقدر خوفهما منه.

قال آدم: «نحتاج الآن آخر... مكون.»

نظرا إليه في عدم ارتياح. لديهما فكرة ما سيقول، لكن لا يُريدان سماعه.

أكمل: «يجب أن نفكر في طريقة للحصول على... متطوّع.»

قال يوسف: «كلمة متطوّع تتضمن أنه حي لا نتخاذ قرار التطوّع... ما نحتاجه هو جثة.»

نظر كلٌّ منهم لمكانٍ مختلف في الغرفة، هارين داخل أفكارهم. يعلمون أن هذه اللحظة آتية منذ فترة، يعلمون أن لديهم قرارًا لاتخاذ، وأنه سيكون أكثر شيء غرابة سيقومون به، أكثر من فخ الأخوين كامل وكمال. عاجلاً لا آجلاً سيأتي الوقت الذي سيتعاملون فيه مع الموتى وإلا لما طلبوا المبرد.

كسر زين الصمت: «هل يمكن أن نطلب من ندى مساعدتنا؟»

قال آدم: «لا يمكننا سؤالها.»

وقال يوسف في استياء: «لن أطلب منها سرقة جثة من المشفى. كل هذا مُثير للعديد من الشبهات، وربما بعض الأخلاقيات، لا أريد أن يكون لها علاقة بأيّ من هذا.»

قال زين: «ومن سيعطينا جثة شخص متوفى حديثاً لنعبث بمجته؟ سنضطر لشرح كل هذا.»

أجاب يوسف: «شخص يائس ليعرف الحقيقة.» مثلنا. منع نفسه من قولها، ونظر إلى الأرض.

قال آدم مُعترضاً: «لا يمكننا طلب هذا من أي شخص، لا يمكننا فضح ما نفعله.»

توقفاً عن الأكل. وربما كان ذكر الجثث كافياً ليفقدا شهيتهما، أو ربما كان بسبب طعام ندى فقط.

قال آدم أخيراً: «سأرسل للراعي كعادة كلِّ مُتطلببات نيموسين.» ثم أضاف آدم سريعاً وهو يكتب على الهاتف، لا يريد

أن يفكر أكثر في كلامه: «نحتاج جسد شخص ميت منذ أقلّ من ثماني ساعات، محفوظ جيداً، ويُفضل أن يكن موته قتلًا أو حادثاً ما. وألا يكون هناك ضرر ضخم في مجته.»

ضغط إرسال وانتظر. بعد عدة دقائق من التوتّر، صدر صوت رسالة جديدة من الهاتف.

سيُرسَل الطلب قريباً مع الوسيط.

\*\*\*

لم يتخيّل أي منهم أنهم سيرونه مجدداً، ظنوا أنه هرب أو اختفى. في كل الأحوال، قد ارتكب جريمة اقتحامٍ وهجوم. لهذا بعيداً عن ثقل لحظة وصول الوسيط بالطلب الأخير، فرؤيتهم لطارق كانت أشدّ وطأة.

الوسيط الجديد كان محتلفاً عن سابقه، جسده ضخم ومفتول العضلات، بينما كان سابقه نحيلًا وأصغر عمراً. حتى حضوره وسلوكه بعيداً كل البعد عن طارق رجل التوصيل غير الدود، بدا حازماً وغير راضٍ، ينظر إليهم كأنهم أطفال خبيثوا ظنّه بطريقةٍ ما. كان يرتدي معطفاً جلدياً أسود، ويضع قبعة تُخفي وجهه عن الكاميرات، رآه آدم ينظر بعيداً عنها، وكان سريعاً في معرفة مكان كلِّ واحدةٍ في طريقه من البوابة حتى الباب الخلفي للمنزل. أسرع الثلاثة لاستقباله هذه المرة، رغم وصول طلبيةٍ من بعد حادث طارق، لكنهم لم يروا عامل التوصيل، وجدوا الصناديق أمام الباب بدون أي تواصلٍ معه. لكن شكّ آدم أن الوسيط الجديد الذي أمامهم لم يكن هو من قام بها. ربما لأن هذا الطلب على الأخصّ مُميز عمّا سبق. دخل الوسيط ذو المعطف الجلدي البيت دون أي حديث، سحب خلفه عربةً مُستطيلة فوقها صندوق معدني مُغلق، ترك العربة في وسط المطبخ، ووقف الثلاثة يُحدقون بها، تبدو كتابوت.

سأل الوسيط بصوتٍ خشن: «من منكم آدم؟»

لم يجبه أحد، شعر آدم أنه مُتهم، وفكّر فيما سيقول للدفاع عن نفسه. هذا الطلب ضروري، يعلم الراعي هذا، ليس بنتي أي شيء خاطئ أو غريب... ربما غريب، لكن ليس غير قانوني... بالتأكيد هذا ليس قانونياً.

رفع يده ثم مدّها في محاولة لمصافحته. لم يُصافحه الوسيط، وضع يده بداخل المعطف وأزاحه للخلف، ورأوا مُسدساً يطلُّ من الداخل، أمسك بشيءٍ في جيبه، ووضعها في يد آدم.

قال الرجل: «هذا الهاتف الجديد. أعطني القديم، وهاتف الوسيط السابق أيضاً.»

ذهب آدم ليحضر الهاتفين دون تردّد وقال بينما يُسلمهما له: «لم نجد أي معلومات عليه. وأزلنا كل الصور.»

حدق الرجل بالهاتف وقال: «سنرى.» ثم التفت وقال قبل أن يتجه للباب: «سأكون بالجوار.»

«من هو؟» سأل زين قبل أن يرحل الوسيط الجديد، مُشيراً للصندوق.

«شخص مُطابق لمواصفاتكم.» قال وفتح الباب، وخرج تاركاً الأربعة معاً.

«إذن السؤال المهم.» بدأ آدم في الحديث لكسر الصمت الطويل: «ماذا سندعوه؟»

قال زين مندفعًا: «لا أظنّ أنه من اللائق أن ندعوه بأي شيء، هذا ليس فأرًا.»  
قال آدم بنبرة حزينة: «أقصد الرجل، الوسيط الضخم.»  
أومأ زين في ارتياحٍ وقليل من الذنب. آدم ليس بهذا الجفاء، فوجهه كان الأكثر شحوبًا بين الثلاثة. نظر آدم إلى الهاتف وفتحته.

اقترح يوسف: «طارق ٢.»  
حاول زين الابتسام لكنه لم يقدر وعلق وجهه في وضع نصف ابتسامة.  
«أيمن.» قال آدم ورفع الهاتف أمامهم، وقال في تعجب: «هذا الرقم الوحيد المسجّل بجانب رقم الراعي، لقد كتب اسمه!»

قال يوسف: «لا يبدو كمجرد عامل توصيل.»  
سأل زين: «هل هو حارسٌ ما؟ يُشبه المصارع.»  
أجاب آدم: «لا أظن ذلك. ولكنه ليس مجرد وسيط.» عاد بنظره إلى التابوت. فأني عامل توصيلٍ سيُجلب هذا. لكن لا يُمكنهم قضاء باقي الليل في محاولة حلّ لغز الوسيط الذي ليس بمجرد وسيط، لا يمكنهم تجاهل ضيفهم. نظر الآخرون للتابوت أيضًا.

كان زين أول من تحدّث: «متى سنبدأ؟»  
أجاب آدم: «الآن. الانتظار يُقلل من فُرص النجاح.» قال آدم وأمسك بمقدمة العربة.  
تنهّد ثم سحّبها تجاه باب القبو. «ما زلنا لا نعرف كم من الوقت سننتظر حتى تكتمل عملية التشفير والتحميل مع جسدٍ بشري. لدينا الكثير من العمل أمامنا.»

تطلّب منهم نقل التابوت أسفل السلم وقتًا أطول مما ظنّوا. كاد يسقط منهم مرة أو اثنتين، لو كان ضيفهم حيًّا لكان قد امتلأ جسده بالكدمات خلال تلك الرحلة القصيرة. وضعوا التابوت بجانب الآلة، ووقفوا يلتقطون أنفاسهم. مرّوا بتلك العملية عدة مرات مع الفئران، فقاموا بخطوات التشغيل الأولية تلقائيًا دون تفكير، حتى الخطوة الأخيرة. تجمّدوا أمام التابوت.

قال يوسف: «هذا سخيف. هذا علم.» ثم فتح التابوت المعدني ليكشف عن حقيبة سوداء وسط أكياسٍ من الثلج، صدمتهم الرائحة أولًا، غطّى آدم وجهه محاولاً منع أي نوبة قيء. وتراجع زين للخلف سريعًا. أراح يوسف أكياس الثلج في حذرٍ وساعده آدم عندما رأى أن يده ترتجف.

كان الجوّ باردًا في القبو، ولم تساعد أكياس الثلج في الأمر. بدت كل الأصوات في المكان عالية لسببٍ ما. صار طنين الكهرباء، وحركة الفئران في أفاصها مُزعجة لدرجة إيقاظ الموتى. ارتعش الضوء أعلاهم عدّة مرات، توقفوا ونظروا إليه. لم يكن هذا أيضًا غير مُعتاد، لكن في تلك اللحظة صار كل شيءٍ يُشبه مشهدًا من فيلم رعب.

قال يوسف: «لنرفعه على الفراش.»  
سأل زين: «ألن نُخرجه من الحقيبة أولًا؟»

قال آدم بعد القليل من التفكير: «سنكشف عن رأسه فقط؛ فلا نحتاج أكثر من ذلك.»  
أمسك آدم بمقدمة الحقيبة، ويوسف بأخرها وزين من الوسط ورفعوها. كانت أثقل مما ظنّوا. وضعوها على الفراش، وابتعدوا.

قال زين مشيرًا لمقدمة الحقيبة: «أظن وضعه مقلوبًا.»  
أمسك آدم بزمام الحقيبة وكنم نفسه وفتح فتحة صغيرة لإنهاء هذا الشك، ثم أغلقها سريعًا. أعلن عن النتيجة: «رأيت شعرا، ليس مقلوبًا.»

تحرك كل منهم لموقعه، وقف زين أمام شاشة الحاسب، ويوسف خلف لوحة التحكم المتصلة بالأسطوانة. وآدم بجانب رأس الحقيبة.

ظهرت شاشة البدء على الحاسب أمام زين. ضبط الإعدادات، ثم اختار (ملف جديد) وكتب (التجربة الأولى). أبعده يده عن لوحة المفاتيح، وقال: «مستعد.»

فتح آدم الحقيبة، وكشف عن الرأس. أزاح الحقيبة للخلف في حركات ميكانيكية سريعة وحذرة. ثم رأى يوسف يُمدق في زُعب بضيفهم. نظر آدم إلى وجهه، ثم تراجع للخلف. ابتعد زين عن الشاشة حتى اصطدم بالمكتب خلفه.

قال زين بصعوبة، مستندًا إلى المكتب: «هذا ...»

أجاب آدم بصوت منخفض: «نعم، هو.»

صاح يوسف: «وماذا يعني هذا؟ هل قتله الراعي؟»

شعر آدم بمعدته تتقلص، وتعتثر تفكيره. بصوت ضعيف أجاب: «لا، لا يمكن.»

«كيف تعلم؟» قال زين متوسلاً أن يُعطيه إجابة ترضى لهذه الكارثة. لكن لم يجدها.

طلب يوسف في حزم: «مع من نتعامل يا آدم؟»

سأل زين: «هل هذه منظمة إجرامية ما؟»

كرّر يوسف سؤاله: «من هو الراعي يا آدم؟»

«لا أعلم هويته حقًا.» أدار آدم وجهه، لا يريد رؤية جسد الوسيط، ولا يريد رؤية رفاقه الآن، حتى يعود زُشده، حتى نزول نوبة الفرع هذه.

اقترب منه يوسف، وقال بصوت أقل حدة: «هذا غير مقبول، هذا قتل.»

قال آدم: «لم يقتله ...» يجب أن يُصِرَّ على دفاعه حتى يجد ما يقوله، يجد سببًا، أو منطقيًا ما يُسيطر على الوضع. حتى إذا لم يُصدقه فعليًا.

سأل يوسف: «كيف تثق به هكذا؟»

لم يكن لديه خيار آخر. يجب أن يُشاركهما السبب. أجاب آدم: «لأنه يعرف أُمي.»

نظرًا إليه في دهشة. حاول آدم السيطرة على نفسه قبل أن يُكمل: «لا أثق بأحدٍ ولم أثق بالراعي، ليس قبل ... أن يُرسل لي صورةً لأُمي، يعرف عنها الكثير وقال إنه لا يظنُّ موتها انتحارًا أيضًا، ولكنه ليس لديه أدلة ... مثلي.»

توقف للحظات ليتكلم لهم فرصة التفكير فيما قاله ثم أكمل آدم بنبرة أكثر هدوءًا: «لدينا هو.» أشار للجسد أمامه. «إذا قتله الراعي، هل سيُرسله إلينا ومعنا الشيء الوحيد الذي يُمكننا معرفة الحقيقة بواسطته؟»

ابتسم يوسف في استنكار وقال: «ثم؟ كيف سنتأكد أنه الراعي في الذكرى، لا نعرف شكله، كان بإمكانه إرسال تابع ... أو وسيط لهذا. ثم إذا تأكدنا هل يُمكننا فعلاً إبلاغ الشرطة؟»

«شرطة! وكيف يُمكننا تفسير هذا الوضع؟»

شعر آدم أنه يفقد السيطرة على أعصابه. أنه مُحاصر. لقد حاول أن يخمد كل شكوك ريفيقه بالراعي فور ظهورها منذ معرفتهما به، حتى إذا كانت لديه شكوك خاصة به. حاول إخفاءها بشدة والآن عادت إلى السطح، حفرة سوداء تُهدد نجاحهم، وولاءهم للآلة.

قاطعهما زين: «لا داعي لاستنتاجاتٍ غير مبنية على حقائق. لا يُوجد أي شيء مؤكد الآن. وليس أمامنا خيارات عديدة. أولًا لنتأكد من نجاح التجربة، ويُمكننا التفكير في خطوتنا التالية بعد أن نرى ما استخرجته نيموسين من ...»

توقّف زين باحثًا عن كلمة مناسبة له: «الشاهد.»

كان الكلام مفاجئًا، وهو قادم من زين. لكن شعر آدم بالشكر تجاهه لنزع فتيل هذا الوضع. فقد توقّف الجدل. وبدا

أن يوسف يشعر بالشيء نفسه، فقد أوماً أخيراً. في الحقيقة، لم يُرد أيُّ منهما الاستكمال في هذا الجدل، فالوصول لطريق مسدود كان حتمياً.

\*\*\*

جلسوا في هدوءٍ في انتظار، بينما مرّت الدقائق حتى صدر صوت توقّف الأسطوانة من الآلة، فتوقّفوا عن الحديث، وعلى الشاشة ظهرت جملة:

### Mapping Complete

قال زين: «٢٠ دقيقة.» ودون ملاحظة في الحاسب اللوحي بين يديه. نظرا إليه في إرهاق. عاد زين إلى شاشة الحاسب، وأضاف بينما يعمل: «حسناً، الذكرى محفوظة. ومُكّننا الاستكمال لاحقاً.»  
نفض يوسف، وتوجّه للوح التحكم لفصل العملية، ولكن أوقفه آدم قائلاً: «لا، سأفعلها الآن.»  
قال يوسف: «ستتلقاها أنت؟»

«نعم، ما زلت لم تتعاف بعد من ارتجاج، وتحتاج زين أكثر منّي إذا ظهرت أي أخطاء في البرنامج. ثم أدرجت عدة فحوصات لمخّي سابقاً في الآلة، بينما كنّا نختبرها من قبل، لن نُضطرّ للانتظار طويلاً لإكمال عملية التوافق.»  
قال زين بنبرة غير مُقنعة: «لم لا نرتاح الليلة؟»

قال آدم: «سأخذ المخبّر، سأنام الليلة أفضل من كل الليالي السابقة.»  
رأى آدم القلق يُسيطر على ملامحهما، وأدرك أنه فاز بالجدال السابق. خوفهما عليه سيغلب أي شكوك وأفكار كان يُمكن أن تُورقهما طوال الليل، هكذا سيؤجل معركة الراعي، ويُبدلها بالتفكير في نجاح نيموسين وسلامته. يتمنى فقط ألا يندم على قراره هذا.

لم يعتقد آدم أنه رأى سقف القبو من قبل، لم يخطر له النظر إلى أعلى ليراه، حتى وإن كان نظر تجاهه من قبل. السقف مكوّن من الحجارة والعماميد الخشبية، لم يكن كسقف العُرف. فكّر ربما سيرّمه ويطلبه لاحقاً، لكلّ من سيستلقي على فراش الآلة مثله الآن. لم تُعجبه فكرة أن في مكانه، ومنذ قليل، كانت تنام جثة، يسكن الجسد حالياً المبرد. فكّر؛ ربما عليهم أن يطلبوا فراشاً مختلفاً خاصاً بالشاهد. ألصق يوسف أطراف الأسلاك برأس آدم، ونظر تجاه الشاشة. جلس آدم في مكانه، وألقى نظرة على الشاشة أيضاً.

قال آدم: «تأكد من أن الإعدادات مُلاءمة للبشر، ليس الفئران.»  
ضرب زين رأسه بكفّ يده وقال زين: «كدت أنسى ...» ثم ضحك بعدما اتسعت عيننا آدم حتى كادت أن تهزّب من محجّريها. أدرك أنه مُتوتر، لكن محاولة المزاح لم تنفع.

قال يوسف ولم يقدر أو يُحاول منع القلق من الطغيان على صوته: «لا تمزح هكذا.»  
ابتسم زين ابتسامة صغيرة وقال: «كل شيء مضبوط من ناحيتي.»  
استلقى آدم مجدداً للحظات، ثم نفض وقال: «من سيحقنني بالمهدئ؟»

حدق زين بالشاشة في تجاهل، بينما أمسك يوسف بالمحقن وقال: «سأفعلها، أختي طيبة.» وكأن هذا كافٍ. وربما أراد القليل من الانتقام منه. وقف بجانب آدم، وأمسك بذراعه. ابتسم له آدم وأشار إليه بالبدء. لكنه كان متوتراً، وأدخل السنّ الرفيع في ذراعاه في حدّر زائد.

لم يتأوّه آدم واستلقى مجدداً.  
«تمنّوا لي أحلاماً سعيدة.» قال آدم ثم أغلق عينيه، واستمع لصوت الآلة تبدأ. ثم قرّر فتحهما. رأى فوقه ضوء الأسطوانة يدور بسرعة، ابتعدت الأصوات كلها تدريجياً. شعر بثقل في جفنيه، لم يُرد إغلاق عينيه، أراد مراقبتها أطول فترة ممكنة.

\*\*\*

فتح عينيه وحدق بسقفٍ آخر. كان مُستلقياً على فراشٍ آخر. فجأة ففز من فوقه، خذلته ساقاه للحظة، وكاد أن يسقط، ولكنه لم يتوقف، وركض. لمح شخصاً يلحق به ويصيح: «أين تذهب؟»  
لم يفهم زين ما يحدث، كان دوره في مراقبة آدم الذي لم يستيقظ من التجربة الأولى بعد، ولكنه غفل للحظات ليوظفه اندفاع آدم من فوق الفراش وركضه للخارج. «أين تذهب؟» صاح وركض خلفه.  
لم يتوقف وأجّه إلى السُّلم. يُفكر فقط بالهرب. صاح الصوت من خلفه ينادي: «يوسف، يوسف!»  
هبط زين خلف آدم للطابق السفلي. سمع يوسف النداء، فخرج من المطبخ ليجد هذه المطاردة. «ماذا يحدث؟» سأل يوسف ولم يُجبه أحد. فلحق بهما.

لم يكن البيت واسعاً بما يكفي، وسرعان ما اختفت من أمامه خيارات الهروب. ولم يقدر على المتابعة؛ فجسده ثقيل ورأسه يتحطّم تحت ضغط جلود مُشتعل. أمسك أحد بكتفيه، فدفعه دون تفكير. التفت ووجد نفسه أمام أريكةٍ ضخمة؛ فانقلب فوقها وسقط على الأرض.

\*\*\*

هل رحلت يا أخي؟» يقول الفتى، وعيناه مُتلتنان بالدموع، فيضمّه لصدره، ويلف ذراعيه حوله ويكي معه.

\*\*\*

نظر يوسف لزين في حيرة، ووجد نفس التعجّب على وجهه. حدّق بآدم على الأرض.  
سأل يوسف: «ماذا تفعل؟» وقف فوقه ومدّ ذراعَه تجاهه.  
لم يمك آدم بها وأجابه بصوتٍ مُرتاب، وما زال على الأرض: «يطاردني.»  
قال يوسف: «من؟ لا أحد هنا.» ونظر زين حولهم ليتأكد أن المكان خالٍ.

\*\*\*

يصدر صوتٌ بوقٍ عالٍ، تندفع السيارة من زاوية الشارع الضيق وتنطلق خلفه، قفز قلبه ويركض بأقصى سرعة وتزداد سرعة السيارة.

\*\*\*

نفض مندفعاً وقال: «يجب أن أهرب ...» ولكن جسده خانه وسقط مجدداً، أسرع زين لمساعدته على الجلوس. لكنه حاول الفرار ثانية؛ فجلس يوسف على ركبتيه، وأمسك بذراعيه ليُبقيه مكانه.  
سأل يوسف: «ماذا به؟» موجّهاً كلامه لزين، فلم يظن أنه سيحصل على إجابة مُرضية من آدم. لكنه لم يحصل عليها من زين أيضاً، الذي حرك كتفيه لأعلى في حيرة.  
حدّق بالشاب القلق الذي جلس أمامه وسمع صوته: «آدم، ركز ...» كان مألوفاً، سأله: «ما اسمك؟»  
لم يُجبه. كان يلتفت حوله، يحاول استيعاب المكان. «أين سيهرب؟ الشارع ضيق.»  
أمسك زين برأسه بين يديه ضاغطاً على وجنتيه، ووجّههما نحوه وقال: «أنت آدم، عمرك ٢٨، تُحب فيلم (Seven) ولعب (البلاي ستيشن)، لعبتُك المفضلة هي ... (Assassin's Creed)»  
حدّق به مُستمعاً لما يقول وأدرك أنه مُخطئ، فقاطعه: «لا... (Dark Souls)»  
أزاح آدم يدي زين من على وجهه، واعتدل.  
سأل يوسف: «أنت بخير؟» وجهه شاحب، لم يتذكّر آخر مرة رأى هذا الخوف على وجه يوسف. كان زين مُتماسكاً أكثر منه.  
قال آدم: «أنا بخير.» وضغط بكفه على جبهته، فرمى يهدأ الألم قليلاً.

ساعده ليجلس على الأريكة. جلس ولمح وجهه في انعكاس التلفاز. نظر ليوسف وزين، لم يتركهما القلق لثانية. أحضر زين له كوبًا من الماء، وجلس بجانبه، بينما ظل يوسف يحوم حولهما.

قال يوسف أخيرًا: «علينا الذهاب للمستشفى.»

نظر إليه آدم وقال: «لا داعي. مجرد صداع سخي.»

قال يوسف ولم يقدر على إبقاء صوته منخفضًا: «لم تعرف من أنت؟»

ابتسم آدم كأنه سمع مزحةً ما وقال: «هذا سخي، أعرف من أنا.»

سأله يوسف: «إذن لم ركضت هكذا؟ ومن يُطاردك؟»

حملق آدم بوجهيهما، لم يُجِب، ظهر على وجهه الحيرة، وكأنه لا يعرف عمَّ يتحدثان. أدرك يوسف أنه لا يتذكر، فأشار إليهما بالنهوض سريعًا: «سندهب الآن؟» ولم يبدُ أنه سيقبل أي نقاشٍ آخر، لم يعترض.

\*\*\*

وقف أمام دولابه يُحدق به وبين يديه حقيبة، يُخرج بعض الملابس في عشوائية، ويضعها بالحقيبة ثم يخرج من الغرفة، ويتجه إلى طاولة في الصالة. عليها هاتف صغير. هاتف الراعي. يترك الحقيبة ويُمسك به. يرتجف أصبعه فوق زرّ الاتصال ثم فجأة يقذف بالهاتف تجاه الجدار، يرتطم بصورة مُعلّقة، ويسقط على الأرض محطّمًا. تبتسم والدته في الصورة، وتحمل طفلًا بين يديها وهو بجانبها.

\*\*\*

«آدم! آدم!» نادى زين من مكانه في مقعد السائق. كان آدم ساكنًا وعيناه مغلقتين، مال جسده واستند إلى باب السيارة الخلفي.

قال آدم: «أنا مُستيقظ.» دون أن يفتح عينيه. «تأثير المخدّر فقط.»

سأل يوسف: «والصداع؟»

«ما زال هنا.»

«أوشكنا على الوصول.»

\*\*\*

كان الوقت مبكرًا في الصباح والجو باردًا. لكن شعرت ندى بحرارة تندفع في دماغها عندما اكتشفت أن الثلاثي في مشفاها. انطلقت في اتجاه غرفة الأشعة، ووجدت يوسف أمامها، تنهدت في ارتياح، يبدو بحالٍ جيدة، وقف بجانبه زين. ولا ترى آدم.

«ماذا تفعلون هنا؟ أين آدم؟» سألت سريعًا ولم تترك لهم فرصةً للإجابة، فتحت باب الغرفة الملحقة بغرفة الأشعة ودخلت، بعد عدة لحظاتٍ خرجت وسألت: «لماذا يخضع آدم لأشعة على الرأس؟»

تردّد يوسف قبل أن يقول: «مجرد فحص روتيني.»

حدقت به في ضيق، لا تُصدقه بالطبع وتُظهر ذلك بكل ملاحظها ولُغة جسديها.

قال زين: «لديه صداع ...» فكر أن الحقيقة هي أفضل طريق، ليست الحقيقة كاملة بالطبع.

«منذ متى؟»

«ساعة ...» أجاب زين وأدرك أن المحادثة تتجه إلى الحضيض، ليست لديه إجابات لما سيأتي.

خرج آدم في الوقت الملائم وابتسم عند رؤيتها. «حظنا الجيد يجعلنا نأتي دومًا في وقت مناوبتك.» ثم مال مُقتربًا من يوسف وهمس: «قلْتُ لكما أن نذهب لمشقى آخر.»

«لا يُوجد مشفى أقرب.»

سألت ندى: «ماذا يحدث هنا؟» حاولت أن تكون صارمة، فيجب أن تفهم حتى تُقيّم الوضع، حتى تعرف كيف تتصرف. وكيف يمكنها مساعدتهم، أو حتى حمايتهم من أنفسهم. ولكن صوتها ارتعش في آخر الجملة خوفاً.  
قال يوسف لتهدئتها: «كل شيء بخير، لا تقلقي.»  
وكانه ينتظر هذا القول، ترنح آدم من دوار مفاجئ، واستند إلى الجدار وتقيأ. أسرع ندى وأمسكت بذراعه قبل أن يسقط وأمسك يوسف بذراعه الأخرى.

\*\*\*

وقف يوسف مع زين خارج غرفة المستشفى ورغم اعتراضات آدم، أصرت ندى على إجراء بعض التحاليل الإضافية. دخلت ندى الغرفة ويدها جهاز حاسب لوجي.  
وانتظر يوسف حتى تغلق الباب ليقول: «لا يُعجبني هذا.»  
قال زين: «في الحقيقة توقعت رد فعل مُشابهاً.» وحدث به يوسف في تعجب ينتظر التفسير. أكمل زين: «أفصد، طريقة تعامل المخ مع ذكرى دخيلة. ربما وضعته في حالة صدمة وارتباك.»  
«كأنه انفصل عن واقعه الحالي كلياً. لهذا كنت تُعرفه بنفسه؟»  
«نعم، ظننتها أنسب طريقة ليعود.» تنهد زين ثم ابتسم وسأل: «لكن أتعرف ماذا يعني كل هذا؟»  
علا صوت ندى من الداخل، ولكنه لم يكن مفهوماً.  
أجاب زين على سؤاله: «إننا نجحنا... هي تعمل.» وحاول كتم حماسه نظراً لمكانهم الآن.  
تنفس يوسف بعمق يحاول أن يفعل مثله ثم قال: «هيا، يجب ألا نتركه أكثر من ذلك في التحقيق بالداخل.»  
دخلا الغرفة، وجدّ آدم يجلس فوق الفراش، وأنبوب المحلول مُعلق في يديه، وندى تُحدق في جهازها في إمعان. ابتسم لهما آدم، في ارتياح لدخولهما.  
سأل يوسف: «كل شيء بخير؟»  
«معها يا رفاق...» قال آدم مشيراً للجهاز بيد ندى: «دليل بصري على مدى روعة محي.»  
«معي،» بدأت ندى ثم وضعت جهازها تحت ذراعها وأكملت بسخرية: «دليل على وجود تورم طفيف في المخ.»  
سأل زين: «هل هذا خطير؟»  
أجابت ندى: «ليس بهذا القدر.» ثم نظرت لآدم وسألت: «لكن ما الذي سبب هذا؟ لم تتعرض لأي حادثٍ أو صدمة؟»

«ليس حقاً.»

«هل فقدت الوعي خلال اليومين السابقين؟»

«لا...»

«هل الصداع مُتكرر؟»

«لا.»

تنهدت وخطت مقتربةً من الفراش، ثم همست: «هل لهذا علاقة بمشروعكم الجديد؟»

قال يوسف مندفعاً: «لا، هذا مجرد أبحاث. كيف يكون هذا له علاقة بأي شيء؟»

سألت: «لا أعلم، لم يظهر أحدكما كل فترة بإصابة في الرأس؟»

«حوادث.» قال يوسف وكأنه سؤال: هل تقبلين هذه الإجابة؟

فتحت فمها ثم أغلقتها. فقدت الأمل في هذه المحادثة. «أتعرفون ربما أنتم عباقرة، لكنكم تتصرفون كحمقى معظم

الوقت. وليس لديّ الوقت لهذا.» قالت وخرجت.  
أسرع زين ويوسف لجانب فراش آدم وعيونهم مليئة بالأسئلة.  
سأل زين في حماس: «إذن هل تتذكّر؟»  
لم يُجبه فوراً. رأى زين خوفاً في عينيّ آدم، وانتقل إليه الشعور سريعاً. أمسك آدم برأسه مجدداً.  
سأل يوسف: «هل ما زلت متألماً؟ هل أجلب أحداً؟»  
هز آدم رأسه: «أنا بخير.»  
قاطعهم دخول أيمن الوسيط الجديد. أغلق الباب خلفه في هدوء. لم يُلقِ حتى التحية. نظر إلى كلِّ واحدٍ منهم يتفحصه.  
كلما رأوه يشعرون أنهم ارتكبوا خطأً ما وعلى وشك تلقي العقاب.  
سأل يوسف: «ماذا تفعل هنا؟»  
سأل أيمن بصوتٍ رزين: «ماذا تفعلون أنتم هنا؟»  
قال آدم: «ليس من شأنك.» عقله يدور بسرعة، ماذا إذا علم الوسيط أنه في المشفى بسبب نيموسين وأخبر الراعي؟  
ربما سيقلق من صحّة مشروعهم، ربما سيُخيفه الوضع، ربما سيتراجع ويتركهم. لذا بدا دفاعياً، غاضباً حتى. أضاف: «ليس  
عملك أن تستجوبنا.»  
«أعرف عملي جيداً. هل تعرّضتم لهجومٍ آخر؟»  
قال آدم: «لن أُجيب عن أسئلتك.»  
ابتسم أيمن وكأن مقاومة آدم مُسليّة. نظر إلى الأرض وتقدّم عدة خطوات في ببطء حتى وقف عند نهاية الفراش.  
قال يوسف: «يجب أن ترحل. سنطلبك عندما نحتاجك.»  
أمسك الوسيط بمسند الفراش فجأةً وبقوة جعلت الفراش يهتز وادم يجفل.  
قال أيمن: «طلب الراعي منّي أن أسألك بعض الأسئلة ... يعرف إجابتها الوسيط الراحل.»  
نظر الفتيان لبعضهم، عقل الخلية يعمل بسرعة، لم يكن لديهم خيار آخر حالياً، فلا يُوجد ما سيقولونه سيجعله يرحل.  
ولا يُمكنهم قول إن التجربة فشلت، ليسوا حتى متأكّدين.  
اختار الوسيط أن سكوّتهم معناه الانصياع وبدأ في الكلام: «لننته من هذا سريعاً. أول سؤال هو: تقرّب منك شخص  
ما وطلب منك بعض المعلومات، من هو؟»  
تنهد آدم وقرّر مجاراته بقدر استطاعته، فأجاب: «لا أعلم.»  
سقط كتفا زين في إحباط، وحدّق يوسف بآدم يُحاول قراءته.  
أكمل أيمن أسئلته: «ماذا عرض عليك؟»  
«لا أعلم.»  
«ومتى كان آخر مرة قابلته بها؟»

\*\*\*

«اكتب لي العنوان.» يقول الرجل ويضع ورقةً بين يديه. «سأعوّضك عن تعبك.»  
يسأله ويحاول إبقاء صوته ثابتاً، قوياً: «ماذا سيضمن لي أنك لن تتخلّص منّي بعد أن أكتبه؟»  
«وهل تضمن الطرف الآخر بعد ما فعلته؟ لا يوجد ضمانات لأي شيءٍ في الحياة يا حسن.»  
يرى طرف السكين، ويرى عينيّ الرجل، كصبيّاد يتطلّع لفريسته.  
\*\*\*

«قبل قليل.» هس آدم، تحركت عيناه بعشوائية وكأنه لا يرى للحظة وأكمل: «ليلاً.»  
وضع زين يده على كتف آدم وهزّه، ظن أنه سيفقد نفسه مجدداً: «آدم!»  
نظر أيمن إليهما في تعجب، ثم قرّر المتابعة: «ماذا طلب منك؟»  
نظر آدم لعيني أيمن. وأجاب بصوتٍ مرتجف: «عنوان.»  
«عنوان من؟»

تنفس آدم بعمق وكأنه يخرج من تحت سطح الماء، ثم مسح بعض قطرات العرق الخفية من جبينه. بعد أن عاد تركيزه  
وقال: «عنواني!»

\*\*\*

صوت عجلات السيارة عالٍ وهي تخدش الأسفلت. لم يعد قادراً على الركض. ورغم برودة الجو، كان قميصه  
مبتلاً من العرق. ينظر خلفه، هل ما زال يطارده؟ هل ما زالت السيارة خلفه؟ لم تسنح له فرصة التحرك. شعر بنفسه  
يطير ثم يصطدم بسطح صلب والأرض الباردة أسفله. وجاء معها أقسى ألمٍ شعر به يوماً. توقف جسده عن  
الاستجابة لأي أوامر منه.

\*\*\*

انتفض آدم من مكانه، وكان هناك كهرباء بجسده. وتسارعت أنفاسه وكأنه يركض. تراجع أيمن للخلف.  
«أظن أن هذا يكفي ...» قال يوسف موجهاً كلامه لأيمن، وحاول أن يكون حازماً، لكن قلقه طغى على صوته.  
تجاهله الوسيط وسأل: «هل أعطيتّه العنوان؟»  
هز آدم رأسه نفيًا، وقال بصوتٍ مختلفٍ دفاعي: «لا، هذا نفوذي الوحيد.»  
نظر يوسف وزين لبعضهما، في حيرةٍ من تقلب طريقة حديث آدم. وتساءلا إذا كان لاحظهما الوسيط أيضاً.  
سأل أيمن، عيناه مليئة بالفضول: «وماذا حدث بعد ذلك؟»  
أغلق آدم عينيه بشدة. ثم فتحهما وبدا أكثر ثباتاً: «صدمته سيارة ومات.» لكن فقط لفترةٍ قليلة، وعاد الخوف والحيرة  
لملاحمه. رفع يده وكأنه يريد أن يُشير إلى أيمن، ولكن توقف في منتصف الطريق: «كنت هناك، رأيتك ...»  
«كيف تعرف ذلك؟» سأل أيمن في دهشة، جهلُهُ بما يفعلون حقاً، كاد أن يدفعه للجنون، ولكنه لم يُرد أن يلاحظ  
هؤلاء الفتية ذلك.

نحس آدم من فوق الفراش، قائلاً: «يجب أن أذهب.»  
أسرع يوسف، وأمسك بذراعه قبل أن يسقط. حاول الإفلات، ونظر حول الغرفة وللوجوه المحيطة به وكأنه لا يتعرّف  
على أي شيءٍ فجأة.  
قال في إلحاح: «يجب أن أرحل الآن.»  
قال زين: «اسمك آدم ... عمرك ٨٢، تُحب البييتزا والقهوة ...» فكر بسرعة، ماذا يُحب صديقه؟ ماذا؟ لم تحرب منه  
المعلومات الآن؟

حدّق بهما الوسيط وعيناه مُتسعة. دفع آدم زين، وركض للباب جاذباً أنبوب الحلول من يده؛ فاندفع خطٌّ من الدماء  
منها. وقبل أن يفتح الباب، فتحته ندى وتفاجأت عند رؤية ما أمامها.  
سألت في دهشة: «ماذا يحدث؟»

أسند آدم يده على الجدار ليستعيد توازنه، ورأى الدماء على ذراعه. رأت الطبيبة الدماء ووضعت يدها فوق الجرح على  
نحوٍ غريزي وضغطت. ركض يوسف ليستعيد ذراعه الأخرى. تركهما آدم يُعيدانه للفراش، وبدأت ندى في تضميد يده في  
تركيزٍ دون أي أسئلة. نظر آدم تجاه يوسف وندى، وابتسم ابتسامةً ضعيفة. قال آدم وقد عادت نبرته الساخرة: «كم أنا

أحرق. نسيث أنني مربوط.»

راقبهم أيمن في فضول ثم تحرك تجاه الباب. شاهده آدم وهو يتحرك، وحاول فهم ملامحه. ثم لحق به زين عند إشارة آدم. قال زين بصوتٍ منخفضٍ ليسمعه أيمن فقط: «ماذا ستفعل؟ ماذا ستقول للراعي؟»  
«إنكم تفعلون شيئاً مروّعاً.» قال ولم يبالٍ بإبقاء صوته منخفضاً. «شيئاً كثيراً للاهتمام.»  
سألت ندى في حزم: «ومن أنت؟ كيف دخلت إلى هنا؟» أوقفه سؤالها قبل أن يخطو خارجاً من الغرفة. ابتسم نصف ابتسامةٍ منعت ردة فعلٍ أفسى من الخروج. وضع يده في جيبه وأخرج بطاقة، ورفعها ليراها الجميع. تجمّدت الغرفة للحظة، ثم عادت إلى الحركة عندما أعاد بطاقته، وخرج من الغرفة وأغلق الباب. لم يُوقفه أحد.  
كانت ندى أول من سألت: «لم كان هذا الشرطي هنا؟» ولم تجد إجابةً مُحددة. فقط عدة اختيارات.  
«هو صديق ...»  
«شريك في العمل.»  
«غرفة خاطئة.»

تنهّدت ندى في خيبة أملٍ ثم كادت أن تضحك. أبعد آدم يدها عنه عندما حاولت تركيب الأنبوب في يده الأخرى وقال: «علينا الذهاب الآن. لدينا الكثير من العمل.»

\*\*\*

لم يتحدثوا في طريقهم للمنزل. كل منهم في حالة ذهنية خاصة به، كلٌّ منهم يحتفظ بأفكاره للوقت الحالي. لكن بمجرد دخولهم للمنزل وإدراكهم بعودتهم إلى منطقة راحتهم وسرهم. لم يقدرُوا على منع أفكارهم من الهروب خارجهم.  
قال زين: «شرطي!»  
سأل يوسف آدم: «هل كنت تعلم بذلك؟»  
«بالطبع لا.» قال آدم ثم رمى نفسه على أقرب مقعدٍ يُقابله.  
شبّك يوسف ذراعيه، وقال في ضيق: «إذن، هل نصب لنا الراعي فخاً؟»  
«ولم؟ أفهمه في الواقع. أن يُكلف الراعي شرطياً ... بمساعدتنا.» أجاب آدم وهو يحكُّ جلده حول الضمادة على ذراعه.

قاطعته زين: «أو مُراقبتنا.» وجلس هو الآخر، ثم أضاف وملامح وجهه مُنكمشة في نفور، يتدكّر الدماء: «توقّف عن الحكّ.»

أطاعه آدم ثم أكمل: «أقصد أن أفضل تطبيقات الآلة هي مع الشرطة. فوجوده منذ البداية منطقي.»  
قال يوسف: «لم تُحدد لمن سُنقدم الآلة وتطبيقاتها بعد، لم يُقرر الراعي ذلك وحده؟» ثم بدأ يتحرك في الغرفة ذهاباً وإياباً.

تنهّد آدم، يُرهقه الحديث، وحلقه جاف. لكنه قال: «فكّر في الأمر، وجوده له عدة منافع. من يُمكنه توفير الشهود لنا غيره؟ وحمائتنا من هذا العدو المجهول؟»  
أكمل يوسف، وقد هدأت نبرته قليلاً: «وكم يعرفون بأمر مشروعنا الصغير غيره من الشرطة، هل يعرف رئيسه ورئيسه؟»

لم يُفكر آدم بإجابته، فكان هذا بديهياً. قال: «الراعي مُهتم بالسرية أكثر من أي شيء، لا أظنه أطلع غيره بشأن مشروعنا الصغير.»

«هناك الكثير من الظنون والتخمينات، هذا ليس مريحاً.»

قاطعهما زين: «دعكما من كل ذلك، ألا تظنان أن هناك ما هو أهم لمناقشته حالياً؟»  
نظروا جميعاً في اتجاه المطبخ وباب القبو.

نظر زين تجاه آدم وسأل في تردُّد: «هل ما زلت تشعر بالارتباك؟»  
«لا ... أنا بخير.» نهض آدم ومشى تجاه المطبخ. وحاول بثَّ الهدوء في صوته على قدر استطاعته. أراد أن يكون بخير وأن يبدو كذلك، حتى إذا لم يكن متأكدًا بعد. فتح البراد وأخرج زجاجةً من المياه، وشرب نصفها جرعة واحدة.  
سأل يوسف: «إذن تتذكر ما رأيته؟»

عاد آدم للغرفة واستلقى على الأريكة قبل أن يقول مبتسماً: «نعم، تذكّرت.»  
ابتسم زين ابتسامةً بسيطةً وكأنه احتاج إلى هذا التأكيد وجلس يوسف أخيراً.  
سأل زين: «لكن ألم تستطع التمييز بينها وبين ذكرياتك؟ كنت كالملبوس سابقاً.»  
حاول آدم الإجابة بموضوعية، كعالم يتحدث عن تجربة. لا مجال لأي شيءٍ آخر. «لم أقدر على التمييز في البداية. ظننتُ أنها ذكرياتي ...» توقف ليبحث في عقله، ثم أكمل: «لكن أظنُّ أن هناك اختلافاً. هناك إحساس ما في الذكريات الأخرى وكأنك تتذكر حلماً.»

«إذن نجحنا فعلاً؟» قال زين في حماسٍ فجأة ثم نظر ليوسف: «كنت خائفاً بسبب هذا الخطأ.»  
قال يوسف: «هذا ليس نجاحاً ... كاملاً.»  
نهض آدم جالساً وسأل: «أي خطأ؟»  
حدّثا به وتذكّرا أنه لا يعرف عمَّ يتحدثان.

قال زين مفسراً: «خلال التجربة، خرجت الآلة عن السيطرة قليلاً، وكأنها تدور في حلقة ... قراءة، وتحميل في الوقت نفسه.»

سأله آدم، وحاول إخفاء توتره: «وكم استمرَّ ذلك؟»  
أجابته زين: «ثماني دقائق ... كنتُ أفكر بفصل الكهرباء تماماً. لكن لم نعلم كيف سيكون تأثير ذلك عليك؟»  
سأل آدم: «وكم استمرت العملية كاملة؟» خوفه الأول كان من أجلها، الآلة. وليس من أجل ارتباطه ببيتٍ مُستمر من ذكريات شخصٍ ميت.

قال يوسف: «أربعاً وثلاثين دقيقة.»  
أسند آدم ظهره للخلف في خيبة أملٍ وقال: «هذه زيادة كبيرة مقارنة بالفقران.»  
عدل زين من وضع نظارته وقال: «توقّعنا ذلك. مع زيادة حجم البيانات، سيزداد الوقت. ثم ما زالت تتعلّم. سيقبَلُ الوقت تدريجياً.»

ظُلُّوا في صمتٍ للحظات قبل أن يكسره يوسف: «أقترح أن نوقف التجارب البشرية مؤقتاً. حتى نُعيد النظر في كل ذلك.»

أوماً زين. ونظر كلاهما تجاه آدم. أدرك أن أي شيءٍ سيقوله الآن سيقابل اعتراضاتٍ وجدالاً آخر. لم يُحب فكرة العودة إلى الخلف خطوة. لكنه رأى قلقهما. لن يكون ذلك مفيداً لجودة عملهما. سيُعيق هذا التوتر كل ما يفعلونه إذا رفض. سيُعطيها الوقت لتزول كل المخاوف، أو لتصل لحِدِّ يُمكنه العمل معه.  
قال أخيراً: «حسنًا، كما تُريدان.»

\*\*\*

من الكتاب الإرشادي للقسم:

Last Memory Reconstructor: هي تقنية تساعد على حلّ جرائم القتل عن طريق إعادة بناء اللحظات الأخيرة من حياة الضحية استنادًا إلى آثار الذاكرة في مجّه. هذا يُتيح رؤية شاملة للأحداث والأشخاص والظروف المحيطة بوفاتهم، مما يوفر خيوطاً وأدلةً كانت غير متاحة سابقاً. يساعد ال LMR في تحديد الشهود، وإعادة بناء الأحداث. كما يُتيح LMR للعميل التعرّف على المشاعر التي شعر بها الشاهد خلال لحظاته الأخيرة، مما يوفّر فهمًا أكثر عمقًا للدوافع والعلاقات المعنية.

قد لا تكون دائمًا الذكريات المستخرجة تمثيلًا دقيقًا للأحداث الفعلية؛ بسبب عوامل مثل الصدمات، أو التآكل، أو عملية التعنّن مع مرور الوقت. وفي هذه الحالة لا توفّر الذكريات وحدها فهمًا كاملاً للظروف المحيطة بجريمة ما، لذا يجب على المحققين دمجها مع تقنيات وأدلةٍ أخرى لتكوين صورةٍ أكثر دقّة. لا يُمكن تطبيق هذه التقنية في الحالات التي لا يزال فيها الأفراد على قيد الحياة أو إذا كانت ذكرياتهم غير مُتاحة بسبب أمراضٍ عصبية أو عوامل أخرى.



## الشاهد الأخير

لم يكره المناوبات الليلية مثل باقي زملائه في القسم. معظمهم لا يكون متحمسًا للبقاء في المبنى حتى وقت متأخر. لم يكن هناك الكثير منهم في هذا الوقت، فقط موظف واحد من كل قسم. واحد من القسم الطبي وواحد من القسم التقني وعميل واحد وهكذا. هذا في الغالب بسبب طبيعة عملهم التي منحت المكان شعورًا غريبًا وغير مريح. فهذا المكان للموتى أكثر من الأحياء، كما سمع من العملاء هنا، لكنه لم يكن منزعجًا. كان عميلًا جديدًا، وعلم أنه يجب عليه تحمّل نوبات ليلية ومهام مُملة أخرى أكثر من البقية.

لم يُصدق نفسه عندما اتصلوا به وأخبروه أنه رُشح لبرنامج العملاء. كان توظيفًا خاصًا، ولم يكن من أجله شخصيًا. يقوم قسم التحقيقات الخاص بالتوظيف كل عامين أو أكثر، وعندما تواصلوا معه كان قد مرّ ستة أشهر فقط منذ الجولة الأخيرة. بذل كل ما بوسعه لاجتياز الاختبارات والتفوّق في جميع المقابلات. ومن بين ثلاثة وعشرين شخصًا، هو الوحيد الذي قُبِل كعميلٍ جديد. كان الحظُّ بجانبه، ربما لأن هدفه سام، هدفه العدالة.

\*\*\*

وقفت الدكتورة ندى أمام الطاولة المعدنية وفوقها الشاهد الجديد. كانت تأمل في ليلة هادئة، وحطّم آمالها هذا الشاب المستلقي أمامها، وتلك الإصابة التي تُحملك بها. سيُشكل هذا تحدّيًا لها. لم تكن إصابة هيّئة، لكنها مُستعدة لها. هي ليست هاوية. وطالما استدعاها زملاؤها لمساعدتهم في مثل هذه التعقيدات. ابتسمت في فخر.

لا بأس، ستنهي الأمر سريعًا، رغم قلة العاملين وقتها. فتح الباب شاب، ودخل بخطواتٍ واثقة، تضاءلت تدريجيًا كلما اقترب من الجثة. حتى توقف تمامًا أمام الشاهد. رأسه مكشوف. حدّق به دون كلام. حَمَّنت الطيبة أنه العميل الموجود حاليًا. ابتسمت له، لتطمئنه.

كان المعمل غرفةً مُستطيلة، جدرانها بيضاء، إلى اليسار هناك مكتب ومُثبت فوقه شاشة رقيقة ولوحة تحكّم، أمامه كرسيّان لونهما أسود. وعلى طول الجدار تراصّت صناديق رمادية، ببعضها فتحات مُستطيلة صغيرة، ومصابيح دائرية مُضيئة، ومفاتيح تحكّم. في الجانب الأيمن كان هناك باب وبجانبه ما يُشبه الخزانة مُمتدة حتى السقف. وفي منتصف الغرفة، مُعلقة بذراع ضخمة مُتصلة بالسقف والصناديق بكابل عريض، أسطوانة قصيرة ورفيعة طرف مُحيطها معدني وداخلها زجاجي.

قالت ندى: «مرحبًا.» نظر تجاهها ولم يُرد، فتحت الجهاز اللوحي الخاص بها وقرأت: «العميل يزن .. هذه مرّتك الأولى ...»

تنهّدت، وكرهت حظّها هذه الليلة. دومًا تأخذ المرة الأولى ضعف الوقت، من كثرة الأسئلة وشرح كلّ الخطوات، مع أن العملاء من المفترض أن يحفظوا كتاب إرشادات القسم ظهرًا عن قلب. لا يُزعجها هذا في معظم الأحيان لكنّها مُرهقة هذه الليلة.

«حسنًا يا يزن. لا تقلق، سننتهي من الأمر سريعًا.»

لم يقل شيئًا. فكرت: «هل ازداد وجهه شحوبًا؟ هل هذه جثته الأولى أيضًا؟ هل هو على وشك التقيؤ؟»

قالت لكسر الصمت: «هذا الشاهد مُميز، هو مشهور لحدّ ما.»

وجذب هذا انتباهه فأكملت: «ظننتُ أنني رأيتُه في مكانٍ ما، حتى أدركتُ أنه مقدم برنامج أونلاين، لا أتذكر اسمه، هذا الذي يُحاول فيه حلَّ القضايا القديمة.»

قال يزن: «أصداء الموتى.»

ابتسمتُ مُجددًا وقالت: «نعم، أنت مُحق. لا أتابعه، لكن أختي الصغيرة تُحبه، سيُحزنها ما حدث له.» ثم التفتت للجنة في حزن. «حسنًا، لا داعي لتضييع الوقت. أرسلتُ طلب الإذن القضائي لاستخراج الذكرى باسمك. لا يتطلَّب هذا وقتًا طويلًا. لكن يُمكنك الانتظار بالخارج حتى يأتي.» ظننتُ أنَّ خروجه من المكان ربما سيُهدئه. أومأ لها، ثم ألقى نظرةً أخيرة على الشاهد وخرج.

عندما عاد بعد عشر دقائق، كانت جالسة على الكرسي أمام شاشة التحكم وعيناها مُغلقتان. فتحتهما عندما سمعته يقول: «حصلتُ على الموافقة، يُمكننا البدء.»

قالت إنه لا يتطلَّب وقتًا طويلًا، لكن عشر دقائق كانت رقم قياسيًا جديدًا. ربما بدأ حظ هذه الليلة في التغيُّر. «هذا رائع.» قالت وباشرت في الكتابة على لوح التحكم بسرعة، ثم قفزت واتجهت إلى الجنة. «يُمكننا الانتهاء من هذا والعودة إلى المنزل. هل تُصدق أنني في هذا المعمل منذ ستِّ وثلاثين ساعة.» بدأت في تحريك طاولة الشاهد تجاه الأسطوانة المعدنية الضخمة في وسط المعمل، وساعدها. «أنا آسفة لأن مُناوبتك سيزيد وقتها، فلا يُمكنك ترك القسم حتى بعد إدراج الشهادة كاملة، والفحص الطبي. تعرف كل هذا بالطبع.»

عادت إلى الشاشة وضغطت على زرِّ، فأضاءت الأسطوانة وبدأت تدور بسرعة حتى صارت حلقة تُشعُّ ضوءًا. تراجع يزن حتى وقف خلف الطيبة، يراقب الآلة في ذهول. لم يكن قد رآها تعمل مباشرة من قبل، بالطبع رأى صورًا وفيديوهاتٍ في أثناء المحاضرات التعريفية للعاملين، لكن الوضع مختلف في الحقيقة. الصوت المتزامن مع حركة الضوء جعلها تبدو خيالية، من عالمٍ آخر.

قالت ندى وعيناها تعكسان الضوء الصادر من الآلة: «جميلة، أليس كذلك؟» أومأ في هدوء، لم يقدر على الإنكار. فهي جميلة، لكنها جميلة كثقوبٍ أسود يتلعب الضوء. مخلوق سماوي يتحاور مع الموتى، فجماها مُربيع. حدق بها يزن حتى ألمته عيناه، ونظر بعيدًا.

بعد بضع دقائق، أعلنت ندى انتهاء العملية. قالت: «كنتُ قلقة قليلًا، بسبب هذا الجرح في رأسه. لكن النتيجة جيدة.» ثم ضغطت على عدَّة مفاتيح أخرى وقالت: «مستعدُّ يا يزن.» أخذ نفسًا عميقًا ثم توجه ليجلس على الكرسي الأسود في منتصف الغرفة، تحرك الذراع الضخم، وراقبه يزن حتى صارت الأسطوانة فوقه مباشرة، كقمم مفتوح.

قالت ندى: «في بعض الأحيان، نستخدم مُحدِّدًا خفيًا، سيجعلك أكثر ارتياحًا.» «لا، شكرًا. لا أحتاجه.»

أرادت ندى أن تُحاول إقناعه، أن تقول له إنه لا يحتاج إلى التظاهر بالشجاعة. فمجرد وجوده بالقسم كعميلٍ كافٍ. لكنها تميل أكثر إلى الانتهاء من الأمر، وأن تعود إلى المنزل.

«كما تريد. على أي حال، لن تشعر بألم، لا تقلق، وشكرًا لخدمتك.»

رُكبت بذراعِهِ جهاز مراقبة العلامات الحيوية، وألصقت برأسه دائرتين معدنيتين كالعملات القديمة، وعادت إلى المكتب. بدأت الأسطوانة في الدوران فأغلق عينيه. جلست على الكرسي، وأسندت ظهرها للخلف، ونظرت إلى الساعة، تُعدُّ الدقائق. بعد قليل طرق أحدهم الباب، نهضت في سأمٍ وفتحت الباب ووقفت أمامه.

قال الرجل بصوتٍ مُرهق: «أنا هنا من أجل الجنة لأضعها في الثلاجة.»

سألت ندى: «الجنة، الآن؟» فليس من المعتاد خروج الشاهد حتى انتهاء الإجراء كاملاً، فلم الاستعجال؟

قال الرجل، وصره قليل: «نعم، جنة الشاهد الذَّكر التي أتت الليلة، وتم رفض الإذن.»  
تجمّدت ندى في مكانها لثوانٍ، ثم أغلقت الباب، وعادت لجهازها اللّوحي. نقرت وقرأت: مرفوض.  
مرفوض! لم؟ لم يكن هذا معتادًا، رفض الإذن كان بمثابة إهانةٍ للقسم. فلا يوجد سبب يقف أمام تحقيق العدالة، لم تر  
خلال أعوامها الأربعة بالقسم غير حالتي رفض فقط. ثم لماذا قال يزن إنه حصل على الموافقة؟ نظرت إليه في تعجّب. ربما  
قام بشيءٍ خاطئ، ربما لم يفهم. هل هو أحق؟ مهما كان السبب، فهي الآن تقوم بعملية غير مُصرّح بها، ويمكن أن  
يتسبب هذا في فصلهما معًا.

طرق الباب مجدّدًا، عادت إلى الرجل وقالت: «تعالَ بعد عدة دقائق.» وأغلقت الباب دون أي تعقيب.  
أسرعت للشاشة التحوّل، وبدأت في عملية إيقاف التحويل. لكن حدث شيء غريب، لم تتوقف. لم تستجب لها الآلة.  
ثم بدأت في فعل شيءٍ أكثر غرابة، حلقة مفرغة من التحويل والتشفير. عصّت ندى أصابعها، لم تُواجه هذا الخطأ من  
قبل، لم تقرأ حتى عنه. لا يمكن أن يصير هذا اليوم أسوأ.  
حمّلت جهازها، وسارعت بالبحث، لكن عن ماذا؟ فكّرت في الاتصال برئيسها في القسم، أو أي شخص. لكن فجأة  
أضاءت الشاشة مُعلنَةً انتهاء العملية بنجاح. حدقت للحظة حتى تأكّدت أنها انتهت فعلاً، ثم أخذت نفسًا في راحة.  
نظرت إلى يزن من خلف الشاشة، عيناه ما زالت مغلقة.  
طرق الباب مُجدّدًا، فنهضت مُزعجة. وفتحت الباب في عُنف. لكن انزعاجها تحوّل سريعًا إلى هلع عندما رأت الطارق.

\*\*\*

#### من الكتاب الإرشادي للقسم:

تعمل التقنية من خلال حقن أجهزة بتكنولوجيا النانو في الفص الأمامي لمخ الضحية، تقوم بمسح مبدئي لتحديد  
صلاحية المخ والحفاظ على المسارات العصبية للذكرى حتى بدء الإجراء، كما تقوم جزئيًا بتنقيح المسارات للذكرى الأخيرة.  
بعدها تُستخرج البيانات ورسم الخرائط العصبية بواسطة LMR وإدخال البيانات المستخرجة في حاسبٍ كميّ. يقوم  
الحاسب بفكّ تشفير وإعادة بناء بيانات الذكرى، مُتضمنةً الحواس والمشاعر والأحداث التي عاشها قبل وفاته.  
كما يقوم بعملية رسم خرائط عصبية للعميل، حيث يُحلل نشاطه العصبي الفريد. وتُشفّر الذكريات المعاد بناؤها إلى  
صيغةٍ متوافقة مع المسارات العصبية للعميل. يحول الجهاز المعلومات إلى إشارات عصبية. ثم تُنقل الذكريات المشفرة إلى  
المسارات العصبية للعميل. وتؤدّي إلى استثارة حواسّه، مثل الصور البصرية، والأصوات، والعواطف، والإحساسات  
الجسدية. وتندمج الذكريات التي تم تلقّيها مع الحالة الذهنية الحالية للعميل، وتخلّق سردًا للأحداث، فيتّم إدراكها وفهمها  
كذكرياتٍ ذاتية.

## ٦. البيت رقم ٤١

فتح آدم عينيه، لم يدرك متى غاص في النوم. لكنه أدرك أنه احتاجه، ولم يكتفِ منه. ما زال الوقت ليلاً؛ فقرّر أن يُعلق عينيه وأفكاره مجدداً. لكن قبل أن يفعل ذلك، رأى وسط ظلام الغرفة عند مؤخرة الفراش ظلّاً وقف بلا حراك. تنهّد آدم ومسح وجهه بيده.

«لست مُضطرباً لمراقبتي طوال الليل، أنا بخير. اذهب للنوم.»

لكن الظلّ لم يُجِب ولم يتحرك. نهض آدم جالساً في سأم. وقرّر جرجرة صديقه خارج الغرفة إذا لم يستمع إليه. لكن في ضوء القمر الضعيف الذي دخل من النافذة. رأى أنه لم يكن زين من يقف أمامه، ولا يوسف. الدماء على وجهه، وشفاهه الزرقاء جعلته يتأخّر في التعرف عليه. كان الوسيط السابق، أو حسن. وقف متجمّداً، لا يتنفس. شعر آدم بقلبه يقفز داخل صدره ومعدته تتقلص. هل يلحم؟ لا يزال نائماً؟ لا. لم يتحرك في البداية، ثم اندفع من فوق الفراش إلى الجانب الآخر من الغرفة، وأشعل أقرب ضوء وصل إليه، هذه الهلوسات، هذه الأشباح تخشى الضوء. لكن لم يخشَ زائره الضوء. ظلّ واقفاً في الضوء مثلما في الظلام. وهمس بصوتٍ خافت بشيء لم يفهمه آدم. ألمه رأسه وصدر صوت بوق سيارة عالٍ في الغرفة.

\*\*\*

يركض بأقصى سرعة في الشارع. تصدمه رائحة التوابل المختلطة، بينما يمرّ بمتجر عطار. الوقت ليلاً، ولكن التاجر لم يُعلق متجزه ولحه للحظة. عقله في حالة فزع، يفكر في الركض لأبعد مسافةٍ وإلا سيلحق به مُطارده.

\*\*\*

ليس مُجدداً. حاول آدم التركيز وأغلق عينيه وردّد هذه الكلمات برأسه. «أعرف من أنا، اسمي آدم أبو علم. أعمل مع زين ويوسف ... عنواني، بيت رقم ٤١ ... شارع ...» لم يُكمل، وفتح عينيه. فتحهما وكان وحيداً بالغرفة. ظلّ ساكناً ليلتقط أنفاسه، ثم هبط للطابق السفلي وإلى القبو. أشعل الضوء وقابلته الآلة، قابضة يشعّ من معدنها البرودة. أم من المبرد؟ أم من داخله؟ انجّه إلى المبرد وأمسك بمقبضه، تنفس ورفع الغطاء بيد مرتعشة. ليجده فارغاً. لم ينهض طارق من ثباته ليلاً، ويصعد لئسبب الفزع لآدم. احترق مخه بسبب الآلة، هذا أثر سلبي بالنسبة للشاهد، ناهيك عن كونه ميتاً منذ البداية. إذن كان كابوساً. تأثير الصدمة. تذكر موت شخصٍ بكلّ تفاصيله. هذا ليس حيناً. لكنه سيتغلب عليه. التجربة جديدة وسيعادها قريباً.

\*\*\*

هذا الصباح. سأل زين من عند مقدمة المطبخ: «استيقظت مبكراً؟»، ووجد آدم يجلس شاردًا أمام الطاولة وفوقها كوبان من القهوة. كلاهما مُمتلئ. «هذا لي؟» سأل زين مشيراً للقهوة وأخذها.

ابتسم آدم ابتسامةً واسعة، وتحولت ملامحه لتبدو أكثر ثقّةً ومرحًا. قال عندما رأى زين يرتدي معطفًا: «خارج؟» أجاب زين: «للأسف. سأذهب للمنزل، سأحضر بعض الأشياء. ثم لا يتوقّف عني عن الاتصال. سأحاول إسكاته ببعض المال.»

ظهرت على آدم خيبة الظن. لكن عوضاً عن الدخول في جدال، لن يُشعرهما بغير السوء. نهض وقال: «سأذهب معك.»

«لا عليك ... تحتاج الراحة.»

«لماذا؟» تحرك آدم بالفعل تجاه الأعلى ليرتدي ملبسه، ثم ألقت وأشار إلى جسده وقال: «أشعر بشعورٍ ممتاز.»

«انظروا من ظهر أخيراً.» قال الصوت المرتفع المألوف لابن عمه المفضل، أو الآخر. وقف مستنداً إلى جدار العمارة. ترجّل زين وآدم من السيارة، أمامه. لم يُزر آدم هذا الشارع منذ أعوام، ولكنه شكّ أنه صار أكثر ضيقاً بشكل ما، وقف على يمينه البيت محلّ النزاع، ثلاثة أدوار مُمتلئة بحقدٍ وكُره. تصطدم به رائحة، مقلّيات من متجر قريب تُذكره بأنه لم يأكل منذ فترة. تقدّم زين تجاه قريبه، وأخرج نقوداً من جيبه، ومدّ يده تجاهه. أخذ التوءم المال، وبدأ في عدّها، مُبتسماً.

قال زين: «أظنُّ هذا سيكفي الإيجار للشهور القادمة.»

وضع كامل أو كمال المال في جيبه قبل أن يصيح بصوتٍ مُزعج، معلناً وصول زين. لم تمرّ بضعة لحظات حتى تصاعد صوت الصباح من الشرفة في الدور الأول. نظر زين وآدم تجاهها. تجهمّ زين وتسارعت نبضات قلبه، لم يُردّ الدخول في مشاجرة.

«هل يتهيأ لي أم أن زوجة عمّك صارت فاتنة؟» سأل آدم بصوتٍ ساخر، وجعل زين يبتسم.

«ربما تحتاج إلى أشعة أخرى على الرأس.» قال زين قبل أن يسقط الكتاب فوق رأسه.

خطأ آدم للخلف في دهشة. أعلاهما بدأت زوجة عمّه بقذف الأشياء من الشرفة. رفع الاثنان أيديهما مُحاولين تفادي قذائف الكتب والملابس.

صرخت زوجة عمّه: «خُذ خردتك معك.»

صاح زين: «ماذا تفعلين؟»

ردّت ويديها كتاب ضخم: «سنؤجّر مكانك.» ثم قذفته، تحرك آدم سريعاً ليبتعد عن مساره، سقط الكتاب أمام قدمه. انحنى ليُمسك به، ونفض عنه الغبار قائلاً: «هذا كتابي، كنت أبحث عنه.» ثم ألقى زين بنظرة اتهام.

لم يُجبه زين وقال سريعاً: «أعطيتُ ابنك الإيجار حالاً.»

نظر ابن عمّه تجاه الشرفة وقال: «لم آخذ قرشاً منه يا أمي.»

من ذهوله لم يَر زين الكتاب التالي وهو يسقط. اصطدم بكتفه، فانحنى زين وتأوّه في ألم.

صاح آدم: «كفي، كفي... سنأخذ أشياءه ونرحل.»

سألت زوجة العم في تقرُّز: «ومن هذا؟»

صاح لها ابنها من أسفل بصوتٍ أعلى من الضروري: «صاحب زين الغني.»

قال آدم بصوتٍ مُغرٍ وكأنه يعرض الحلوى على طفل: «نعم، غني. تريد المال أليس كذلك؟»

اعتدل زين وواجه آدم قائلاً: «توقّف.»

توقفت القذائف. ووضع آدم يده في جيبه، وأخرج بعض النقود، نظر إليه ابن عم زين في جشع، عدّ عشرة ثم نظر إليهم، يُقيم الكمية ثم أضاف مثلهم بابتسامة. مد كامل يده ليأخذ المال.

«مثل آخر مرة.» قال آدم وهو يُسلمه المال، وحرص أن يسمعه من بالشرفة.

قال التوءم كاذباً: «لم آخذ اليوم شيئاً منكما.»

أكمل آدم: «لا أقصد اليوم، ربما تنسى عدد المرات التي أخذت بها نقودنا، لكن أنسيت اتفاقنا؟»

تجمّد كمال في حيرة. وحدّق زين بآدم، يقرأ عقله. ثم تزامن تفكيرهما. وكز زين آدم في كتفه وقال سريعاً: «يا أحمق، ليس هذا الأخ.»

سأل التوءم هامساً: «أي اتفاق؟»

وضع آدم يده على وجهه في ندمٍ مُزيف وقال نافيّاً: «لا شيء.»

وضع كامل المال في جيبه، وأمسك بياقة آدم فجأة، في تهديد. أمسك زين بذراع ابن عمه سريعاً ليوقفه.

قال زين بصوتٍ حازم: «توقف!»

اقترب آدم من التوعم وهمس في إعجابٍ مُزيف بقوته: «ربما كنتُ أتعامل مع التوأم الخاطيء منذ البداية، أتريد نفس الاتفاق، ونفس المال؟»

«ماذا يقول لك هذا يا ولد؟» صرخت الأم من الشرفة.

ابتسم الولد، دون أن يُجيب أمه.

نظر آدم خلفه، وقال: «ليس هنا.» بينما ظهر الأخ الثاني من آخر الشارع. نظر الأخ لأخيه الميسرع تجاههم. فدفع آدم وكاد يسقط لولا أن أسنده زين.

طلب آدم: «أعطني هاتفك، سأكتب لك رقمًا للتواصل.»

«لستُ أحمق، لن نقع في هذا مُجددًا، لن أسلم لكما أي هاتف.» قال التوعم ثم أخرج قلمًا، وأمسك بكتابٍ من الأرض ومزّق ورقة، مما سبّب نظرةً ألم على وجه زين.

كتب آدم الرقم، ثم أعطاه له. أخذها التوعم وقبل أن يبتعد ألقى بنظرة اشتمزاز تجاه زين.

قال آدم جملة أخيرة للتوعم بصوتٍ عال: «لا تحتفظ بكل شيء لنفسك.»

صاح التوعم الآخر في غضبٍ تجاه أخيه: «ماذا أعطاك؟»

صرخت الأم من أعلى: «اطلعا أنتما الاثنان إليّ حالًا.»

\*\*\*

تحركت السيارة مُبتعدة، وآدم سائقها. لم يفتقد آدم القيادة، خصوصًا في هذه الشوارع الضيقة المزدهمة، لكنه لم يتدمر.

قال آدم مازحًا: «أنت متأكد أنك قريبٌ لهم؟»

تنهد زين وقال في جدية: «لم يكن يجب أن تُعطيه مالا، لا يستحقه.»

أجابه آدم: «أعطيته أنت مالك بدون حقٍ أيضًا.»

لم يُجب زين، وحدّق خارج النافذة في استياء.

أضاف آدم: «على أي حال، ستحصل على مهلةٍ بينما يبدأ التوعم في الشكِّ ببعضهما.»

ابتسم زين، للحظة شعر كأهم في الماضي. ثم سأل: «أعطيته رقمًا مُزيّفًا؟»

أجاب آدم: «لا، معي هذا الرقم فعلاً.» وأظهر ابتسامة مأكرة. «لنتلاعب بهما قليلًا.»

قال زين في استسلام: «لا يستحقان الوقت أو المجهود، لن أعود على أي حال، سنركز في عملنا فقط.»

سأل آدم: «وهل ستركونك بعدما ننجح، هل عندها سُمكناك تجاهلهم فجأة؟»

لم يُجب زين، ونظر إلى الخارج مجدّدًا، ولم يضغط آدم أكثر، وظلّ صامتًا أيضًا.

بعد عدة دقائق، ظهرت الحيرة على وجه زين وسأل: «آدم، إلى أين تذهب؟»

نظر آدم في الشارع حوله، ثم أوقف السيارة أمام محلّ عطار، للحظة لم يعرف كيف يُجيبه.

قال زين: «جِسْكَ بالطرق لم يتغيّر، انزل. يجب ألا تقودَ في حالتك على أي حال.»

قال آدم منزعجًا: «حالي؟ لا تنشر عني إشاعات.» ولكنه ترجّل من السيارة، وبدّل معه المقاعد.

\*\*\*

لم يكن يوسف وحيدًا عندما عادا. كان معه ضيفان. الأول وسيطهم الشرطي، أيمن. الذي ابتسم عندما دخلا كأخهما

أصدقائه منذ زمن. لكن بدا يوسف منزعجًا في مكانه على الكرسي.

سأل آدم أيمن، دون أي ترحيب: «ماذا تريد؟»

نحس أيمن، وقال في هدوء: «ما هذا الترحيب؟ نحن شركاء عمل. تركتُ لكم هديةً في القبو.»  
نظر زين وآدم تجاه يوسف الذي حكماً على وجهه الشاحب، فالضيف الآخر في القبو حقاً.  
قال زين متلعثماً: «جثة ...»

اقترب آدم من أيمن قليلاً وقال ببساطة: «لم نطلب أي جثة.»

قال زين في توتر، لم يحتج أيمن أن يزيد، فكان جسده مُستعداً منذ بداية اليوم: «توقفت التجارب البشرية ...»  
نظر إليه آدم ليوقفه عندما رأى الفضول على وجه أيمن. وأكمل بصوت واضح: «مؤقتاً، لن نتعامل مع ... جثث.»  
سأل أيمن: «ولكم من الوقت هذا؟»

قال يوسف: «بضعة أسابيع.»

تنهّد أيمن، لم تُعجبه الإجابة: «هذا مزاح، تعرفون أن الوقت ليس في صالحنا. لقد بدأت تجارتكم، لا تترددوا الآن.» هزّ رأسه تجاههم وكأنهم يوافقون على كلامه، ولا ينتظر غير ردٍّ واحدٍ منهم، وأكمل: «حسناً، كم ستستغرقون من الوقت لاستجوابها ... هل أعود الليلة؟ غداً؟»

توقف آدم قليلاً، أدرك شيئاً جلب له راحةً بسيطةً من طريقة كلامه وملاحظه.

أخرج هاتفه وقال: «سأتحدّث مع الراعي.»

زالت ابتسامة أيمن وقال: «يُمكنني التحدّث مع الراعي أيضاً، لم أقل شيئاً عن زيارتكم للمشفى. لا أعرف، لكنها مُقلقة.»

وقف يوسف في غضبٍ قائلاً: «هل تُهدّدنا.»

لوّح أيمن بيديه نائفاً: «لا، يا شباب، أنا أشجعكم. نحن في هذا معاً. نجاحكم نجاح لي أيضاً.»

لا يريد إطالة هذه المناقشة أكثر من ذلك، خصوصاً مع توتر زين المتزايد بجانبه، ونظرة يوسف الغاضبة. سينفجر أحدهما.

وضع آدم هاتفه في جيبه، وقال بصوتٍ رزين: «يُمكنك استرداد الجثة غداً. لكن لن أعيدك بأي نتائج في نفس الوقت.»

قال أيمن قبل أن يرحل: «ليست هذه الروح التي أحبها، لكن سنبقى على تواصل.»

ارتمى آدم على أقرب كرسي. وأسرع زين ليقف أمامه. قال زين: «لا يُمكننا فعل هذا، لن نفعلها.»

وقف يوسف بجانبه وقال: «لن نستمع لهذا الرجل.»

قال آدم وشدّد على كلماته: «الوسيط، الشرطي.»

فهم يوسف ما قصده وقال في حدة: «لن نستسلم لتهديداته.»

سأل زين: «هل طلب الراعي هذا؟»

أجاب آدم: «لست متأكداً، لا يبدو أنه يعرف أي تفاصيل عن نيموسين، لكنه رأى شيئاً أثار فضوله. ويريد أن يختبره.

ويبدو أن الراعي يُعطيهِ صلاحياتٍ أكثر من الوسطاء السابقين. هو يثق به.»

قال يوسف مستاءً: «إذن، ماذا تقترح؟ أن نبدأ التجارب البشرية مُجدداً، وبأيّ منّا سنُضحي؟»

جلس زين على الكرسي، وقد أرهق جسده التوتر. وفرك آدم عينيه، شعر بالنعاس فجأة، وتذكّر أنه لم ينم بدرجة كافية:

«لا تكن درامياً، أقول فقط إنه ليس لدينا الوقت الذي ظنناه. يجب أن نُسكته سريعاً.»

«فنعطيه ما يريد؟ سيطرق بابنا كلَّ يوم بجملةٍ أخرى.» قال يوسف، ثم أضاف في سخرية: «ربما يستغلنا ليحصل على

ترقية.»

قال آدم: «لن أسمح له باستغلالها. مبدئيًا، يُمكننا أن نجعل نيموسين تقرأ الذكرى، لتتخلَّص من هذه الجثة.»  
لم يبذُ يوسف مقتنعًا بهذا، وكان على وشك الاستمرار بالجدال. لكن آدم لم يرد ترك له هذه الفرصة، فنهض وتحرك مُتجهًا للأعلى. لكنه توقَّف في المنتصف، وسأل بصوتٍ ظهر فيه قلق لم يُرده: «هل سأل عن ... حس ... طارق؟»  
أجاب زين: «أخذ الجسد بالأمس يا آدم.» وظهر القليل من التعجُّب عليه. سأل زين: «أنت بخير؟ أليس كذلك؟»  
«لا تنشر الإشاعات قلتُ لك.» قال آدم دون أن ينظر إليهما، واختفى بالطابق الأعلى.

\*\*\*

لا يريد الذهاب للقبو. خاصةً أن هناك جثة تنتظرهم بالأسفل. لحسن الحظ لم يرها عندما أتت، ولا يُريد رؤيتها الآن. لم يُقل لصديقيه، لكن وجه طارق الشاحب يُطارده. يجب أن يعتاد هذا، فسيطول تعاملهم مع الموتى طالما تقوم الآلة بعملها. فكَّر ماذا يفعل الأطباء أو أخصائيو التشريح، لا تزال الوظيفة قائمة، ولا يزال يعمل بها الناس. يجب ألا يخشى الموتى، ربما يخشى من جعلهم هكذا، جسدًا عاجزًا فقط، عملهم هو ما سيُعيد له الأمل.  
استجمع شجاعته، وخرج من غرفته، وهبط السلم ثم توجه للقبو. المنزل هادئ أكثر مما كان في الأيام الفائتة. كلُّ من صديقيه في غرفته، ربما نائمان. يجب أن ينهض قريبًا، إذا كانوا سيُسلمون الجثة غدًا. وإذا كانوا سيُباشرون التجارب البشرية مجددًا. مهما كان المقرَّر حدوثه، فهناك عمل يجب القيام به. وبينما يُفضَّل الأخران البقاء في غرفهما حاليًا، لم يُرد البقاء وحيدًا لأفكاره.

أراد زين أن يشغل عقله بشيءٍ عدا فيلم ذكريات اليوم الذي يتكرَّر داخله. شعور الإهانة والغضب والخوف، كل شيءٍ مُتناقض داخله، ظن أنه لا يهتم بهذا البيت وظلم عائلته، ولكنه اهتمَّ. ظن أن كلَّ ما يفعله هو رمي بعض النقود في وجههم طواعية، لكنه يفعل أكثر، وليس طواعية، خضوع. ظنَّ أنه ينتظر في صبر، وسيأتي اليوم الذي سيكون معه اليد العليا، فهو المظلوم، معه الحق، ولكن لن يأتي، كل ما فعله هو الهروب من المواجهة. إذا أراد هذا اليوم، فعليه أن يجلبه بنفسه. هذا ما فعله آدم ويوسف معه في الماضي، جلبا الأوقات المُنتصرة. مثلما أنقذه آدم اليوم، سيجعل الآلة أكثر أمانًا وكفاءة، هكذا سيجلب سلاحًا جديدًا، درعًا آخر.  
أضاء القبو ونزل.

\*\*\*

شعرها طويل مُسدل على كتفيها، وفستانها حريري يُغطي قدميها، هو أبيض رغم أن الأسود هو كل ما بيده، وقرز ألا يضع غمامةً على عينيها، فهي ليست إلهة العدل، هي إلهة الذكريات، هي ترى كل شيء.  
وضع يوسف القلم من يده وأمسك بالورقة يتأمل ما رسمه، تأثير آدم كان فعالًا، فكلمًا فكَّر بالآلة بالقبو الآن، فكَّر بما كنيموسين، إلهة خيالية. وليست مجموعة من الدوائر الكهربائية والأسلاك. ابتسم في سخرية، دع الأمر لآدم ليحيك الخيال داخل الواقع. الفتى لديه موهبة حقيقية في جلب خياله وإجباره على الحياة. كما لديه موهبة في الإسراع داخل كل خطرٍ مُمكن. إذا أراد شيئًا، لا يُهم إذا كان أمامه حفرة بركانية وبها عدة تنانين وهواء مُسمَّم، فسيففز ويسبح ليصل إلى ما يُريده.  
يجب ألا ينزعج لهذا الحد، فآدم رجل بالغ، ليست مُهمته أن يحملها ويسرع به بعيدًا عن التنانين النارية، فقط كصديقه يُشير إليه أن نارها تحرق، وعليه هو أن يُقرر ما سيفعل. وسيُضطر حينها لتفادي كل الوحوش التي سيجلبها بقراراته حتى ينجح هذا المشروع. يجب أن تنجح، فقد هجر كل شيء من أجلها، يجب أن يجعل نيموسين أقوى. وعندها لن يُضطر للهجر مجددًا. لن يهجر عملاً، أو حياةً مجددًا، لن يهجر ندى، لن يفعل مجددًا.  
شعر بحرارة في وجهه، مشاعره تغليه. ولا فائدة من الجلوس والاستماع لها، بدلاً من فقدان نفسه في رسمها، فيمكنه أن يكون معها حقًا، هناك الكثير للقيام به. ثم ماذا يفعل كل منهما في غرفته، وحيدًا، الوقت ليس متأخرًا. سيخرج من غرفته، ويُمسك بهذين الأحمقين من ياقاتهم ويجرهما للعمل.

\*\*\*

لم يكن الأحفنين بعرفهم بالطبع، زين بالقبو مُسبِّقًا، وآدم أمام محل عطارة في شارع بعيد. ترك ذكرى الوسيط تقوده عكسيًا. حتى وصل لبيتٍ قديمٍ مألوف. وقف أمام بابه يُحدِّق، لا يعرف لماذا هو هنا حقًّا، وما الذي دفعه للمجيء. ربما فضوله لمعرفة حقيقة ما حدث وربما هناك سببٌ آخر، وذلك ما خشيته.

«لن تتحكم بي ذكرى الموتى. لم آت بدافع من حسن.» التفت فجأة ووجد أمامه وجهًا آخر مألوفًا.

سأل الشاب: «من أنت؟»

نحيل، ووجهه حادُّ الملامح، هناك خطوط سوداء تحت عيونه التي تُشبه عيون حسن كثيرًا.

«أنا ...» لم يجد آدم الكلمات سريعًا، لم يُجمله عقله كهذا من قبل. ابتلع ريقه وقال: «صديق حسن. أنت أخوه؟»

نظر الشاب حوله في الشارع. ثم سأل الفتى في ارتياب: «ما اسمك؟ لا أعرفك.»

قال آدم: «صديق جديد.»

مرَّ الشاب بجانبه، ووصل لباب البيت، وضع يده في جيبه وقال في لا مبالاة: «لا أعرف أين هو، لم يُعد إلى البيت منذ

فترة، ولا يُجيب على هاتفه.»

شعر آدم برجفة في جسده عندما أدرك أن أخاه لا يعلم ما حدث، لا يعلم أنه مات.

\*\*\*

«لن أكون هنا العام المقبل.» تقول أمُّه، ورغم الدموع في عينيها، يتسم وجهها النحيل ابتسامة ضعيفة. ثم تضع يدها على يده، باردة وترتعش. يضع الغطاء على صدرها ويقول: «لا تقولي مثل هذه الأشياء. سأحصل على النقود، وسُعالجين في أفضل مكان.»

\*\*\*

توقف الشاب للحظة ووجهه انتباهه التام لآدم، وسأل: «هل تعرف شيئًا؟» ظهر على وجه آدم الألم والحزن، ولم يُخف ذلك عن الشاب. أعاد السؤال وقد ملأ صوته القلق: «هل حدث له شيء؟»

هز آدم رأسه، ليُخرج الذكرى من مقدمة تفكيره. لم يقدر على الإجابة. وجدَّ يده تُخرج نقودًا من جيبه، لم يكن القدر الذي توقعه وتذكر أنه قد أعطى ابن عم زين منها صباحًا. مدَّ آدم يده في خجلٍ تجاه الشاب.

سأل الشاب منزعجًا: «ما هذا؟»

«ترك حسن هذا المال معي. من أجلك.» وضع آدم المال بسرعة في يد الشاب المرتبك. وأضاف: «لن يعود لفترة ...»

«

لم يقدر على قولها، لم يقدر على قول الحقيقة. أخذ الشاب المال وابتسم في ضيق. نظر بعيدًا. يُحاول إخفاء ألمه عن الغريب أمامه.

خرجت الكلمات من فم آدم دون تفكير: «لم يُرد الرحيل. كلُّ ما كان يُهمُّه هو أنت ووالدتكما. لكنه اضطرّ ...» «لا أريد أعداءًا.» قال الشاب مقاطعًا بصوتٍ مرتفع جعل بعض المارة يلتفتون تجاههما، نظر آدم حوله، ورأى أحدهم يُحدِّق بهما من على مسافة، هل رآه من قبل؟

أكمل الأخ: «إذا كان يريد قول شيء لي، فليأت ويقله في وجهي، أو لا يأتي إطلاقًا. لا يُهمُّ أي شيء الآن.» ثم دخل البيت بخطواتٍ سريعة، وأغلق الباب في وجه آدم.

نظر آدم تجاه الأرض، شعر بخُزن وغضب وندم، لم يكن يجب أن يأتي هنا. لم يكن يجب أن يضع نفسه في هذا الموقف. هذه ليس طبيعته، أن يقوم بشيءٍ غير مُخطط هكذا كالأحمق.

حاول التنفُّس بعُمق، وأن يُعيد تنظيم أفكاره هو. نظر إلى الباب مجددًا، وحدِّق به، قبل أن يمسك أحد بذراعه فجأة.

التفت آدم ووجد وجه أيمن الميحتين.  
قال أيمن بصوتٍ غاضبٍ: «ماذا تظنُّ أنك تفعل؟» ثم سحبه بعيداً بسرعةٍ كادت تُسقطه مبتعداً عن الباب ورقم المنزل المكتوب بجانبه، منزل رقم ٤١.

\*\*\*

## ٧. الشاهد الثاني

أخرجهما من القبو صوت الصياح، أسرعاً للأعلى ليَجِدَا أيمنَ يمسكُ بذراعِ آدمَ بقوة، ويسحبه من الباب الأمامي للمنزل إلى الداخل.

قال آدم في غضب: «اتركني.»

أسرع يوسف وأمسكُ بذراعِ أيمنَ لِيُبْعِدَهُ. وسأل: «ماذا تظن أنك تفعل؟» تركه أيمن في استياء. والتفت تجاههما. ترنح آدم واستند إلى الجدار خلفه.

بدأ أيمن في التفسير: «بدلاً من العمل، كان صدديقكما يتجول حول بيت قتيل، بيت الوسيط السابق.» نظر يوسف وزين لآدم، ينتظران تفسيره هو. نظر بعيداً، كان متوتراً وغاضباً، سيبقى فمه مغلقاً.

التفت يوسف لأيمن وسأله: «وكيف عرفت أنت؟ هل تُراقبنا؟»

«من الجيد أنني أفعل، ذهب صدديقكم لبيت شخصٍ كُلفَ باقتحام منزلكم، وقُتل من أجل ذلك.» قال أيمن ثم التفت تجاه آدم، واقترب منه قائلاً: «أتظن أن من كلفه بهذا سيتركون الأمر. أو أنهم لا يُراقبون منزل الوسيط؟ ألن يتساءلوا من تكون؟ وضعت نفسك تحت أعينهم.»

قال آدم: «ليس من ضمن عملك مراقبة تحركاتنا.»

قال أيمن: «عملي هو خدمة وحماية هذا المشروع، حتى إذا كنتُ سأحميه من أيٍّ منكم.»

ضحك آدم ضحكةً قصيرة ثم اندفع فجأةً تجاه أيمن، وأمسكُ بياقة قميصه بقوة. تحرك يوسف تجاههما سريعاً.

قال آدم: «ما تفعله هو ما أريده فقط. أنت مجرد وسيط آخر.»

صوته قاسٍ، مُتعالٍ. وكأنه أراد رؤية العالم مشتعلًا مثله، جعل أيمن يتردّد قبل أن يُمسكُ بذراعي آدم ويدفعه عنه. وأمسكُ به يوسف ليمنعه من السقوط.

قال أيمن بصوتٍ صارم: «لن أسمح بمغامراتٍ كهذه مجدداً، ولن يخرج منكم أحداً قبل أن تُعطوني نتيجةً لما لديكم بالأسفل.»

لم يترك لهم فرصةً للمجادلة، ورحل.

قال زين: «يجب أن نطلب تغييره.»

جلس آدم على السلم وحاول أن ينفض الغضب عن تفكيره ثم قال: «هو ليس مُحطّطاً كلياً. لم أفكر بطريقةٍ صائبة. غلبني فضولي.»

قال زين: «كان يجب أن تتحدّث معنا.» صوته به القليل من اللوم والذنب في نفس الوقت.

أوماً آدم، ما زال بداخله آثار الغضب وأدرك أن مُعظمه كان بسببه، وليس الوسيط.

سأل يوسف: «هذا الرجل يصير مشكلة. ما خطواتنا التالية؟»

«لأتحدّث مع الراعي في هذا، يجب أن أقول له إن التجارب البشرية ناجحة. ما لدينا يجب أن يكون أقوى، نحتاج إلى التجربة الثانية. لا نعمل من أجل صالحه، نجاح هذا لصالحنا نحن فقط.»

قال يوسف في هدوء مفاجئ: «كنا نعمل بينما كنت في مغامرتك الصغيرة. أظن أنه يُمكننا الوصول لنتيجةٍ جيدة بحلول الصباح.» تحرك تجاه القبو. تبعه زين سريعاً، وتركوا آدم في ذهول طفيف.

قال زين في سخرية: «ظننتُ أنني سأضطر أن أخرج آدم من فيك عندما اقترح العودة إلى التجارب.»

قال يوسف مُفسراً بينما يهبطان السلم: «يريد آدم أن يفعل هذا، لن يُهم ما سنقوله. فلنُعطه ما يريد.»

زينت الكدمات الزرقاء والأرجوانية عنقها، شفتاها بيضاء وجهها شاحب مائل للأزرق، عيناها نصف مغلقة. لا يحتاج الأمر لطبيبٍ شرعي لإدراك سبب الموت. يستغرق الشخص تقريباً أربع دقائق ليموت مُختنقاً بهذه الطريقة، إذا لم تنكسر عظام رقبته. إذن هل سيرى آدم ذكرى الاختناق كاملة؟ هل سيتذكر ألَمها؟ لم يتذكر ألم حسن. ظنّ أن المخ لم يستطع تخزين هذا الجزء. أو ربما كان محظوظاً فقط. على أي حال سيُعرف قريباً.

نظر إليها نظرةً أخيرة قبل أن يغلق الحقيبة السوداء. لم يستغرق استخراج الذكرى طويلاً. لم يكن هناك ضرر بالرأس، ولم تكن مينةً لفترة طويلة. لا يعلم كيف استطاع أمن تهريب جثةٍ حديثة كهذه، لكن قدرته على ذلك تدلّ فقط على سلطته وحيلته الواسعة. شخص كهذا لن تكون معاداته أفضل طريقة للسيطرة عليه. مجاراته هو ما يجب فعله.

«هل هذا مُمكن في الوقت الراهن؟»

«يعتمد على قدرات الراعي المالية وعدة أشياء أخرى؟»

عاد صوت المحادثة من خلفية عقله. ووجد زين ويوسف ينتظران رأيه. فكر لعدة ثوانٍ ثم تحدّث.

أجاب آدم: «تقنية النانو؟ سيستغرق هذا وقتاً.»

قال زين في حماس: «نعم، لكنها ستُساعد على التغلّب على الكثير، وجود وحدات ذكية في مخ الشاهد لتجهيزه، لقراءة حالته، وربما حتى الحفاظ على خريطة الذكرى أو ترميم أجزاء مُدمّرة. ستعمل كجسر. وكل هذا قبل أن يُقابل الشاهد الآلة.»

قال آدم، وهو يستعدّ لرفع الحقيبة: «هذا يبدو طموحاً للغاية.»

قال يوسف في سخرية، ووقف على الجانب الآخر ليحملها معه: «أنت من اقترحت قراءة ذكريات الموتى من البداية، وتقول على هذا طموحاً؟»

قال زين: «مُمكننا أيضاً تقليل تداخل الذكريات، ستزيد الدقة بنسبة كبيرة.»

«مُمكننا التفكير في ذلك بعد تقديم النموذج الأول للراعي. يجب أن يتأكد من قدرتنا على إكمال هذا المشروع لنأخذ الخطوة أخرى.» قال آدم وهو يُغلق باب المبرد بعدما تركا الحقيبة بالداخل.

نفض يوسف يديه وكأن حقيقة الموتى مليئة بالتراب. نظر زين تجاه الشاشة وقال: «استغرق هذا وقتاً أقل. سبع دقائق.» ثم بدأ يكتب شيئاً على حاسبه.

«يجب أن نبدأ في العمل على تلك الذكريات المتداخلة قريباً.» لم يظن آدم أنه سيحدث كل هذا التداخل في الذكرى المستخرجة. جعله ذلك يُصدق أن من يوشك على الموت يرى شريطاً من الذكريات في عقله. وربما علقت هذه الذكريات مع الذكرى الأخيرة التي أخرجتها نيموسين.

سأل يوسف: «كم نسبة تلك الذكريات التي تعرّضت لها، وهل كانت بوضوح ذكرى ... الحادثة.»

«ربما ثلاثة أو أربعة. ولم يكونوا مختلفين عنها.»

قال زين: «هذا اختراقٌ للخصوصية صريح.»

«لا يُمكننا الحصول على موافقة من الميت، أليس كذلك؟ وإذا كان بإمكاننا ألا نظنّ أن كلّ ضحية ستريد أن تتحقّق العدالة مهما كلف الأمر؟»

سأل يوسف: «وهل تحققت؟»

«ليس بعد، لكن قريباً.» قال آدم بعد قليلٍ من التفكير، ثم قفز على الفراش واستلقى. «زين، جاهز؟»

«الآن؟» سأل زين ونظر ليوسف في تساؤل.

توجّه يوسف للوح التحكم قائلاً: «بيدو كذلك.» ثم شرع في تعديل وضع الأسطوانة.

«ولم الانتظار؟» قال آدم وأغلق عينيه. ثم فتحهما في تأوّه عندما حقنه يوسف بالمخدر بقوة. وبدلاً من المجادلة قرّر الاستسلام للنوم.

\*\*\*

«كم مضى من الوقت؟» سأل يوسف وهو يشعر بالنعاس، وأمسك بجاتفه. نسي أن يتّصل ببندي مع كل هذا. لا يعرف إذا كانت أنهت مُناوبتها أم لا.

أجابه زين، وهو يُجِدق بالشاشة أمامه: «٢١ دقيقة ...» ثم سأل بعد قليلٍ من التفكير: «إلى أي مدّي تظنّ سيتأثر ... بما؟ أعني لقد ظن أنه الوسيط، هل سيظنّ أنه هي أيضاً.»

قال يوسف في سخرية: «تقصد هل سيتحول لفتاة؟» لكن بدأت الفكرة تؤزّقه، لا يعلمون حقاً. وعاد تردّده لإيقاف هذه التجارب.

قال زين: «لا أعرف ...» لم يلتفت من أمام الشاشة، ونقر لوح المفاتيح في توتر.

سأل يوسف: «ما هذه النظرة على وجهك؟»

تنهّد زين، وقال في توتر: «نفس الخطأ ... نفس الحلقة.»

«هل نوقظه؟»

«انتظر قليلاً، أعطها وقتاً، ستخرج.» قال زين وهو يتوسّل الآلة في عقله ألا تُحَيِّب ظنّه. لا يعلم حقاً سبب هذا، وإذا ظلّت على هذا الوضع، ربما يتوقف المشروع بأكمله. أغلق عينيه، وحاول السيطرة على قلقه، ليست أول أو آخر مشكلة، لا داعي لردة فعلٍ مبالغه.

قال زين في نصر: «خرجت! فقط أربع دقائق!» وتنهّد يوسف في ارتياح.

بعد مرور عدة دقائق أخرى، أعلنت الشاشة:

Download Complete

\*\*\*

لم يكن آدم في فراشه. استيقظ يوسف فجأة، وأسرع ليتفقد حالته. خرج آدم من الحمام بعد قليل، بدا واعياً. عندما رآه لفّ نفسه بمنشفة كبيرة حتى أعلى صدره. رفع يوسف حاجبيه في تعجّب، وتذكّر كلام زين.

قال آدم في سخرية: «صباح الخير.» فكان الوقت عصراً. وترك المنشفة وبدأ في ارتداء قميص.

سأل يوسف في تتابع دون التوقّف للتفكير: «متى استيقظت؟ أنت بخير؟ ما اسمك؟»

أجاب آدم: «أنا بخير، وأنت تحتاج إلى قهوة.»

ابتسم يوسف عندما تحيّل كوباً من القهوة بيده.

قال آدم: «هيا، اذهب، وأيقظ شريكنا في الجريمة. لدينا الكثير لنفعله.»

على الرغم من دفء الجو بالخارج، إلا أن القبو دوماً بارد، للحفاظ على الآلة من الانفجار. جلس آدم على كرسي أمام الآلة، وفكّر في أن يُبقي معطفاً بالأسفل. وقف زين أمام اللوح الأبيض، ومسح تفاصيل طلب بيتزا، وأمسك بالقلم وكتب ٦١.

قال زين في بعضٍ من الفخر: «الخير الجيد أننا وصلنا ل ٦١ دقيقة فقط.»

نفض آدم، وقال في حماس: «عظيم.»

«وهل تتذكّر؟» سأل زين ونظر تجاه المبرد حيث تردّد آخر شاهد. «هل نجحت؟»

أوماً آدم دون تفسير.

سأل زين في تردّد: «إذن ماذا حدث؟»

«زين، انظر هنا. أليس هذا غريباً؟» قاطعه يوسف ووضع أمام وجهه جهازه. «استهلكت مساحة أكثر من المرة الأولى.»

«حجم الذكرى يُمكن أن يختلف من شخصٍ لآخر، و...» قال زين ثم أمسك بالجهاز وتوقّف عن الحديث. «لكن ربما هذا أكثر فعلاً...»

أسرع آدم ليقف بجانبهما ويفحص ما على الشاشة في تمعن.

قال زين: «لم يكن هناك مثل هذا الفارق في تجارب الفئران.»

قال آدم: «ذكرى الفئران أقل تعقيداً بكثيرٍ من ذكرى البشر، ونعلم الآن أنه يُمكنها الاحتفاظ بمقتطفاتٍ زائدة من ذكريات الشاهد.»

سأل زين: «حتى إذا كان ذلك قد حدث مع الفئران، لن نعرف.»

بدأ يوسف في الاقتراح: «يُمكننا تعريض فئران الشرودينجر لمناهاتٍ مختلفة على مدار عدة أيام و...»

قاطعه آدم: «لا يُمكننا إضاعة وقتٍ على اختبارات الفئران، هذا عودة إلى الخلف.»

قال يوسف: «كنتُ أفكر أيضاً. ربما يُمكننا توسيع المجال... عن قصد. بدلاً من تلك الذكريات المُتسلسلة. فلنر إذا كان يُمكننا استخراج ذكريات من الذاكرة طويلة الأمد. فكرياً في التطبيقات التي يُمكن أن تُفتح لنا.»

نظر آدم تجاه الآلة، وجهه خالٍ من التعابير. بينما حدّق به زين، كانت الفكرة صادمة بالنسبة له. لكنها مُثيرة في نفس الوقت. إذا صارت نيموسين قادرةً على قراءة الذكريات كلّها من أي شخص. سيقتل الناس من أجلها.

قال آدم: «سيتطلب هذا تغييرات ومجهوداً أكبر. وكنتُ أفكر في هذه الذكريات. أظن أنها آخر ذكرياتٍ استرجعها الشاهد قبل الموت، لهذا تقرأها نيموسين أيضاً.»

لم يقل أيٌّ منهم أنه يظنّ هذه الفكرة خطيرة، فطالما كان هذا خطيراً.

\*\*\*

«لكم من الوقت سنقف هنا؟» سأل الصوت بجانبه. يرى كل شيء خلف شاشة سوداء، وضع يده على وجهه وأزاح النظارة، وسريعاً جعله ضوء الشمس الساطع يُضيق عينيه، لكنه تعرّف على مصدر الصوت مع ذلك. وجد آدم أحد توعم عائلة زين واقفاً بجانبه في ترقّب. قال التوعم: «أنا أتصّبب عرقاً، لا تدفع لي بالقدر الكافي لهذا.»

لم يردّ عليه آدم ونظر حوله. شارع نظيف، به الكثير من الأشجار ولا متاجر عدا محلّ قهوة. ليست منطقة سكنية. ومقابلته على الجانب الآخر من الشارع مبنىٌ ضخّم، واجهته من الزجاج، مُعلّق عليها حروف عريضة:

(T O R K). عرف هذا المبنى، مقرّ شركة تورك للصناعات التكنولوجية. كان حلم العديد ممّن كانوا معه في الجامعة

العمل به، وليس حلمه بالطبع.

سأل التوعم، وظهر توتره في صوته: «هل ننتظر عودة هذا الرجل؟ لديك الصور. فلنرحل؟»

صور! بحث عن هاتفه في جيوبه حتى وجده. فتحه ووجد طوفاناً من الاتصالات الفائتة. تجاهلها وفتح الرسائل حتى وجد الصورة التي ربما هي ما يتحدّث عنها التوعم. ظهر بها نفس الشارع، ليلاً، وبالقرب من البوابة وقف أيمن. هناك عدة صور له يُخرّج من المبنى، ثم يركب سيارته. كان هذا غريباً. ماذا يفعل هنا بالضبط؟ والأغرب من ذلك، التاريخ على شاشة هاتفه. مرّ يوم كامل، ولم يتذكّر آدم منه شيئاً.

استند آدم إلى جانب السيارة، آخر ما يتذكّره هو وجوده مع زين ويوسف في المعمل. فماذا حدث؟ فكّر للحظة في الاتصال بندي، هل احتاج إلى طبيب؟ ربما هذا تأثير التورّم الذي قالت عليه، أم هل صدم رأسه؟ وضع يده على رأسه ليتأكد أنه لا يوجد كدمة أو جرح. رأسه سليم، من الخارج. عليه أن يعود. لم يشعر بأمان حيث كان. فتح باب السيارة

وجلس في مقعد القائد.

وقف التووم بجانب الزجاج وسأل في ملل: «ماذا أفعل الآن؟»  
أجابه آدم: «ما وظَّفْتُكَ من أجله.» حتى إذا لم يعلم آدم بالضبط ما هو.  
بدأ في التحرك بالسيارة، لكنه رأى شيئاً جعله يتوقّف فجأة. خرج وجّه مألوف من بوابة الشركة، جعل جسده يرتعد.  
سريعاً نادى آدم التووم: «أنت! هذا الرجل!» أشار تجاه الرجل، وأمر التووم: «اتبّعه.»  
أطاعه التووم ولم يفعل شيئاً لإخفاء انزعاجه. بعد عدة دقائق، حاول فيها آدم استعادة هدوئه، انطلق عائداً للمنزل.  
\*\*\*

بمجرد وصوله للبيت، قابله وابلٌ من الأسئلة عند الباب.

«أين كنت؟»

«لم لا تُجيب على هاتفك؟»

في الحقيقة لم يكن لديه إجابات لكلّ هذا، بل كان لديه أسئلة أكثر لهما. لم يشأ أن يُقلقهما وجادل نفسه طوال الطريق  
في ما إذا كان سيحكي لهما عن مُعضلته أم لا. سيحملانه لأقرب مشفى، وسيتردّدان أكثر في إكمال التجارب، وربما هما  
مُحقّان.

«أيمن هنا.» قال زين بصوتٍ لا يُخفي قلقه، قبل أن يتفوّه آدم بأي كلمة.

ووجد أيمن جالساً في هدوءٍ وراحة على الأريكة في غرفة المعيشة. وقف آدم أمامه، ثم ابتسم وقال في سخرية: «أين  
كنت؟ بدأتُ أقلق.»

قال أيمن: «لا داعي، لستُ بعيداً أبداً عنكم.»

تمتم زين: «هذا مريح.»

قال أيمن: «لا داعي للإطالة. أظنّ أنكم انتهيتُم من الجئنة.» وضع على الطاولة أمامه ظرفاً صغيراً وأكمل: «سأبدأ  
بالأسئلة الآن.»

جلس آدم أمامه، وجلس زين بجانبه، ووقف يوسف بالقرب منهم في تأهب.

«ما اسمك؟»

انتظر آدم قليلاً قبل الإجابة. أدرك أن تلك الأسئلة ليست موجهة له، بل للشاهد. مثل المرة السابقة، نفس نمط  
الاستجواب. ما زال أيمن لا يدري بما يستخرجونه بالضبط من الجئنة. مهما كانت سُلطته، فما زالت المعلومات المتاحة له  
محدودة.

«لا أعرف.»

«متزوجة؟»

«لا أعرف.»

تنهّد أيمن وسأل: «ألم تنجح تجرّبتمكم؟»

هز آدم كتفيه وقال: «ربما تسأل أسئلة خاطئة؟»

ولن يُساعده آدم في الاقتراب من المعرفة. سيتركه يتعدّب في فضوله.

تنهّد أيمن مُتبرماً، وفتح الظرف وأخرج منه صوراً. أربع صورٍ لأربعة رجال. رضّهم جنباً لجنبٍ وأشار إليهم ثم سأل:

«أتعرف أيّاً منهم؟»

نظر آدم إلى الصور، ثم سمع صوتاً يهمس في أذنه: «لم ... لم؟»

أجاب أخيراً: «شخصياً، لا.»

سأل أيمن بصوتٍ صارمٍ وأكثرَ علوًّا: «مَن قَتَلَ الضَّحِيَّةَ؟ أيُّ منهم؟»  
ابتلع آدم ريقه. الذكرى في مقدمة عقله، وكزَّةٌ صغيرةٌ ويقدر على إخراجها. لكنه ما زال مُتردِّدًا. هذه ليست ذكرياتي.  
قال لنفسه ليهدِّئها. ثم ومضت برأسه الذكرى، كانت سريعة وكان عقله يُقاومها.

\*\*\*

تترنَّح وتقاوم، بينما تضغط يدان على رقبتها بقوة، لا تستطيع التنفُّس. ووجهها مُبتلٍ من العرق والدموع. تهمس  
بصوتٍ مُحتنقٍ: «لم؟»

\*\*\*

وجه الرجل بلا ملامح واضحة، غير شعْرٍ بُنيٍّ ووجهٍ طويلٍ. سمع آدم بكاءها وصراخها. ثم تحوَّل كل شيءٍ لأسود. أعاد  
الذكرى مجددًا، محاولًا إبطاءها قليلًا، حتى يتعرَّف على الوجه. أغمض عينيه. ليست ذكرياتي. بالفعل ظهر الوجه بوضوح  
كافي ليتعرَّف عليه من الصور أمامه. لكنه شعر بحرارة في وجهه وغثيان. لن يظهر أي تردّد أو خوف أمامهم. ليست  
ذكرياتي؟ سعل وأخذ نفسًا طويلًا، وفحص الصور أمامه، ثم أشار إلى صورة الرجل دون كلام.

سأل أيمن: «أنت مُتأكد؟» أمسك أيمن بالصورة ثم ابتسم: «إجابة صحيحة.»

تعجَّب آدم مما قاله وسأل: «إجابة صحيحة! تعرف مُسبقًا؟»

ابتسم أيمن وبنبرة انتصارٍ بسيطة قال: «نعم، اعترف الرجل بالجريمة بالفعل.»

اقترب يوسف من الطاولة، وسأل في استياء: «هل تختبرنا؟»

«تقومون بتجاربكم وأقوم بتجاري. وكل ذلك في مصلحة مشروعنا.»

«توقف!» صرخ آدم وضرب الطاولة بيده بقوة جعلت الصور تطير. أمسك زين بذراع آدم بشكلٍ غريزي، أبعدها آدم  
ووقف قائلاً: «لا يُمكنك فعل ذلك من الآن فصاعدًا، لا تختبرنا ولا تُعطينا أوامر. وتهديدنا! هذا شيء يُمكننا فعله أيضًا.  
ماذا كنت تفعل في مبنى (تورك)؟ مكان رأيتُ به شخصًا آخر مُشترِكًا بيننا.»

توقف آدم عن الكلام، وانتظر ليرى ردة فعل أيمن. كان هادئًا. ولكن للحظة رأى عضلةً أسفل عينيه ترتعش، أدرك أنه  
ضغط على الوتر الصحيح.

أكمل آدم في ثقة: «الرجل الذي هدّد وقتل حسن.»

لم يكن أيمن وحده الذي حدّق به في دهشة. فكلًا صديقيه تفاجأ من كلماته وكاد فم زين يسقط من الدهول. لم يقدر  
أيمن على التعقيب.

أكمل آدم محاولًا محاصرته أكثر: «نعم، مثلما رأيتك يوم مقتله أيضًا. أظنُّ أن هذه ستكون معلومة مُثيرة جدًا للراعي.  
فلا تتصرَّف وكأن لديك أي نفوذ. هذا ليس مشروعنا وأنت قابل للاستبدال.»

«أنت مُحق.» قال أيمن أخيرًا بعد التفكير واستعادة هدوئه. «هذه معلومة مُثيرة. وسيُحب الراعي سماعها وجهًا لوجه.»

حدّق به الثلاثة في تعجُّب. لم يتوقَّع آدم هذه الإجابة، هذا الاستسلام. فسأل: «ماذا تعني؟»

وقف أيمن وقال: «ربما حان الوقت لتُقابله.»

\*\*\*



## ٨. النائم

شاهدان - محارب واحد  
الأعراض الجانبية:  
صداع  
أرق  
تورم طفيف في المخ  
اضطراب هوية  
فقدان وقت

أغلق آدم الكتاب الأسود أمامه في انزعاج. ثم نزع الورقة التي كتبها ومزّقها. لا يُريد تدوين كلِّ هذا. يمكن أن تكون هذه أعراض عابرة. ليست كافيةً لإيقاف التجارب. ربما تؤثره وقلة النوم والعمل بلا توقّف كان لهما يدٌ في هذه الأعراض. سيتحمّلها للوقت الحالي. يجب عليه ذلك. وضع الدفتر في عمق درج. ونظر في هاتفه، الوقت ليلاً، وقد انسحب كلٌّ من شريكه بعد نهار طويل من العمل لعُرفهم. كان الوضع مشابهاً خلال الأيام السابقة، يتنقلون بين القبو وعُرفهم بعد أن تتوقّف عقولهم عن العمل من الإرهاق. في انتظار اتصال الراعي أو أيمن القادم. وعدّهم بمقابلة، ونهاية للعز.

جفناه ثقيلان، ولكنه لم ينتقل للفرش، بدت المسافة بعيدة، وكان جسده يئن. شعر بحركةٍ من خلفه، وقبل أن يلتفت، التفت يدان حول عنقه، وبدأت في الضغط. انتفض من مكانه وأمسك بهما، حاول أن يُعدهما، ومدّ ذراعَه في محاولةٍ للوصول لجسد المعتدي، لكن بلا نفع. أمسكت يده بالهواء. لا يمكن أن يكون بهذا البُعد، لكنه أدرك أن ما يخنقه هو يدان بلا جسد. حاول الصراخ، لكن لا يُوجد هواء كافٍ في رتّيه لذلك. اقترب الظلام ورأى أنه سيستسلم له.

«آدم!» نادى الصوت، صوت زين.

دخل الغرفة مُسرّعاً ووقف بجانبه. جاء لنجدته! اختفت اليدان وعاد الضوء، وعاد الهواء لرتّيه.

سأله زين: «ماذا بك؟ كابوس؟»

لم يعرف آدم إذا كان نائماً أم لا. لكنه أجابه: «بخير، لا شيء.» ومسح وجهه بيده.

راقبه زين لعدة ثوانٍ قبل أن يسأل في فضول: «من هي؟»

حدّق به آدم، لم يفهم سؤاله. ثم أشار زين ناحية هاتفه على الطاولة، حيث أظهرت الشاشة اسم المتصل هي. أنهى آدم المكالمة سريعاً، مما أثار اشتباه زين أكثر. لم ينظر لوجه زين ولم يُعطه إجابة.

ابتسم زين في لؤم وقال: «من تُحِبِّي عَنَّا؟ وهل تعرف أنك أسمىَّتْها «هي» على الهاتف؟»

قال آدم في دفاع: «ليس الأمر كما تظن.»

جلس زين على الطاولة وقال: «هذا ليس شيئاً سيئاً، أتعرف؟»

تنهّد آدم، يعلم أنه لا مفرّ من أسئلته. فقال بصوتٍ منخفض: «حسنًا، ربما كما تظنّ قليلاً.»

«أفرحتي.» قال زين في سخرية: «كنتُ أظنك تتكاثّر ذاتياً. منذ متى؟»

«ليس طويلاً، فقط ... وجددتني خلال وقتٍ صعب، كُنّا وحيدَيْن ... وساعدنا بعضنا.»

أوماً زين، وشعر بقليلٍ من تأنيب الضمير، لأنه لم يقدر على التواجد بجانبه عندما كان وحيداً. علم زين إلى أي مرحلةٍ يمكن أن يصل آدم. حاولا إيقافه مرة. وللحظة كان مُمتنّاً لأيٍّ من تكون هي.

سأل زين: «وماذا ستفعل؟ متى الخير السعيد؟»

«لا شيء. هي تعرف أنني أعمل على مشروعٍ مهم، ولن أُتخذ أي خطوةٍ قبل أن أُهي هذا، ليس قبل أن يكون لدي

شيء لأقدمه.»

هز زين رأسه، وقال في سخرية: «فتيات هذه الأيام، يطلبنّ دومًا أهم اختراعات القرن ليقبلنّ بنا.» ثم أشار بيده لآدم والمكان حولهم وأكمل: «لديك الكثير لتُقدّمه يا آدم. و فقط من معرفتي القليلة، لا تعتمد على صبرها كثيرًا.»

«شكرًا لنصيححتك. إذن، هل يُمكنك أن تُبقِها سرًّا حاليًّا؟»

«هل كل هويّات البشر في حياتك سرية!» قال زين ثم هزّ رأسه موافقة. «بالحديث عن هذا، متى تتوقّع أن يتّصل بنا الراعي؟ ربما يجب أن نتّصل به نحن.»

«لستُ متأكدًا. مرّ يومان فقط ...»

قاطعه زين: «ثلاثة أيام. أكره قول هذا، لكن لا أظنّ أنه يُمكننا التقدّم كثيرًا بدون ... شهود آخرين.»

قال آدم في سخرية: «لا تستطيع العيش بضعة أيامٍ بدون جثةٍ مُخبّأة في القبو!»

قاطعهما صوت الباب يُفتَح، وظهر خيال طويل من خلفه، قال يوسف بينما حكّ عينه: «أنتما مُستيقظان؟ لا أستطيع النوم أيضًا، فلنطلب بيتزا.»

\*\*\*

صوت الاحتكاك كان ضعيفًا في البداية. لم يُدرك متى بدأ. كان مُستلقّيًا على الفراش، مدرّكًا بوجود الشمس ساطعة في الخارج. فكّر طويلًا قبل النهوض من فوق فراشه، والدخول للحمام، والتحدّث مع الأشخاص، وحلّ ألغاز اليوم والحياة. لم يحطّ بصباح كهذا منذ فترة، ربما بسبب انشغاله بوجود رفيقيه والعمل بلا كللٍ مع نيموسين، هل زال تأثير كل هذا، وعاد الظلّ الثقيل لصحبته؟ كانت تساعده في مثل هذه الأوقات مُسبقًا، لكنه لم يُرد أن يتحدّث معها في هذا الوقت، أرادها بعيدة عن كل هذا.

لكن إذا لم يستطع النهوض لأي سببٍ من هذه الأسباب، فسينهض ليُسكت هذا الصوت المزعج. هو قريب، في الغرفة. تتبّعهُ، وشعر بقليلٍ من التوتر. أتى من خلف باب الحمام. أغلق عينيه، ليُخبر عقله أنه لا يريد أي مفاجآتٍ أو هلوساتٍ أخرى في بداية اليوم. أراد تأكيد أنه مُستيقظ وواع. فتح الباب ووجد الحمام فارغًا قبل أن ينظر إلى الأسفل ويراه. أحد الفرغان. «كيف جئت إلى هنا؟» جلس على ركبتيه ليفحصه، ومن الشريط الأخضر المربوط بذيله، أدرك أنه بينكي، وقد خضع للتجربة. لم يهتم بينكي بوجوده، وبدأ في إصدار الصوت، كان يحدش الباب الخشبي بكِلتا يديه بقوة، حتى سألت بعض قطرات الدماء من مخالبه، ولم يتوقّف. «ماذا تفعل؟» حاول آدم سحبه بعيدًا عن الباب، لكن التفت إليه الفأر سريعًا ليعضّ يده، لم يستطع آدم تفاديه، وسحب يديه بسرعة. رأى دمًا تُخرج من جرح يده.

ثم بدأ الفأر في خدش جسده الصغير ووجهه، ببطءٍ في البداية ثم بقوة وبسرعة، حتى نرف من عينيه. تجمّد آدم في تعجّب، وحدّق بفأر التجربة، يُراقبه من كُتب، قرّر أنه لا يمكن إعادته للقبو ... ليس في هذه الحالة.

\*\*\*

لم يتوقّف هاتفه عن الضجيج، في المطبخ. حيث حاول يوسف تحضير إفطار، ولم يكن ناجحًا للغاية. جلس زين أمامه، وأسند رأسه فوق يده في بؤس.

قال يوسف في سأم: «رُدّ عليها، لنتتبه من هذا الإزعاج.»

دخل آدم المطبخ، ونظر تجاه باب القبو المفتوح ثم لرفيقه. ثم سأل: «يُجب من؟»

قال يوسف: «زوجة عمّه.»

جلس آدم بجانب زين، وحاول تخمين الذي يُحاول أن يفعله يوسف. كان هناك طماطم أمامهم وخبز، وبعض الأوراق المنتثرة فوق طرف الطاولة.

«هل ترسّم مجددًا؟» سأل آدم عند رؤيته أحد الأوراق.

«ليس حقًا، فقط يُساعدني على التفكير في بعض الأحيان.» أجابه يوسف دون النظر إليه، كل تركيزه فيما يفعله.

أمسك زين بهاتفه مُحدِّثًا بالشاشة.

«لم يُعد ابن عمِّي للبيت منذ عدة أيام.» قال زين وهو يقرأ الرسالة الظاهرة أمامه. ثم نظر زين لآدم في ريبة. شعر آدم بقلبه يقفز داخل صدره، في محاولة للخروج.

«لم أفعل شيئًا.» أمسك آدم بقطعةٍ من الطماطم، لكنه تردّد في أكلها، منظر الفأر لم يُسعف شهيته.

قال زين: «جعلته يتبع أيمن من قبل.»

لم يُجِب آدم فورًا، كان يُفكر في كيف ومتى عليم زين بهذا. هل تناقشا في هذا؟ إذا حدث ذلك، فهذه ذكرى أخرى مفقودة. لكن من استياء زين. على الأغلب كان قرار استغلال التوعم من آدم وحده.

قال آدم أخيرًا: «ربما اكتشف أيمن الأمر وحبسه.»

قال زين وحمل صوته توترًا وقليلًا من الغضب: «لا أريد صدامًا منهم يا آدم. لا مزيد من المهمّات الجانبية، فلنُبْعدهم تمامًا.»

لم يُردّ آدم أن يزيد استياءه، أو يُجادله في هذا الشأن، خصوصًا أنه لم يُعد يتذكّر فعليًا متى وكيف وظّف التوعم. لكنه تذكّر أنه طلب منه تتبّع القاتل، ولم يتواصل معه بعدها.

قال آدم في هدوء، سعيًا لإرضائه: «حسنًا. سوف أسأل أيمن عنه، وسأبقي التوعم بعيدًا من الآن فصاعدًا.» حمل يوسف صحنًا، ووضعه أمامهما على الطاولة، وانتهت المجادلة بتقليده شيئًا أكثر إثارة للعجب؛ محتوياته سائلة، ومحروقة عند الأطراف. حدّقا به في الشمزاز.

ثم قال آدم في سُخرية: «يبدو أن مهارتك في الطبخ لا تختلف عن أختك كثيرًا.»

هزّ يوسف رأسه في استياء، وأمسك بالصحن وصبّ محتواه بسلة النفايات بجانب الطاولة. لكنه ففز فجأةً مبتعدًا في دهشة، وسقط منه الصحن الفارغ على الأرض وتحطّم. وخرج من خلف السلة المتهّم؛ فأرّ آخر ذو شريط أبيض.

تنهّد آدم وقال: «أظن أن هناك من ترك قفص الفئران مفتوحًا.»

\*\*\*

بعد الرسالة رقم ثمانية عشر، والدوران داخل الغرفة لفترة لا بأس بها، لم يحصل على إجابة من أيمن، أو من الأحمق الآخر.

هل تُفضل أن أنتظرك أسفل مبنى (تورك)؟

ونلتقط صورةً معًا؟

أرسل آدم الرسالة كتهديدٍ بسيط، لم يظنّها ستنجح، لهذا تفاجأ عندما ظهرت رسالة جديدة من أيمن:

نعم، سأقابلك هناك بعد قليل.

حدق بها، حتى ظهرت رسالة أخرى:

تعال وحدك.

لم يكن هذا مريبًا، لكنه لا يخاف الوسيط. هو مُتغير، سيأتي غيره. لكن آدم هو الثابت الوحيد هنا. طالما كان. وأدرك ذلك جيدًا.

لم يتحرّك حتى تأكد أن يوسف بعُرفته وزين ما زال بالقبو. لم يُضطر للتسلّل هكذا منذ فترة طويلة، الطريق القديم من نافذة غرفته، وإلى الشجرة المقابلة. تذكّر أنه كان أكثر سهولةً قبل ذلك، ربما فقد لياقته، ولحقت به آثار العمر، لكن بالتأكيد أن هذه الشجرة تحتاج إلى بعض التهذيب، أثبتت فروعها أنها خصم شائك، وتركت خدشًا أو اثنتين على ذراعِهِ. هبط بأمانٍ بعد هذه المعركة، وتمتّى ألا يكون قد أصدر صوتًا عاليًا. تحرك بهدوء ناحية البوابة الخلفية.

لم يتوقّع الظلام الغادر الذي أتى فجأةً. غطّى القماش الأسود رأسه، وأمسكت ذراع قوية بيديه، وغطّت ذراع أخرى

فمه وأخرى تدفعه بعنف. لا يعلم كم ذراعًا يمتلك هذا المخلوق، أدرك أن المقاومة بلا طائل، لن يسمعه من بداخل المنزل، وليس هناك جيران إلا بعد مسافة بعيدة. وتحرك معه حتى دخل سيارةً وقيد يديه.

لا يمتلك كثيرًا من الأعداء، يعلم أنه ليس محبوبًا من قبل معارفه إلا من القليل ... جدًا. لكن ليس لدرجة الاختطاف. فكّر عقله بنظريتين بينما تحركت السيارة. والأولى هي والده، هو لديه أعداء بالتأكيد. لكن أليس واضحًا أن علاقتهما ليست رائعة؟ يمكن أن يحتطفه ويقتله ويدفنه، ولن يدرك الرجل أن هناك تغييرًا. الثانية وهي الأكثر إثارة للقلق، هي قاتل حسن، عدو الراعي. لم يقدر التوهم الأحق على إغلاق فيه.

من أنت؟ لماذا تفعل هذا؟ من أرسلك؟ هل ستقتلني؟

يعلم أن هذه الأسئلة لن تُفیده. فلن يسألها. ليس لديه حسٌ جيّد بالطرق أيضًا، ففكرة إدراك معالم الطريق بحواسه الأخرى كما يحدث في بعض الأفلام، ليست قابلة للتنفيذ.

«إذن، هل يدفون لك ما يكفي؟» سأل آدم، ولم يحصل على إجابة. «أقصد، هل تُوصي بهذه الوظيفة لشابٍ مثلي؟» لا إجابة. انتظر بعض الوقت ثم قال: «يبدو أنك تفاديت الزحام، ستحصل على الكثير من الأعباء الفضولية، إذا رأى أحدهم شابًا مقيدًا في سيارتك، أليس كذلك، يا محمود؟ قررت أن أدعوك هكذا، إلا إذا أردت أن تُخبرني باسمك.» لا إجابة، ربما زجاجة بسيطة.

سأل آدم: «هل وصلنا؟»

لم يصل بعد، ليس قبل نصف ساعة أخرى، استطاع على الأقل تقدير ذلك. توقفت السيارة، وسمع الباب الأمامي يُفتح ويُغلق. أمسك خاطفه بذراعِهِ وسحبه للخارج. المكان حوله هادئ، لا أصوات سيارات ولا وجود للروائح المعتادة للشارع، الهواء بارد، مكان مفتوح ومنعزل. مكان مناسب للقتل! لم يكن من النوع الذي يفزع بسهولة. لكن كان عقله وقتها متشبهًا بذكريات قتل سابقة. وخلال لحظة صدمته موجة من الفزع، جعلته يقذف بالجزء العلوي من جسده تجاه خاطفه، فيصطدم رأسه بفكّ الرجل، وسمع تأوّهًا غاصبًا. وآلمته رأسه بشدة، هل فكّ الرجل مكوّن من صخرة؟ تركه الرجل للحظات، ركض فيها عدة خطوات، ولم يتبع كثيرًا، وأمسك به مجددًا. لكنه استمرّ في المقاومة، حتى تحدّث الخاطف.

«توقف!» قال وظنّ آدم أنه عرف هذا الصوت.

توقف آدم ثم سمع صوت ضحك. وشعر بيدٍ تفكّ قبوده، وتزبل ما على رأسه. جاءت الدهشة ومزّت سريعًا، حلّ محلّها الغضب. وقف الرجل يمسح ذقنه في هدوء، هناك القليل من الدماء على شفاهه إثر هجومه.

تنهّد آدم وسأل: «ماذا تظن أنك تفعل؟»

«تريد مقابلة الراعي، أليس كذلك؟» أجابه أيمن مبتسمًا.

«وهل كان كل ذلك ضروريًا؟»

«لا، إطلاقًا. فكرت في تأديبك قليلًا.» قال أيمن ثم أشار إليه بإتباعه.

كانا يقفان في شارعٍ واسع، أمامه أرض خضراء، بعيدة عن المناطق السكنية عدا بالطبع المنزل الكبير الذي وقفا أمام بوابته. فتح أيمن البوابة، ودخل دون انتظاره. تردّد آدم، ثم أخرج هاتفه، وفتح رسائل الراعي.

«هيا، ادخل.» قال أيمن من خلف البوابة.

كتب آدم رسالةً سريعة:

أنا مع أيمن.

لا أعلم أين.

وانتظر. عاد أيمن من خلف البوابة مجددًا، وحدّق به كطفلٍ لا يريد الذهاب للمدرسة.

كان ينظر في هاتفٍ آخر بيده، سأل أيمن: «ماذا تفعل؟»

نظر آدم في هاتفه في توتر، وكتب بسرعةٍ مجددًا ليؤكد شكّه:

أين أنت؟

أضاء هاتف أيمن مع وصول الرسالة. وبعد قراءتها، ابتسم أيمن وقال: «أنا هنا.»

سأل آدم: «ما هذا؟ لماذا معك هاتف الراعي؟»

«لمَ تظن؟» قال أيمن ثم أضاف: «هيا، لا تجعلني أحملك للدخل.»

تبعه آدم لمدخل المنزل، خطواته بطيئة وحذرة. وقف آدم أمام الباب في تردّد. لم يكن هناك أي مكانٍ آخر ليذهب إليه، وحتى إن كان هناك، يجب أن يعرف ماذا يحدث.

سأل آدم: «ما معنى هذا؟»

«هل سأضطر لإقناعك بالدخول عند كلِّ باب؟»

أجاب آدم سريعًا: «هل سأضطر لسؤالك عند كل باب؟»

ابتسم أيمن، والتفت ليكمل طريقه. ذكر آدم نفسه، لا يخاف أيمن، لا يخاف الوسيط. لكن هل كان أيمن مجرد وسيط؟ معه الهاتف، لا يقبل عقله تصديق هذا.

دفعه فضوله للدخول. المنزل مُكوّن من طابقٍ واحدٍ أرضي، والأثاث به قليل، لكنه نظيف وجدرانها رمادية كئيبة.

سأل آدم مُلحًا: «لماذا معك الهاتف؟»

لوح أيمن بالهاتف لأعلى في هدوء: «هذا هاتفي.»

«أين الراعي؟»

«أنت أذكى من أن تدعي أنطقها لك.»

نظر آدم حوله، وابتلع ريقه، يفكر. لا، أيمن ليس الراعي، لا يمكن. لكن إذا كان معه الهاتف، فهناك تفسير أسوأ من هذا. أثارت كثرة الأسئلة في عقله غضبه تدريجيًا.

سأل آدم: «لماذا أنا هنا؟»

«جيد، يمكننا أن نتحدّث عما هو مهم.» قال أيمن وخطا مقتربًا منه قبل أن يشرح: «كل ما سبق كان تجارب أثبتت

نجاحتها. الآن، لدينا مهمة لك.»

«أتيّت بي إلى هنا لتقول لي على تجربةٍ أخرى؟»

«هذه المهمة، سبب قيامك بكل التجارب، وإذا نجحت. فنحن بجانبك للنهاية.»

«وإذا رفضت!»

«أنت عنيد، ولكنك ليس غبيًا. تريد أن ينجح مشروعك. وأظن أنك ستفعل أي شيء من أجل ذلك.»

فكر آدم، «هو محق. سأفعل أي شيء.» المهمة إذن تجربةٍ أخرى؟ فماذا يُمكنه تقديمه غير هذا؟

سأل آدم: «ما هي المهمة؟»

أشار له أيمن ليتبعه مُتّنا لتوقّف الأسئلة. قاده أيمن لبابٍ آخر في نهاية الممرّ الرئيسي. سمع آدم أصواتًا خافتة من خلفه، أصواتًا إلكترونية. فتح أيمن الباب ليكشف عن غرفة واسعة، في جانبها كرسي وطاولة ومنتصفها فراش، استلقى فوقه شخصٌ نائم، لم ير وجهه جيدًا من قناع التنفّس المتّصل بأنبوب وجهاز تنفس، التصقت برأسه أسلاك تتصل بشاشة مُراقبة، وأنفه به أنبوب آخر عريض، وكلتا ذراعيه تتّصل بأكياس محاليل مُعلقة على جانبي الفراش. لا ليس نائمًا.

«هو حي! ما هذا؟» قال الكلمة الأخيرة كسؤال، وكأنه يشكُّ في خدعةٍ بصريةٍ ما. ماذا سيفعل بشخصٍ حي؟

سأل أيمن مشيرًا للنائم: «أندعو هذه حياة؟»

هل هذا ما يطلبه فعلاً؟ هذا الرجل لا يفقه شيئاً عما يفعلونه حقاً. قال آدم في إصرار: «لا يمكن أن أعمل على مخّ حي. سيحترق مخّي، سنتقلبه.»

«فكّر فيما يعنيه رفضك.»

«لا يمكننا. افعل ما تشاء. سأرحل.» قال آدم ثم التفت ناحية الباب، أراد الرحيل، وشكّ في قدرته. لم يظن أنه سيتركه بهذه السهولة، هل سيُضطر للقتال؟

قال أيمن من خلفه مهدداً: «لن يكون لديك راع، لن أساعدكم بعد الآن. فماذا ستفعل؟» التفت آدم، وفحصه من قدمه لرأسه، رأى هذا الفيلم من قبل. ولم يثم أيمن بما يكفي من أجل الحكبة. قال بنبرة واثقة مُتعالية: «أنت لست الراعي.»

قال أيمن، محاولاً كتم غضبه: «ما زلت لا تُصدق.»

قال آدم: «كما قلت، لستُ غيبياً، وما سأفعله هو الذهاب لـ (تورك).»

«هل تظن أنني سأتركك بهذه السهولة؟»

تسلّل الخوف لملامحه، لكنه أخفاها سريعاً، فنظر بعيداً وابتسم. وجد خيطاً يُمكنه جذبُه. قال آدم: «يبدو أن كلّ ما تفعله هو منعي من الذهاب إلى هناك. إذن كلمة السر هي (تورك). هذه الشركة هي الراعي، أو شخصٌ بها. من كان مالِكها؟ أظن يوسف يعرف، سأُتصل به.»

بسرعة، اتّجه أيمن تجاه آدم، غاضباً. وأمسك بياقة قميصه. في محاولةٍ أخيرة لفرض السيطرة، وإظهار مَنْ هو الأقوى. لكنه أثبت لآدم أنه على الطريق الصحيح، ضحك آدم. وقبل أن يفعل أيمن أي شيء مؤذٍ. قاطعه صوت الباب يُفتح. «كفي!» قال صوت من خلفهما. «أتركه يا أيمن، من فضلك؟» صوت امرأة.

تركه أيمن، ونظر الاثنان تجاه الباب. وقفت امرأة ربما في منتصف الخمسينيات من عمرها، لكنها ترتدي ملابس أنيقة، وشعرها أسود مربوط للخلف بعناية، بدون أي خصلةٍ متمردة. اقتربت من آدم وابتسمت.

قالت: «أعتذر لو أن أيمن كان قاسياً معك أكثر ممّا ينبغي.»

أراد أن يسأل: «وما الداعي لوجود أي قسوةٍ منذ البداية؟» لكنه أجّل أي أسئلة، حتى يُقيّم الطرف الجديد. «هذه فقط طباعه. ولكنه وئى، وبارع.» قالت وهي تُحدق بآدم، وتفحص كل ملامحه، لدرجة جعلت آدم يشعر بقليلٍ من الخجل، ونظر بعيداً.

«أسفة، لكنك تُشبه والدك أكثر ممّا ظننت.» قالت وتوجّهت ناحية الكرسي.

صرخ صوت في عقله، لا ليس هو. لم يُرد أن يكون له أي علاقة بهذا. أفسح لها أيمن الطريق. جلست والتفتت عيناها تجاه الفراش والنائم لثانية.

عقدت يديها ثم أشارت لأيمن: «هل يمكنك تركنا قليلاً.»

أطاعها وخرج من الغرفة في هدوء. لكن ليس قبل أن يمنح آدم نظرةً ساخطةً مُشتعلة.

«من أنت؟» سألت آدم المرأة، وشعر بشيءٍ يدغدغ عقله؛ ذكرى!

أجابته: «رنا أبو العزم.»

تذكر الاسم، أبو العزم. هذه العائلة المؤسسة لشركة (تورك). كان مُحقّقاً. هي الراعي إذن؟ لكنّها لم تُقل هذا، بدلاً من ذلك قالت عن نفسها: «كنتُ صديقة لوالدتك.»

تجمّد عقله للحظةٍ ثم سريعاً ترابطت الأحداث معاً. شخصٌ يعرفه، يعرف والده ووالدته، شخصٌ يُقدّر على مراقبته. شخص قوي بما يكفي لتلبية احتياجات الآلة، شخص قريب بما يكفي فيشكّ في موتها مثلُه.

بدأت في الكلام، قبل أن يسألها: «قبل موتها، أوصيتني أن أعنتي بك. لكن والدك لم يُرد ذلك. أراد قطع علاقته بكلّ ما

يخصُّها. لكنني لم أستسلم ورجمًا عنه استطعتُ رعايتك كما أردت، ومساعدتك على تحقيق حلمك.»  
وجد نفسه عاجزًا عن الحديث، شعر بصدرة يضيق. تذكّر يوم الحادث، محبوسًا في غرفته، ويسمع من خلف الباب الصباح. لم يخرج من الغرفة حتى فجر اليوم التالي، عندما وجدها. لم يسمح له والده بحضور الجنازة حتى. لم يرَ أقاربها أو ما تبقى من عائلتها بعدها، لم يسأل عنه أيُّ منهم، تركوه لوالده. وبعدها سمع ما تقوله هذه المرأة الآن، فكّر ربما حاولوا ومنعهم.

نحضت وتوجهت ناحية الفراش، مرّرت يدها على شعر النائم وقالت: «والآن حان الوقت لتساعدني.»  
حدّق آدم بهما. واستجمع قوّته لقول ما قاله لأيمن، لم يقدر.  
نظرت تجاهه وقالت: «لا أظنك تتذكّره، كنتما تلعبان معًا، عندما كنا نتقابل أنا وسارة. أعطيتّه مرّة لعبة قطار أحمر، احتفظ به لفترة طويلة بعدها.»

فتحتِ الدُّرج بجانب الفراش، وأخرجت صورة قديمة، توجّهت إلى آدم، ووضعتها في يده. أول ما رآه كان والدته، تبتسم وتُمسك بيد طفل، هو. ويجلس على الأرض أمامه طفلٌ آخر، ينظر تجاهه، وبجانبه امرأة تضحك، رنا. وخلفهم الجدار الأمامي لبيته بجانب الحديقة.

قال وصوته كاد أن يكون همسًا: «ماذا حدث؟»  
«شخصٌ ما فعل به هذا، لا أعرف لم ومن؟» أجابته وازداد صوتها حدةً، غضبًا وألمًا. «وجدوه هكذا، لم يفتح عينيّه منذ وقتها، وأعلم أنه لن يفتحهما. ليس لديّ أمل زائف في استعادة وعيه. الأطباء هنا وبالحارج أكدوا لي ذلك. لكن لا أريد تكرار ما حدث مع سارة، لا أريد حياةً أتساءل فيها عما حدث ولماذا؟ تفهمني، أليس كذلك؟ لن أعلم إذا كانت قتلت نفسها أم لا أبدًا؟ لا أريد نفس الحيرة تجاهه؟»

رأى دموعًا محبوسةً في عينيها. لكنه لم يشعر بالحزن، شعر بالعجز والغضب. وأدرك أن دموعها ليست حزنًا أيضًا.  
وضعت يدها على يده التي ما زالت تُمسك بالصورة، لمستها غريبة، ليست مألوفة. حانية، دافئة. أكملت: «لهذا ظننتُ أنك استجابة لدعائي، يُمكنك الإجابة، يُمكنك معرفة الحقيقة باستخدام ما صنعتّه.»  
توقّفت عن الحديث، تنتظر ردّه. نظر تجاه الصورة، وبحث عن الكلمات التي يمكن أن يقولها. وجهها مُترقّب، ينتظر في لهفة.

قال وحاول أن يكون واضحًا: «ما صنعتّه ... سيقتله.»  
تنهدت ولم تبتدئ متفاجئةً أو مصدومة. كانت هادئة. التفتت تجاه ابنها وقالت: «يبدو نائمًا، أليس كذلك، لكنه ليس كذلك، حقًا.» نظرت تجاه آدم مجددًا وأكملت: «ضغطة زرّ واحدة ستوقّف قلبه. وهذا ما يقول لي الجميع أن أفعله، على أي حال. أن أضع حدًا لعذابي وعذابه. لكن السبيل الوحيد الذي سأرضى به هو عبرك، عبر ما عملنا لأجل تحقيقه. عندها سأرتاح حقًا.»

«لا يُمكنني ضمان النتيجة.»  
«أثق بك، وسأعلم أنك حاولتَ على الأقل.»

ساد الصمت الغرفة، عدا من همهمة الأجهزة وصوت ضجّ الأكسجين، ونبضات قلبه على الشاشة. هل لديه خيار حقًا؟ هل يُمكنه رفض آخر صِلَةٍ بوالدته، هل يمكنه تعريضها للألم الذي يُعانيه هو ورفيقاه، مجددًا؟ ألم يكن هذا سبب جلب هذه الآلة للعالم؟ وضعت أمامه ألمه، وضغطت. أدرك ذلك. ورأت هي هذا في عينيّه. رأت ضعفه أمامها، مكشوفًا.

أضافت أخيرًا: «كنت محطّنة، لديك عيناها.»

## ٩. القطار الأحمر

«لماذا عدنا إلى الفئران مجددًا؟» جاء صوت زين من بعيد. وجهه مشوّش، طفا في مجال رؤيته. ولكنه صار أكثر وضوحًا مع مرور الثواني. نظر آدم حوله، كان مع زين وحدهما في القبو، الضوء خافت لدرجة مزعجة، أراد أن يرى بوضوح. كان أحد الفئران بيدٍ ويده الأخرى المحقن.

قال آدم، دون أن ينظر تجاهه: «أريد تجربة شيء.» ثم التفت تجاه زين وقال: «توسيع المجال ليتضمّن جزءًا من الذاكرة طويلة الأمد، ما احتمالية نجاحها؟»

ابتسم زين وحكّ رأسه: «كنت تفكر بالأمر أيضًا؟»

بدأ زين في الشرح وصوته يعلو وينخفض بطريقة عشوائية: «في الواقع كنت أعمل على ذلك من حينٍ لآخر، وأصبح لديّ شيء قابل للعمل، المجال ليس واسعًا. فوضوي ... الترتيب الزمني ليس مضمونًا. لكنني تفاجأتُ بقدرتها، نيموسين أدكى مما نظن. يُمكننا ترك الاختيار لها، إذا كان من الصعب تركيب الذكرى يُمكنها التوسّع، والبحث أعمق.»

«فلتُجرب؟» قال آدم ونظر إلى المحقن في يده، تلوّن السائل داخله بلونٍ أحمر. هناك ألمٌ طفيف في رأسه آتٍ من بعيد، لمح شكلاً بجانب السلم، وكأن هناك من يراقبهما، يرتدي الأبيض، لديه ملامح ضبابية. لم يقدر على التركيز طويلاً على الكائن.

صوت الآلة يعلو وهي تدور حول الفأر. ويصيح زين في دهشة: «آدم! هذا الفأر حي! سأوقفه!»

ردّ آدم هامسًا: «كان سيموت على أي حال.»

حذق آدم بالفأر بينما تلوّى بين أيدي الآلة، ثم تحوّل لجسدٍ عاجز ساكن، جسد شاب، تعرّف على وجهه بدون قناع التنفّس. صدر صوتٍ إنذارٍ عال، ليس من آله، بل من الجهاز الذي يقرأ الإشارات الحيوية المركّب بذراع الجسد. نبض باللون الأحمر النهائي.

صدر صوت أيمن: «كان سيموت على أي حال.»

أيمن هنا، ورأى نيموسين!

### Mapping Complete

ظهرت الكلمات على الشاشة. «نُجحت!» استطاعت نيموسين استخراج المعلومات. فعلها، نُجح في المهمة ... وقتله.

سأل أيمن، وهو يُشير إلى الجسد الخالي من الحياة على فراش الآلة: «سأعيده لوالدته الآن؟ هذا المكان يُؤثّرني.»

التفت ليجد نفسه وحيدًا في القبو مجددًا. لا يعلم متى رحل أيمن، لم يكن معه زين أو يوسف. ليسا بالمنزل. عرف بذلك، كحقيقة، كذكرى. شعر بالجدران تتموّج وتتقلّص حوله. وسمع همسًا حوله لم يقدر على تحديده مصدره.

«مخاريبي.»

ثم وجد نفسه على الفراش، وتُمسك بيده يدٌ ناعمة، يدُ امرأة. يد تضغط برفق. أراد أن تكون هي، أراد النظر في عينيها، أراد بشدة ألا يكون وحيدًا. لكنه ليس وحيدًا، هو في أحضان نيموسين، وتدور الأسطوانة حوله، تتراقص الأضواء بينما يعملان معًا لكشف حقيقة ما حدث له، سيُحقق له العدالة، هذه مهمته.

أغلق عينيّه، وفتحهما.

الضوء ساطع في القبو، وهاجم رأسه ألمٌ شديد. نُحض ووجد أنه لم يُعد وحيدًا. على الكرسي أمامه، جلس رجلٌ يحذق

به.

«كنت على وشك الاتصال بالنجدة، لكنني لم أكن متأكدًا كيف سأشرح كل هذا؟» قال الرجل في هدوء.

سأل آدم في ذهول: «كيف جئت إلى هنا؟»  
«أنسيت أنه منزلي؟» أجابه وضحك: «كنت أظن أنني سأجد هذه الفتاة، وكنت سأشعر بالفخر. بدلاً من مشهده من فيلم رُعب. أنت ليس كوالدك بعد كل شيء.»  
سأل آدم غاضباً: «هل تُراقبني؟»  
«لا تغتبر نفسك، هذه مصادفة.»

«بالطبع، كيف ظننت أنك ستهتم، هذه حماقة مني.» قال آدم في سخرية، وحاول النهوض من فوق الفراش، لكن هاجمه دوار، وأمسك برأسه ظناً أنه سيسقط من فوق رقبته. لم يُدِّد والده أي ردة فعل. حدّق آدم به، وتأمل ملامحه، صافية وباردة، وصغيرة في السن. هل أجرى عملية تجميل على وجهه؟ لن يكون هذا غريباً. رأى طرف فمه مبتسماً قليلاً، وكأنّ ألم آدم انتصار له، وكأنّ ألمه يُعطيه قوةً وتحكماً. طالما كان هكذا.  
قال آدم وحاول استعادة توازنه: «يجب أن ترحل، ليس لدي وقت لهذا.»  
قال الرجل وتظاهر بالحزن: «ليس لديك وقت لوالدك؟»

وقف آدم على قدميه، غضبه أعطاه قوةً مؤقتة وقال: «تذكّرت الآن أنك والدي، وتريد من وقتي. فقط عندما تُريد، وتتوقع أن أكون لك بالكامل. ماذا عن كل الأوقات التي أردتها... احتجتها، ولم أجذك، كنت مشغولاً في عملك أو ملذاتك. ترمي لي ببعض المال من حينٍ لآخر لتُرضي ضميرك فقط. لا، ليس لدي وقت، ليس لدي أي شيء لك.»  
وقف الرجل أيضاً، وقال في اشمزاز: «تحدّث مثلها، تُفكر مثلها. ملأتك بأفكارها وحماقتها.»  
صاح آدم: «لا تحدّث عنها.»

لكن الرجل ظلّ هادئاً وأكمل: «هل أفكرُك بنهاية تلك الأفكار؟»  
«لا عليك، لم أنس أبداً. الآن ارحل.»  
دار الرجل بنظره في المكان وقال أخيراً: «لن أرحل، أنت من ستسلم هذه الخردة وترحل. سأبيع المنزل.»  
قال آدم وصوته مُمتلي بالغضب والكراهية: «هذا ليس منزلك... هذا منزلها.»  
قال ولم تتغيّر نبرته: «كل شيء لها كان مني على أية حال، حتى أنت.»  
لم تُهمّه مشاعر آدم، غضب أو حزن. لم تؤثر به.  
لا، ليس حقيقياً. أراد آدم الصراخ. لست مثلك. يُحاول محو كلِّ ما لها، كل آثارها. هذا المنزل الذي أحبته، الذي بنته.  
لم يكفِه سرقة حياتها، يحاول سرقة إرثها.

قال آدم: «وإن لم أرحل، هل ستقتلني أيضاً؟»  
لم يقل لا أو نعم، لم يدافع عن نفسه، وبدأ يضحك. علا صوته وتحوّل لصيرير وحشي، لم يقدر آدم على تحمّل صوته. وضع يديه على أذنيه ليحميها. ولكن الصوت لم يهدأ، تسلّل لأعماق عقله وأثار الفوضى ولصدره وكتف أنفاسه، ولقلبه محاولاً إيقافه. لم يشعر آدم بنفسه إلا عندما وجد المحقن الفارغ في يده، وقد برز من عنق الوحش... الرجل. لكن لراحته توقّف الضحك. تركه سريعاً. سقط الرجل وانتفض جسده بشدة حتى سكن تماماً.  
تسارعت أفكار آدم، وبدأ جسده في الارتعاش بشدة. نظر حوله، عيناه تائهتان، تتحرك بين الأوراق المتناثرة على الأرض، الشاشة الوامضة، اللوح الأبيض، القطار الأحمر الصغير فوق الطاولة، ثم أخيراً المبرد.

\*\*\*

فتح آدم عينيه، ووجد نفسه على الأرض بجانب الفراش. احتاج أن يستند بكلتا ذراعيه لينهض، جسده وزنه أطنان. ارتعش من البرودة، ورأسه على وشك الانشقاق من الألم. جلس وحاول استيعاب ما حوله. كان وحيداً في القبو. أحبر نفسه على التركيز، وحاول لملمة شتات أفكاره. وجمع هذه الشظايا المتناثرة في ذكرياته.

أين زين ويوسف؟

لا يعرف، ليسا هنا. سمع في أذنه صوت يوسف، يصيح في غضب. لا يعرف لم. وضع يده في جيوبه، ليس معه هاتفه. إذن أين أيمن؟ كان قادمًا، ومعه عمر.

همس الصوت في ذاكرته: «سأعيده لوالدته؟»

جاء، وانتهى الأمر؟ وقعت عيناه على المبرد. وأين والده؟

نحس وأدار ظهره للمبرد، لم يُرد أن يعرف. واجه الشاشة المضيئة أمامه. بأصابع مرتعشة على لوح المفاتيح، فتح ذاكرة الآلة، آخِر عملية.

Mapping Complete

12 minutes and 24 seconds

Download Complete

3 Hours and 6 minutes

سرت رجفة باردة في جسده، وتوقّف عن التنفّس لثوانٍ. لم يقدر على تحريك جفنيه، لم يقدر على إبعاد نظره. لثلاث ساعاتٍ كان تحت تأثيرها، لثلاث ساعات كانت بعقله.

قالت هامسة: «مُحاري، أنت مُحاري.»

عادت أنفاسه سريعةً وصاخبةً وغير مُنتظمة. سقط على ركبتيه. ماذا فعل بنفسه؟ ماذا فعل بها؟ كلُّ عملهم خلال الفترة الماضية، كم كان زين فخورًا بتقليص هذا الوقت. وبضغطة زرٍّ منه، أعادهم خطواتٍ للخلف... وقتل شخصًا، حتى إن لم يتذكّر ذلك.

همس أيمن في أذنه: «كان سيموت على أي حال.»

صرخ: «لا، كفى.»

غطّى أذنيه بيديه، وشعر برأسه يدور. وعاد إلى الظلام للحظات. ثم نحس واستند إلى الطاولة، وتحركت أصابعه على لوح المفاتيح.

ظلّ يُردد: «أنا آسف... أنا آسف.»

يجب ألا يعلم أحد. لم يحدث شيء. اختفت الكلمات من على الشاشة، ومسح العملية من ذاكرة الحاسب.

قال آدم، وهو يُحدق بالآلة: «لن تتذكّري شيئًا مما حدث.» ثم استلقى على الأرض، لم يعد يتحمّل مقاومة الجاذبية أراد أن يبقى على الأرض. «لن تتذكّري. فقط أنا من سيتذكّر ما حدث لك يا عمر.»

\*\*\*

«أنت عار على هذه العائلة. كم مرة سنُضطر إلى التستّر على أخطائك؟ بأفعالك هذه ستُدمر كل ما بنّته والدتك وجدك. لن أصبر ولن أشاهدك تُدمّرها. لن أسمح لك أن تقود هذا الكيان إلى الهلاك. أنت ليس مُستقبل (تورك) أنت نهايتها. ارحل يا عمر، ولا تُعد. هذه فرصتك الأخيرة.» قال الرجل بنبرة امتلأت بالغضب والكُره والتقرُّز.

ولكنه يبتسم من محاولاته، سخر من أسلوبه ومشاعره الفارغة. ويُجيبه: «وإن لم أرحل... هل ستقتلني أيضًا؟»

يضحك الرجل بمستيرية. يضحك الرجل حتى أثار غضبه سماع صوته. ولم يتحكم في ردة فعله، كعادته، لم يشعر بنفسه وهو يندفع ويلكّم وجه الرجل البغيض بأقصى قوته. يترنّح ويسقطان على الأرض معًا، ولم يتوقّف عن الضرب. يدفعه الرجل في غضب، ويجذبه من قميصه، فجأةً جنى الرجل قوةً مضاعفة أم كان هو من فقد قوّته. يعترف، لم يكن في أحسن حالاته وقتها. وبنيتّه الجسدية ضئيلة مقارنةً بهذا الرجل.

يسحبه ويصطدمان بالباب الزجاجي ويُحطّمانه، يشعر بأنّ يسرع عبر عموده الفقري، يفقده القدرة على الحركة للحظة. أدرك أن نتيجة هذه المعركة ليست في صالحه، ترتعش يده ومن وسط الزجاج يُمسك بشظية، ويلوّح بها تجاه وجه الرجل.

لهوله يُمسك الرجل الشظية بيده العارية ويديرها ناحيته، يكشف الرجل عن أسنانه، ويضغط بقوته فوقه حتى شعر بالدماء على ملابسه وجسده، وبالطرف الحاد يخترق جانبته. لم يكن متأكدًا إذا كانت دماؤه أم دماء الرجل من جرح يده. لكن يجتاحه ألم صارخ يُجيبه عن تساؤله. يشهق بينما تتركه قوته مع أنفاسه.

يسمع صوت الرجل كهسيس ثعبان: «أنت مرض، ضعفها الوحيد. ليس لديها غيري، من غيري سيحميها منك؟»  
يصرخ ويدفع الرجل عنه، يسقط الرجل للخلف ويترك قطعة الزجاج. لم يُحاول أن يُخرجها من جسده. يزحف على ظهره للخلف بأخر قوته حتى صدم وجهه الهواء البارد.

يقول بصوتٍ متقطعٍ من الألم، لكنه واثق: «أنت مهووس. أنت لا شيء. موظف. أنا ابنها!»  
«أنا رفيق حياتها!» يصرخ الرجل ويُكمل بعد محاولته السيطرة على صوته الغاضب: «لا يُوجد على وجه الأرض من يُجربها مثلي، من ضحى من أجلها مثلي.» ثم تحرك الرجل ببطءٍ تجاهه حتى وقف أمامه، أعلاه. ينظر فوقه إلى سماء الليل، ويقول: «سأكون معها للنهائية، ستحتاجني بعد هذا، لتتخطأك. سأحرص على أن تخرج من هذه الأزمة، وتصير أقوى من الأول.»

لم يقدر على منع دموعه الآن. يجلس الرجل أمامه، ويرفعه من قميصه.  
يقول هو بصوتٍ ثابت، رغم ألمه، كضربته الأخيرة: «لن تحرب من هذا، سأطاردك... سترى.»  
يشعر بجسده يرتفع عن الأرض، ويندفع، ويسقط من فوق حافة السور، يُحاول التشبُّث بأي شيء، ولم يجد ما يُنقذه. وقتها بينما كان يسقط أرادها بشدة أن تكون معه، أراد والدته أكثر من أي شيء. لكنه يرى فقط وجه الرجل البارد يبتعد عنه، حتى جاء الظلام.

\*\*\*

تبدل عقله بين اليقظة واللاوعي، غير قادر على الاختيار. شعر بخيالاتٍ تتحرك حوله في القبو. سمع أصواتًا، وأمل أن يكون زين ويوسف قد عادا. فتح عينيه ليتأكد أنه لم يعد وحيدًا. مد ذراعه لأعلى ليستند إلى الفراش بجانبه ونهض ببطء. وقف أمام الفراش وحدق بالحقيبة السوداء الساكنة فوقه. أسرع الأفكار في عقله. من هذا؟ حسن؟ عمر؟ لا يتذكر. ببطء بدأ سحب الحقيبة في التحرك، تسحبُه يدٌ خفية، تسحبُه يدٌ من داخل الحقيبة. ترنح آدم للخلف، وأسرع تجاه السلم، لم يُرد رؤية ساكن الحقيبة. لكنه رأى اليد الشاحبة تتحرك ببطءٍ شديد، يد صغيرة، يد أنثوية. سقط على الدرجات الأولى، ولم يُرد جسده النهوض مجددًا. حاول الزحف لأعلى، درجةً تلو الأخرى. لكن بدا أن الدرج بلا نهاية. ومن أعلاه سقط قطار أحمر صغير، يتحطم منه جزء مع كل صدمة بالأرض.

فتح عينيه مجددًا، ورأى السقف الخشبي. الأرض باردة، وسرت رجفة في جسده. نظر حوله، ونهض. الغرفة خالية والفراش خال. لكن عندما التفت تجاه السلم، رأى الخيال الأبيض يطفو ويمد ذراعه تجاهه. غطى عينيه بكلتا يديه. شعر بالاختناق، كأنه نصف واعٍ في حلم لا يريد الانتهاء.

«استيقظ... استيقظ.»

أزال يده وحدق بالأرض، يجب أن يخرج من هذه الغرفة. هو ليس بحالة جيدة، أدرك ذلك. ووجوده في هذه الغرفة، في هذا الحلم، لم يُساعده. تقدم خطوةً تلو الأخرى، وتجاهل صوت الحركة من خلفه، تجاهل صوت الآلة تدور، تجاهل صوت الطرق الصادر من داخل المبرد. تجاهل الجميع. وصعد، هدفه الباب، بعدها سيقرر ما التالي.

نجح ووجد نفسه بالمطبخ، يدها رطبتان من العرق وقلبه ينبض بسرعةٍ كأنه ركض ماراتون. جلس على الأرض، واستند إلى جانب طاولة المطبخ، سيرتاح قليلًا، قليلًا فقط وسيكمل.

عندما فتح عينيه مجددًا رأى خيالًا أسود يقترب منه، قرّر تجاهله كما تجاهل البقية. زاد تركيز بصره. وأدرك أن هذا الوجه مألوف. سيتجاهله. هذه الوجه مُندهش، غاضب. هذا وجه القتال. لكنه سيتجاهله.

\*\*\*

ربما كان أول أمر مُقلق هو الباب المفتوح، لكن آدم نسي إغلاقه مرات سابقة. حتى بعد الهجوم عليهم. ربما هذا الأمر الثاني، فكان الأول تصرفه الغريب. كان الجميع متوترين، والمكان مشحونًا بطاقة سيئة. وسهل عليه افتعال الشجار. لم يُدركا هذا وقتها. لكنهما الآن بعدما هدأ لحدِّ ما، فهما أن هذه على الأغلب خدعةٌ ما، ليُخرجهما من المنزل. وبمجرد توصُّلهما لذلك، عادا بسرعة.

صاح زين بينما دخلا من الباب: «آدم، لقد عُدنا. أين أنت؟»

تباطأ يوسف في الحركة كمن أُجبر على القdom، وسأل في سخرية: «هل لديك ضيوف من النوع اللطيف؟» توقفاً أمام مدخل المطبخ، ووجدوا الضيف جالسًا على أحد الكراسي، لم يكن لطيفًا على الإطلاق. وعلى بضع خطواتٍ منه على الأرض، جلس آدم، وجانب رأسه مُغطًى بجرح والدماء تسيل على وجهه. هرع زين ليصل له. لكن أشار الرجل لهما بيده اليمنى التي بها مسدس ليتوقفا. تجمدا في مكائهما في رعب.

ابتسم آدم لهما، وقال بصوتٍ ضعيف: «أين كنتما كل هذا الوقت؟» ثم لاحظ الخوف على ملامحهما، فأضاف: «كل شيءٍ بخير، هو ليس حقيقياً.»

قال زين: «آدم! هو حقيقي جداً.»

أجاب آدم، بصوتٍ ضعيف: «حقاً! هذا ليس جيداً.» بدا نصف واعٍ، يفتح عينيه ويُعلقهما مرارًا. قال الرجل في هدوء، لا يليق بالوضع: «هذا جيد في الواقع. لدي بعض من الأسئلة، ولا أستطيع الحصول على أي كلامٍ منطقي منه كما تريان، حتى قبل أن أضربه.»

قال يوسف: «اسمع، لسنا وحدنا. سيأتي آخرون.»

«إذن هذا سبب جيد لتسرع.» قال الرجل وأشار إليهما بالجلوس في أماكنهما على الأرض.

سأل زين وحاول أن يبدو هادئًا: «هل يُمكنني الذهاب إليه؟ هو مُصاب.»

أجابه الرجل: «أعلم، لم يتعاون جيداً. هل ستكون مثله؟»

أمسك يوسف بذراع زين، وجذبه ليجلس على ركبتيه بجانبه ثم سأل: «ماذا تريد؟ ما هذه الأسئلة؟ فلنته من هذا.»

«أوافق. من أتنما؟» ثم أشار لآدم وأضاف: «أعرفه هو.»

قالا معًا: «شريكاه.»

«صديقاها.»

تجاهل الرجل الإجابة المزدوجة وقال: «حسنًا، وما علاقتمكم برنا أبو العزم؟»

سأل زين: «من؟»

فكَّر يوسف وسأل في حيرة: «أتقصد تورك؟»

لم يُجبه الرجل، لكن من ملامحه، لم يحتج التأكيد.

لم يبدُ الرجل راضيًا وأكمل: «ماذا تفعلون بالضبط بكل هذا المال والمعدات؟»

نظر زين ويوسف لبعضهما، بدأت الصورة تتضح لهما، تورك لها علاقة بالآلة، أو الراعي.

قال يوسف وحاول الحفاظ على صوته ثابتًا: «أظنُّ أنك لديك العنوان الخاطيء، ليس لنا علاقة ...»

«لا أحب الكذب، الفتى الذي أرسلتموه ليُراقبني وشى بكم بسهولة. هو الآن بقاع النهر، إذا كنتم تتساءلون.» توقف

قليلاً من أجل فحص وجوههم، وردة فعلهم. مزيج من الحيرة والتعجب والرعب.

حذق زين بآدم متسائلاً، لم يُرد ما أدركه أن يكون حقيقة. بينما نظر آدم تجاه الأرض، لم يُرد أن تلتقي عيناه بعيني زين.

قصده التوهم الذي أرسله ليتبع القاتل. أرسله إلى موته. في خلال ٤٢ ساعة فقط أدرك آدم أن يديه تلوثت ليس بدماءٍ شخصٍ واحدٍ، بل اثنين.

أكمل الرجل: «هناك ثلاثة منكم. اثنا عشر طرفًا، وبهذا المسدس اثنا عشرة رصاصة.»

سأل يوسف: «لماذا تفعل هذا؟ يمّ ستفيدك هذه المعلومات؟»

أجاب الرجل، وقد بدأ صبره ينفد: «أحمي ما يخصني.»

اندفعت الكلمات من آدم دون أي سيطرة: «أنت مهووس. أنت لا شيء. موظف...»

أوقفه صوت إطلاق الرصاص. وغطّى زين ويوسف رءوسهم بأيديهم كردّة فعل. ثم التفتا تجاه آدم، لرؤية ما حدث. اخترقت الرصاصة الطاولة خلف آدم، بعيدًا عن أذنه اليمنى بعدة سنتيمترات. سقط آدم على الأرض مُغطيًا أُذنيه، هاجمها رنين مُزعج. لم يسمع أي شيء، لكنه شعر بيدين تُمسكان به، ورأى وجه الرجل الغاضب، وفمه يتحرك.

همهم آدم: «هل ستقتلني أيضًا؟»

صرخ الرجل في غضب، وقد فقد أسلوبه البارد كليًا: «من أنت؟»

لكنه فجأة اندفع جانبًا بعدما اصطدم به جسد بقوة؛ فلم يترك يوسف لنفسه فرصة للتردّد، وهجم بأقصى قوته. أمسك بيد الرجل التي بها المسدس بكلتا يديه. وتدحرجا على الأرض في كومة، في معركة للفوز بالسلاح. قاومه الرجل، كان قويًا بدرجة غريبة. وتمسك بالسلاح في عناد، كاد أن يكسر معصم يوسف.

صرخ يوسف: «القليل من المساعدة!»

عندها زحف آدم تجاههما، وأمسك بذراع الرجل بأقصى قوته، وقفز زين من خلفه يلفّ ذراعَه حول رقبة القاتل. لَوّح الرجل بكوعه للخلف، وضرب رأس زين؛ فسقط على ظهره مترنحًا، وسالت الدماء من أنفه. لكن قراره هذه أضعف قبضته على المسدس، وسمح ليوسف بلفّ السلاح في محاولة لسحبِه من قبضة القاتل. تسللت أصابع الزناد وكردة فعل ضغطت. صدر الصوت مجددًا بينما انطلقت الرصاصة الثانية. تجمّد الجميع حتى يعرفوا أين استقرت هذه المرة. سقط المسدس بيد يوسف، سلّمه الرجل وتراجع للخلف، وصدْرُه غارق بالدماء.

حذق يوسف بالمسدس، وشعر أنه على وشك التقيؤ. استلقى آدم على الأرض، لم يُعد قادرًا على متابعة الأحداث، واستسلم للظلام. سقط الرجل وعلى وجهه نظرة دهشة، لم يُصدّق أنه خسر، لم يُصدّق أن الأمر انتهى. أراد أن يراها. أرادها بشدة أن تكون معه.

مرت دقيقتان كاملتان حتى توقّف جسد الرجل عن الحركة. لم يقترب منه أي منهم ليتأكد من موته. لكن طبقًا لكمية الدماء التي انسكبت من جسده، لم تكن فرصته جيدة.

\*\*\*

من الكتاب الإرشادي للقسه:

يتم القيام بتقييم طبي شامل قبل تحميل الذاكرة لتقييم صحّة العميل. يشمل ذلك الفحوصات البدنية والتقييمات العصبية. بالإضافة لتقييم الصحة النفسية والاستقرار العاطفي للعميل. وتتم مراقبة العلامات الحيوية، مثل ضغط الدم، ومعدل ضربات القلب، وتشبّع الأكسجين في أثناء الإجراء.

يجب أن تستمرّ المراقبة والرعاية بعد الإجراء، ويتضمّن ذلك الأشعة التصويرية لمخّ العميل، والتقييم والدعم النفسي. قد يخضع العميل لمراقبة فورية والتي قد تتراوح من ساعاتٍ إلى بضعة أيام، تليها مراقبة قصيرة الأمد لتقييم التعافي وتحديد الوقت المناسب للقيام بتلقّي الذكرى التالية. قد تختلف هذه المدة اعتمادًا على استجابة الفرد، وحالته الصحية والنفسية وطبيعة الذكرى المحتمّلة. للتعرف على إجراءات المتابعة للعميل انظر الفصل السادس.



## الذكرى الأخيرة

قابلها الرجل الضخم بابتسامه خفيفة، كان يرتدي قميصاً أبيضاً، وسروالاً أسود. لكن ابتسامته لم تكن ودودة بالنسبة لها، فرؤيته شخصياً أرسلت بجيشٍ من المخاوف إلى عقلها؛ فلم يزرها مدير القسم كثيراً. تحركت للسيار حتى يدخل الرجل. تقدم مباشرة إلى منتصف الغرفة، وكاد فكها يسقط من الدهشة عندما وجدت الغرفة خالية، هرب يزن وتركها في هذا المأزق وحدها. لكنها أيضاً شعرت بالقلق على حالته، هذه مرته الأولى ومع هذا الخطأ لم تتوقع تعافياً سلساً. وقف الرجل أمام الأستوانة، ووضع يده عليها، كمن يلقي التحية. وقفت أمامه لا تعرف ماذا تقول، وفكرت، لن يُهم ما ستقوله؛ فقد قامت بإجراء غير مصرح به. أرادت العودة إلى المنزل بشدة منذ قليل، الآن لا تريد الرحيل قط. فقد يكون رحيلها أبدياً.

اتجه الرجل للمكتب وقرأ الشاشة، ثم قال بصوت هادئ: «تعلمين بالطبع عاقبة هذا، إجراء بدون إذن؟ غير العواقب التي يتحملها القسم، هذا انتهاك للخصوصية وتشويه جسد متوفي ...»  
قالت في اندفاع، محاولة تبرير وضعها: «أعلم أنني أخطأت وكان يجب عليّ التأكد، ويزن عميل جديد وربما أخطأ في فهم ...»

قاطعها سائلاً: «وأين هو؟»

ابتلعت ريقها وأجابت: «كان هنا منذ لحظات ...»

تنهد الرجل وحك ذقنه مُفكراً، ثم قال: «أنت من أفضل موظفي القسم يا دكتورة، وأعلم أن هذا الخطأ لن يتكرر وكما قلت هذا عميل جديد. سيكون هناك عواقب بالتأكيد، لكن لا أريد التخلي عن اثنين ممن يعملون معنا في هذا الوقت.»  
تنهدت ندى في ارتياح، رغم أنها تعجبت من كلامه، لم يكن مشهوراً بالعطف والطيبة.  
أكمل الرجل: «من فضلك يا دكتورة قومي بمسح الذكرى وسجلّ الإجراء بالكامل، وكأن شيئاً لم يكن.»  
فاجأها الطلب. لم يكن هذا ضمن البروتوكول، لم يطلب منها أي أحدٍ هذا من قبل. ثم إذا قامت بمسح السجل، فلن تقدر على مناقشة الخطأ مع أي أحد. لكن لا يمكنها الجدال، أو الرفض. ليس لديها خيار.  
قال الرجل: «هذا من أجلكما. أتمنى أن تكون اختياراتك أكثر حكمة في المستقبل.»

توجهت للحاسب، وقامت بمسح السجلّ بيديين مرتعشتين، بينما وقف الرجل خلفها. عندما انتهت. أوما لها وهم بالانصراف. كانت متوترة، ولم تدّر إذا كان ما فعلته للتو أسلم تصرف، كان من رئيسها، أو بالأحرى رئيس رئيسها.  
فتحت فمها للتحدث وتوقفت في المنتصف. ألقت نحوها؛ فقالت أخيراً في تردّد: «شكراً ... يا أستاذ أيمن.»

\*\*\*

مرّت الساعة التالية ببطء. كان الوضع في القسم مشحوناً بالتوتر، ولم تكن متأكدة لماذا، أو تمتت ألا يكون كل هذا نتيجة فعلتها. لم تذهب ندى للمنزل. أرادت أن تظمنّ على العميل أولاً؛ فلم يظهر منذ تحميل الذكرى وشعرت بالقلق، ماذا إذا سبب له هذا الخطأ شيئاً ما؟ لم تظنّ أنه رحل، ليس مع هذا العدد من رجال الأمن عند كل بوابة يُدققون في أمر من يدخل ويخرج.

جلست في مكتبها المجاور للمعمل، تراقب الساحة الواسعة في منتصف المبنى من خلف ستارة النافذة الزجاجية. رأت

أيمن مع رجل يتحركان بسرعة في اتجاه المصعد. كان يرتدي شارة العملاء، لكنها لم تره من قبل. التفت ناحية المعمل ورأت ندبةً رفيعةً طويلةً أسفل عينه اليسرى.

لم تقدر على الانتظار في مكانها طويلاً ونهضت. قرّرت البحث عن يزن في أنحاء القسم. لكن أين يمكن أن يختبئ عميل جديد في مثل هذا الوقت؟ لا يوجد أماكن عديدة صالحة للاختباء بالقسم. ليس الحمام أو الكافيتريا، كانوا سيجدونه سريعاً إذا كان هناك. ليس معقولاً أن يعود للمعمل. ثم خطر لها هذا المكان، غرفة صغيرة في الطابق تحت الأرضي بالقرب من عُرف ثلاجات الجثث، يستخدمها العملاء لسرقة بعض النوم في أثناء فترات العمل الطويلة، لا يُعلم الكثير عنها. فقط بعض العملاء والتقنين القدامى. ربما سمع عنها من أحد. قرّرت تجربة حظّها.

\*\*\*

سمح الهدوء لومضاتٍ من الذكرى بالتسلّل إلى عقله. فأغلق عينيه بقوة، ما زال يُجارها. أرهبته أكثر مما توقع. لم يرد رؤية موته يُعاد مرة بعد مرة في عقله. لكنه لم يستطع إيقافها.

كانت الغرفة مظلمة، لكنه سمع همسات. وظل يقنع نفسه أنه تأثير الإجراء. شعر بالندم، كان يجب أن يستمع له ويرحل عن هذا المكان. لكن من كان سيتلقّى ذكراه؟ من كان سيُحقق له العدالة الآن؟ أمسك برأسه وضغط، لم يشعر بألم. كانت الدكتورة مُحقّقة. لكنها لم تُقل له عن ذلك الوخر المزعج خلف عينيه وهذا الضباب الذي يُغطي أفكاره الخاصة. قرأ تقارير العملاء السابقة وذاكر البروتوكول. لكن كل هذا لم يجعله مستعداً لهذه التجربة المريعة، أم كان هو حالة خاصة، فلم يكن مسموحاً أن يتلقّى عميل ذكرى شخص قريب منه. عليه أن يسترد قوته وتركيزه سريعاً، لن يمكنه الاختباء هنا لوقتٍ طويل. سيجدونه وعندها لا يعلم ماذا سيحدث له.

«محاري ...»

سمع الأصوات مجدداً، وغطّى أذنيه. لكنه هذا الصوت. صوت أقدام تقترب منه، لم يكن في عقله فقط.

\*\*\*

سمعت ندى صوت الجلبة من بداية الممرّ الذي يقود للثلاجات، صدر من الغرفة بالتأكيد. لكن كان بابها مغلقاً. تردّدت للحظة في خوف، ثم فتحت الباب ودخلت. وجدته، وجدّت يزن. ولم يكن بمفرده.

وقف خلفه رجل، يُحيط رقبته بذراعه بينما يُقاوم يزن بلا جدوى. تجمّدت للحظة قبل أن يُخرجها من سكوتها صوت الاختناق البشع الصادر من يزن. نظرت حولها تبحث عن أي شيء يساعدها، فقوّتها بمفردها لن تُفيد مع هذا الوحش. وجدت على الأرض بجانب الباب حقنةً رفيعة، يبدو أنها سقطت منه. بسرعة لم تكن تتخيل أنها في مقدرتها، التقطت الحقنة وأفرغت محتواها في ذراع الرجل. التفت الرجل تجاهها ورأت الندبة. خارت قوّته وسقط يزن من تحت قبضته. خطا الرجل تجاهها في غضب، وتراجعت للخلف سريعاً. لكنه لم يستطع التقدّم أكثر من خطوتين وسقط فاقداً للوعي.

أسرعت ندى لمساعدة يزن على النهوض، بينما سعل بشدة حتى ظنّت أن رثيته ستندفعان خارج فمه. أشار يزن إليه لاهتئاً، وقال: «هو ... هو القاتل.»

حدّقت ندى به للحظات حتى فهمت. «هو!» يقصد قاتل الشاهد. قالت: «لكن هذا عميل.»

قال يزن وصوته مبسوح: «عميل! حاول قتلي.»

التقطت ندى المِحقن مجدداً، وقربته من أنفها.

«هذا مُخدر ... لم يكن يحاول قتلك.» قالت، تحاول أن تجد أي مُبررات عدا المؤامرة المميّنة التي تنكشف لها.

قال في ضيق: «ألم تربه يحنقني؟ أتذكّره من الذكرى، لقد قتل مروان.»

قالت في تردّد: «يجب أن نجد ... نُخبّر شخصاً بشهادتك، المدير ... أيمن نصار هنا بالمبنى.» هو هنا وطلب منها

مسح سجلّ الذكرى. «لم؟»

تردد يزن قبل أن يقول: «لا. هو مشترك في هذه الفوضى.»  
سألت: «هل رأيته في الذكرى؟»  
لم يُجب يزن فوراً، يفكر فيما يستطيع أن يقوله لها. كم من الحقيقة يُمكنها التحمُّل؟  
سعل مجدداً في محاولةٍ فاشلة لاستعادة صوته ثم قال: «ليس في الذكرى فقط. أخبرني مروان عنه.»  
تراجعت ندى للخلف، أدركت شيئاً من نبرته وطريقة كلامه. لهذا كذب بشأن الإذن. من أجله. وقالت: «مروان!  
الشاهد، تعرفه؟»  
«نعم، هو صديقي.» قال وحاول كتم دموعه.

\*\*\*

«لست متأكدًا إذا كنت ستري هذا يا يزن، أتمنى أن تجد هذه الذكرى طريقها إليك.» يقول بينما وقف خلف باب الحمام في بيته. وصوته غير واضح وسط الطرق العنيف على الباب. «آسف يا صديقي. لا أظنني سأقدر على الهروب منه. وجدوني سريعاً، أيمن نصار وأتباعه. سأحرص على النظر لوجه القاتل جيداً. أكره أن أتركك لهذا بمفردك.»

يتوجه للمرأة ويظهر وجه مروان بها، يُمسك بقطعةٍ من الصابون ويكتب على الزجاج.  
يقول هامساً: «انظر جيداً، ستجد كل شيء هنا، وجدتهُ المحارب.»

\*\*\*

«يزن!» أعاده صوتها للغرفة الصغيرة ووجدها تُمسك بذراعيه اللتين تضغطان على أذنيه.  
سألت بصوتٍ واضح كطبيبٍ يفحص مريضه: «هل تشعر بألم؟»  
ردَّ يزن: «انظر جيداً. انظر جيداً.»  
«يزن، استمع لصوتي. اسمك يزن، أنت عميل في قسم التحقيقات الخاصة. اليوم هو الثلاثاء ...»  
نظر تجاهها وحاول السيطرة على أنفاسه المتسارعة. ثم نظر تجاه الرجل المستلقي على الأرض وقال: «كم من الوقت لدينا حتى يستيقظ؟»

فحصت عينيه بينما تقول: «بهذه الجرعة أقل من ساعتين.»  
«يجب أن أهرب من هنا، لكن أحتاج المساعدة. لسْتُ بكامل قوتي العقلية أو الجسدية.»  
«تهرب لماذا؟ أنت مُتلقِّي ذكرى، يُمكننا الاتصال ...»  
قال يزن في ضيق، وارتفع صوته قليلاً: «لا يوجد هنا من يُساعدنا، الجميع هنا يحرص على سلامة المشروع فقط.»  
تنهدت ندى، ونظرت إلى الأرض، أَلَمها كلامه. قالت مُصححة: «أنت مخطئ، مهمتي الأولى هي سلامة العميل.»  
لاحظ ضيقها وشعر بالأسف. اقترب منها وقال متوسلاً: «إذن من أجل سلامة العملاء الحاليين ومن سبقهم، ساعدني على الهرب.»

قالت في إصرار: «ليس قبل أن تشرح لي ماذا يحدث.»  
نظر يزن حوله يُفكر، ليس لديه خيار آخر. كل شيء صار مكشوفاً على أي حال. إذا لم يخرج لن تُهم الحقيقة التي يعرفها.

قال محذراً: «ما يحدث، سيضعك وسطَ فوضى لا رجوع منها وسيعرضك للأذى.»  
أجابته: «أنا بالفعل في وسط هذه الفوضى. ولا أحب أن أبقى في الظلام طويلاً.»  
تنهد يزن وسعل قبل أن يقول: «تعرفين بالفعل برنامج مروان، أصداء الموتى. كان يُحقق في قضية جديدة، وما كان

سيكشفه، كان سيُدوّر كل ما تَرينه حولك. منذ فترة أُرسل إليه كتاب من مجهول. قصة تحكي عن إلهة قديمة ومُحاربيها واسم الإلهة كان نيموسين.»

\*\*\*

من الكتاب الإرشادي للفسه:

يمكن للعميل تحديد الذكرى المحتملة من خلال مقارنتها بتجاربه الشخصية، وتقييم الصدى العاطفي، وفحص التناقضات والاختلافات، وملاحظة مُحفزات الذاكرة. يمكنه أيضًا القيام بتحقيق خارجي من خلال مساعدة الفريق الطبي النفسي والتقارير الخاصة بالضحية. مع مرور الوقت، يُطور العميل علامات مميزة للذكريات المحملة، مما يُتيح له تمييز أي انحرافات أو تناقضات تم إدخالها بواسطتها. تساعد هذه الطريقة العملاء على تمييز الذكريات المحملة والحفاظ على ذكرياتهم الخاصة. لمراجعة هذه الإجراءات والبروتوكولات الخاصة بالتعامل مع الذكريات المحتملة انظر الفصل العاشر.



## ١٠. من أجلها

رن الهاتف للمرة الرابعة على التوالي. ظهر اسم ندى على الشاشة في إصرار. حذق يوسف بالهاتف الملقى على الطاولة بجانبه. كان جالسًا على كرسي بجانب النافذة، نظر إلى الخارج، إلى الحديقة المهجورة للمنزل. قضى معه زين معظم الوقت. لم يقدر على مغادرة المنزل منذ الهجوم الثاني، بالكاد غادرا الغرفة.

كان زين مُستلقياً أمامه على الفراش، وبين يديه كتاب. نظر إلى يوسف عندما لم يُجب الهاتف ثم قال: «ربما يجب أن نُجيبها، أنت تُقلِّعها أكثر بهذه الطريقة.»

هز يوسف رأسه نفيًا. لم يُردِّ مواجهتها، يمكن أن يفضحه صوته أو وجهه.

أكمل زين بينما قلب صفحات الكتاب: «أنت الوحيد بيننا الذي تبقى له عائلة حقيقية. لا تفقدها. أعرف أن ما حدث ليس ...»

«لا تبدأ، أعرف كل ما يمكن أن تقوله. كنت أدافع عنَّا وكل هذا.» قاطعه يوسف منزعجًا، ثم تنهَّد، لم يُرد أن يُضايقه، لا يستحق ذلك. فسأل ليُغير الموضوع: «هل سمعت من أيمن بعد؟»

نحس زين ووضع الكتاب جانبًا وأجابه: «لا ... أين أخذوه؟ هل نبحت في المستشفيات؟» ثم تردَّد قبل أن يُضيف: «هل تظن أنه ...»

«لا ...» قاطعه يوسف سريعًا: «لا أعرف. لا يسعنا غير الانتظار.»

اقترح زين أخيرًا: «هل نعمل إذن بدلًا من الانتظار غير المجدي؟» في الحقيقة لم يتوقف زين عن العمل، هذه الطريقة الوحيدة التي قدِّر بها على إيقاف المخاوف في عقله مؤقتًا. فكان يعمل على حاسبه في أثناء نوم يوسف، لكنه لم يذهب للقبو بعد. وافق يوسف.

أضاء زين نور القبو، كان المكان هادئًا بطريقة غريبة، حتى ما تبقى من الفئران لم يجرؤ على إصدار صوت. لم يبدُ أي شيءٍ محتلفًا، عدا بعض الأوراق المتناثرة، والمحقن على الأرض. وقف زين بجانب الشاشة، ورفع ذراع الكهرباء. وانتظر حتى تُضيء الشاشة أمامه.

سأل يوسف في نفور: «ما هذه الرائحة؟»

اشتَمَّ زين الهواء وقال: «لا أعرف، من أين تأتي؟»

نظرا حولهما، مُتتبعين الرائحة العفنة. حتى لمح زين المبرد. باهه موارب. تحرك تجاهه وأمسك بالباب ورفع. هاجمته موجةٍ حديثة من الرائحة؛ فغطَّى وجهه سريعًا. وحَدَّق برُعب داخل المبرد.

\*\*\*

لم يقدر آدم على فتح عينيه، ولكنه كان واعيًا. كان الفراش مريحًا، ولكنه غير مألوف، وهذه الرائحة! رائحة مواد مُعقمة وكيميائية كالمستشفيات. من المنطقي أن يكون في مستشفى بعد ما حدث. ذاكرته ليست بأفضل حال، ولكنه أدرك أنه محظوظ لكونه حيًّا. رأسه يؤلمه، وتذكر طرف المسدس وهو يصطدم به. وضع يده على رأسه، وشعر بالضمادة فوقه.

لحظة، لم يكن وحيدًا مع القاتل! ماذا حدث ليوسف وزين؟

فتح عينيه سريعًا، ونحس جالسًا. نظر حوله، وأدرك أين هو؟ ليس في مستشفى. لم ينس شكل الغرفة، غرفة عمر في منزل الراعي. وهو بفراشه، حيث استلقى في مرضه، قبل أن يقتله. خلع آدم الأنبوب المتصل بوريده، ولم يهتم بالدماء التي سالت من ذراعه. كل ما أراده هو الابتعاد عن هذا الفراش. ففز من فوقه وكأنه مُشتعل، وعاقبه رأسه بموجةٍ من الدوار.

فوق طاولة مقابل الفراش، رأى صورًا لعمر: وهو يرتدي زيَّ التخريج، وهو طفل رضيع بين ذراعي والدته، وأمام مبنى

(تورك) مع والدته. وبجانب الصور بضعة من الأوسمة، فضية وذهبية. كانت الطاولة ضريحًا لذكراه. وعلى طرفها رأى القطار الأحمر الصغير، ظهرت عليه آثار الزمن؛ فتقشّر طلاؤه عن بعض الأماكن. اقترب آدم منه ببطء، للحظة لم يدرك إذا كان حقيقيًا أم لا، حتى أمسك به بين يديه، وشعر بملس البارد. هاجمته غصة في قلبه، حزن أم ذنب؟ لم يدرك. خرج من الغرفة، وسمع أصواتًا من نهاية الممر. تبعها حتى وصل غرفة معيشة أوسع دخلها الضوء من نافذة عريضة جعل عينيه تؤلمانه. توقفت رنا وأيمن عن الحديث عند رؤيته. حدّق بهما يدرس ملاحظتهم. حزن؟ غضب، أم خيبة أمل؟ قال أيمن في سخرية: «أخيرًا، استيقظت الجميلة النائمة.»

قالت رنا: «عودة حميدة، يا آدم.»

لم يقدر على منع دموعه عند سماع صوتها، فكل ما كان بعقله أنه قتل ابنها!

وقال بصوتٍ مُرتجف: «آسف، آسف...»

وقفت رنا وتوجّهت ناحيته. حاوطت يديه بيديها في رفق. وبدا أنها تحاول منع دموعها أيضًا.

قالت: «لا عليك، لم تخذلي يا آدم. أعرف الآن من فعل به هذا. مع أن صديقك سلب مني فرصة الانتقام. لكنني شاكرة لك.»

أوماً ببطء. نظر تجاه أيمن، ومسح دموعه سريعًا، كره أن يراه أيمن هكذا. سأله: «زين ويوسف بخير؟ ماذا حدث؟»  
«فلنجلس أولًا.» قادت رنا آدم للأريكة وتحرك معها.

بدأ أيمن في الحديث: «كانت مفاجأة لي هذه الليلة، اتصل بي رفيقك، ووصلت لأجد جسدًا.» توقفت أيمن لثوانٍ، شعر آدم خلالها أن قلبه يتجمّد. ثم أكمل: «لحسن الحظ بقيت أنت حيًا. ورفيقك بخير.»

قالت رنا: «كانت مفاجأة لي أيضًا، لم أشك أن شخصًا يعمل معنا منذ أكثر من ثلاثين عامًا يُمكنه فعل كل هذا. هل تقدر الآن أن تحكي لنا عن ذكريات عمر، لم نقدر على فهم الكثير منك خلال الثلاثة أيام الماضية، كنت غائبًا عن الوعي معظم الوقت. كل ما فهمناه منك من قتل الوسيط و... عمر.»

ثلاثة أيام! ولم يتدكّر منهم لحظة. حاول ابتلاع دهشته وخوفه. حدّق بأيمن للحظة. لا يُوجد ما يستطيع أن يُخفيه عنه الآن. لم يعترض الراعي على وجوده. قص عليهم آدم ما رآه في ذكري عمر بإيجاز. لم يُقل شيئًا عن مشاعره الأخيرة، عن غضبه وخوفه وألمه. حاول أن يُجيبها كل هذا رحمةً منه. مع ذلك، رأى وجهها يتقلّب ما بين الحزن والغضب بينما استمعت له.

عندما انتهى، وقفت فورًا وقالت: «شكرًا يا آدم. أيمن، هل يُمكنك أن توصله لبيته؟» تقدمت عدة خطوات، وقالت قبل أن تترك الغرفة: «لا تتردّد في الاتصال بي إذا احتجت أي شيء.»

\*\*\*

أسرع زين ويوسف إلى الباب عندما سمعاه يُفتح. دخل آدم وأيمن، وظلّ الرباعي للحظات في صمت مشحون. أشار يوسف إلى الضمادة فوق رأس آدم، ثم قال وتظاهر بالهدوء: «أنت بخير؟» لكن عينيه كانتا حمراوين بالفعل، وأسفلهما هالات سوداء. مضت ثلاثة أيام فقط، لكنه بدا أنحف بالفعل.

أوماً آدم، ونظر لزين الذي ظهر على وجهه الغضب، لم يُقل له شيئًا وألثفت لأيمن سائلًا: «هل وجدتموه؟ ابن عمي؟»  
أجابه أيمن في هدوء: «لا، ليس بعد. في الحقيقة، ليس لدي أمل كبير.»  
نظر زين تجاه الأرض في يأس.

قال أيمن: «لكن حتى نُجده... لا يُمكنك أن تقول لعائلتك بشأن هذا. سيجلب هذا العديد من التساؤلات التي نحن في غي عنها حاليًا.»

ظهرت على زين الدهشة من كلامه. ثم قال بصوتٍ غاضب، لم يكن من عادته: «أعلم بالتأكيد لن أقول لهم إنني

السبب في موته.»

قال آدم سريعًا: «زين، لست ...»

لكن رفع زين يده ليوقفه عن الكلام، ثم تركهم مُتَجَهًّا لأعلى. تبعه يوسف دون قول شيءٍ آخر. راقبهما آدم يرحلان. لم يتوقَّع الأحضان والاحتفال بعودته، لكنه لم يتوقع الشعور بهذا الألم. التفت ووجد أيمن يُحدق به، رافعًا حاجبَيْه، وكأنه يقول: «حظًّا سعيدًا في التعامل مع هذا.»

قال أيمن: «لا أعلم إذا كان ذلك سيساعدك، لكنك لم تقمُّه، ضغطت أنا على زر التشغيل الذي جعل هذا الشيء لديكم في القبو يعمل. ولا تظن أننا في أمان تام، تخلَّصنا من عدوِّ واحد، ولسنا متأكدين إذا كان يعمل وحده. سيأتي آخرون.»

لم يُجِبْه آدم، رغم تسارع ضربات قلبه، وشعوره بحرارة في جسده، رغم أنه كان شاكرًا، وللحظة صرخ عقله: «لم أقتله.» ثم صار غاضبًا. لم يضغط زرَّ التشغيل، ولكنه كان هناك، جهزها ووضع عمر تحت رحمتها. رحل أيمن وصعد آدم لغرفته، وارتمى على فراشه.

مرَّ اليوم سريعًا، ضد رغبة آدم، قضى مُعظمه في الفراش. فقد هاجمه صداع مُنهك، لم يسمح له بالبقاء واعيًا لفترةٍ طويلة. لكنه ظن أنه سمع أشخاصًا في الغرفة معه، يتحركون ويتحدثون، تارة في قلقٍ وأخرى في غضب. شعر بيدٍ على رأسه، وألمٍ حادٍّ في جانبه، ويدٍ تخنقه، ويدٍ تُثبِّته في مكانه. أراد أن ينتهي كل شيء، أراد أن يستيقظ، لكنه لم يستطع، لم يُطْعِه عقله، أو جفناه الثقيلان، حتى ييسر من المحاولة، واستسلم لأي مصير سيلقاه.

«محاربي، انهض.»

سمع الصوت آتياً من بعيد وفتح عينيه. تراجع الألم كثيرًا. بجانبه على الطاولة كان هناك كوب من المياه ودواء مُسكِّن، ابتلع حبتين وشرب المياه. بعد تغيير ملبسه، خرج من غرفته ليجث عن قاطني المنزل. وصل للمطبخ وجاءت الأصوات من القبو. هبط السلم، لم يدخل القبو منذ الهجوم. في ذاكرته، كان القبو مُظلمًا، وجدرانُه ضيقة، وسقفه عاليًا. لكن الغرفة الآن كما كانت دومًا، واسعة، وباردة، وإضاءةً ساطعة. وجدها يعملان ويتناقشان، مع نيموسين، بدونه. توقفاً عند رؤيته. التفت زين سريعًا عائداً للحاسب، دون أن يقول شيئًا.

سأل يوسف: «أفضل الآن؟ لم تبدُ بحالٍ جيدة أمس.»

«أنا بخير.» قال آدم بصوتٍ مخنوق، لم يتوقَّع الشعور بهذا الانزعاج، وحاول أن يُخفي ألمه. «هل تعملان؟»

أجابته زين: «ماذا تظن؟ نحتاج إلى ذلك، بعض المكونات احترقت.»

اقترب منهما آدم في قلق، وفحص الآلة بعينيه: «ما هي؟»

قال زين بدون أن ينظر تجاهه: «لا تقلق، جلب لنا أيمن ما نحتاجه. أوشكنا على الانتهاء.»

قال آدم بنبرة مندهشة: «أيمن؟ اتصلتما به؟»

التفت له زين أخيرًا وسأل: «هل أنت متأكد أنك أفضل؟ تسأل أسئلةً بديهية.»

شعر آدم بالإحراج، ونظر يوسف لزين نظرةً لوم. دار آدم بعينيه حول الغرفة، حتى وقعت على المبرد. وهاجمته رؤية شنيعة، كابوس أم ذكرى أخرى؟ حدَّق به في رُعب.

لاحظه زين وقال: «تركت لنا مفاجأةً لطيفةً بداخلها آخر مرة.»

ابتلع آدم ريقه، وشعر بيديه ترتجفان.

«أحقًا لم تجد مكانًا آخر للتخلُّص منها؟» تعجب زين من نظرة الفزع في عينيه، فأضاف موضحةً: «الفئران.»

فئران! لا يتذكر أنه ترك بها فئرانًا، بل كان شيئًا أكبر. لكن لا يبدو أنهما علما عنه شيئًا. هل تخلص منه أيمن؟ لكنه لم يذكر ذلك؟ لم يكن حقيقياً، أليس كذلك؟ يريد أن يُصدق ذلك، سيُصدق ذلك.

قال يوسف وبدا عليه قلق حقيقي: «ربما يجب أن تتراح أكثر، تبدو شاحبًا.»  
أوماً آدم، شعر أنه يَحْتَنق، لم يُرد أن يرى شيئًا آخر يُنشِط ذاكرته. فترك القبو على عجلةٍ وعاد إلى غرفته. اختلطت بداخله المشاعر. ودرات تروس عقله في اتجاهاتٍ مختلفة. شعر بالغضب، واليأس والذنب. شعر أنه منبوذ ووحيد. شعر بأنه يستحق هذا، وأنه لا حقَّ لهما في إبعاده هكذا. لكنه هو من كذب وعرضهما للخطر. هو من سبَّ كل تلك الفوضى. لكن أليس من الطبيعي أن تأتي المخاطر مع تقدُّم مثل هذا؟ مع مشروع كهذا؟ لم يكن ليقدِّر على منعها، وقد حاول. حاول حمايتهما، وأن يُعفيهما من الذنب.

شعر بألم رأسه عائدًا، وبضيق في صدره. دخل الحَمَّام وغسل وجهه بالمياه مرارًا، ثم حدَّق بانعكاسه في المرآة أمامه. لم يضغط على الزر، لم يقتله. طلبت منه العدالة، وتحققت. رحل القاتل، قاتل عمر، قاتل حسن، قاتل التووم. لم يتذكَّر حتى أياً من التووم كان. زحف هذا الأحمق خلف المال لاهثًا، لم يكن حذرًا. وكاد يتسبَّب في موتهم جميعًا. لم يقتله. ولم يقتل والده، كان حادثًا، لا لم يكن حقيقيًا.  
خرج من الحَمَّام، وجلس على الفراش.

«أنت مُحاربي الأحمق.» سمع الصوت من خلفه. وفي انعكاس المرآة أمامه رآها، ترتدي الأبيض، وتقف في شموخ كالإلهة التي هي عليها. لم يشعر بالخوف وقتها، وحدِّقًا ببعضهما لدقائق.  
عليه أن يُصحِّح هذا الوضع، من أجل مُستقبل هذا المشروع، من أجلها.

\*\*\*

هذه كمية كبيرة من الطعام! هذا ما فكَّر فيه زين عندما دخل المطبخ في الصباح التالي. ظهر آدم من خلف الطاولة وقال مبتسمًا: «جيد، أنت مُستيقظ. أحضرت قهوة و ... طعامًا.»  
أخرج زين من وسط فوضى الأكياس والعلب قطعةً من الخبز، ووضعها في فمه، واتجه إلى القبو. تبعه آدم بخطواتٍ سريعة.

سأل آدم من خلفه: «هل ستظلُّ غاضبًا للأبد؟»  
توقف زين أمام الشاشة وقال: «ليس للأبد، ربما لعامين.»  
بدأ آدم في الكلام: «أعلم أي كنتُ مخطئًا ...»  
لكن زين قاطعه: «مخطئ في ماذا؟ إخفاء هوية الراعي بعدما عرفتها، التخلُّص منَّا وتعريض نفسك و ... كدنا نموت ...» ارتجف صوته في آخر الكلام وتوقف.

لم يعرف آدم كم عِلِم رفيقاه عما حدث. تحدَّثًا مع أيمن بالتأكيد، ويعلمان الراعي الآن. لكن هل يعلمان كل تفاصيل الليلة؟ ماذا قال لهما أيمن؟ شعر بالقلق، لم يعلم ما المعلومات التي عرفها زين ويوسف وأيمن. لم يعرف من عرف ماذا، وجعله جهله يشعر بفقدان السيطرة.

قال آدم في ندم: «نعم، كل هذا. أردتُ حمايتكما ...»  
«وتظن أن اعتذارًا أو طعامًا سيُصلح الأمر.»  
«لا، لكنني أريد المحاولة، أريد البدء ...»  
«يمكنك المحاولة، لكنني لا أعدُّ بالنتائج.» قال زين وعاد إلى الحاسب، وياشر في النقر على المفاتيح بطريقةٍ تبدو عشوائية.

وقف آدم يُشاهده. ليس هذا ما تمناه، ظلَّ أن زين سيكون أكثر رفقًا به، لكن يبدو أن ما مرَّ به كان له وطأة كبيرة عليه هو الآخر. لم يغفل عن عيني يوسف المهقَّتَيْن وكلامه القليل، ولكن زين صار مُجبرًا بالنسبة له.  
لم يعلم ماذا يفعل؟ شرع في العبث بالأوراق والمعدات فوق الطاولة. وقعت عيناه على المبرد وللحظةٍ رأى طرفًا لكيس

أسود يخرج من تحت الغطاء المغلق. على اللوح كتب زين بعض الملحوظات، لكنها صارت ضبابية. أمسك آدم بكيس طعام الفئران، ووضع منه في القفص للفأرين المتبقين. سمع صوت الآلة تدور، ولكنها لم تتحرك عندما التفت لها. شعر بحركة من خلفه، شعر بيدٍ تمرُّ فوق ذراعه في لطف.

«آدم!» أعاده صوت زين لوعيه، ورفع عينيه لينظر إليه. «ماذا تفعل؟»

نظر آدم ليدته، ووجد أنها تُمسك بفأرٍ وتضغط، بينما يصرخ المخلوق ويتلوى. تركه آدم سريعاً. ولم يجد ما يقوله. فشل فشلاً ذريعاً في هذه المحاولة.

قال زين بصوتٍ رزين: «لا تبدو بأفضلِ حالٍ يا صديقي. اذهب لترتاح.»

أغضبته الملحوظة قليلاً، لكنه رأى قلماً حقيقياً على وجه زين. وللحظة، شعر بالراحة لذلك. لا يكرهني كلياً. لم يقل شيئاً وصعد السلم.

\*\*\*

وجد يوسف في المطبخ يُحدق بالهاتف كأنه قبلة موقوتة.

«أنت بخير؟» سأل آدم وندم فوراً، لا يوجد بين جدران هذا المنزل من هو بخير. رماه يوسف بنظرة تقول: «هذا أغبي سؤال سمعه.» ولم يرد. فظن آدم أنه لا يمكنه إفساد الوضع أكثر من ذلك، ولكنه سيحاول بالتأكيد.

«يوسف، اسمع ...»

قاطعته يوسف فوراً: «لا أريد سماع حديث عن كم أنت آسف، وأن ما حدث ليس بخطأ أحد و ...» نبرته سريعة ومتوترة. «لأنه كذلك. هناك عواقب لكلِّ ما نفعله. وكانت يدي على هذا المسدس.»

«شكراً. أردتُ أن أقول فقط، شكراً.» قال آدم مندفعاً: «لقد أنقذت حياتي، حياتنا جميعاً. هذا الرجل كان سيفقتلنا. وأنا مدين لك ... أكثر ممَّا تظن.»

لم يكن هذا ما كان سبقوله، لم يكن هذا اعتذاره وطلبه لإعادة الأمور لجرها، والتقدم بمشروعهم. لم يكن هذا تفكيره، ولكنه صار كذلك. اندفعت الكلمات منه. لأنه لم يكن هذا يوسف في حالته المعتادة مثل زين ... ومثله.

حدق به يوسف، ورأى آدم دموعاً محبوسة في عينيه. ارتحف الهاتف في يده. تنهَّد أخيراً وأوماً في هدوء.

قال زين من عند باب القبو: «أنتما الاثنان تبدوان كفوضى مُتحركة. عودا لرشدكما، لا أريد مجالسة الأطفال لوقتٍ طويل.»

التفت آدم ناحية زين وأدرك شيئاً، من ملامح وجهه وأسلوبه. اضطرَّ زين لانتخاذ دورٍ جديد عليه في الأيام السابقة. كان هو في غيبوبة في بيت الراعي، وتركه مع يوسف الذي على شفا الانهيار التام. حتى لهذه اللحظة، أدرك آدم أنه لم يبدُ أي منهما كمثالٍ للصحة الجسدية والنفسية. ولم يتبقَّ غير زين ليُلملم ما تبقى من رفاقه.

قال آدم: «لا تقلق، لن نُضطرَّ لفترةٍ طويلة.» سيُصلح كل شيء، ويُعيد كل شيء لسابق عهده. أي سبيلٍ آخر سيكون غير مقبول ... مُميّناً.

ابتسم زين ابتسامة ساخرة ثم أشار إلى الطعام على الطاولة متنهّداً. «فلنأكل هذا الطعام قبل أن يفسد.»

اقترب الثلاثة من الطاولة، وبدءوا في الأكل. نظر آدم لهما وللحظة، كان يقدر على إبهام نفسه بأنه لم يحدث شيء سيئ. لم يتأدَّ أحد، لم يكذب أحد، لم يمُت أحد. فقط للحظة، ولكنها كانت كافية له. أدرك أن هناك متغيرات جديدة، شيئاً ما تغير بينهم وداخلهم. لم يحتج رفيقاه إلى اعتذار، احتاجا إلى تغييرٍ وتكثيفٍ على النسخ الجديدة من أنفسهم وواقعهم.

قال يوسف: «أعلم أنه دوري، لكنني لن أغسل الصحون.»

أجابه زين: «لن يكون هناك أدوار من الآن، لقد فاز آدم بهذا الشرف لبقية حياته.»

\*\*\*

ظن زين أنه سيموت. للحظة ظنَّ أن روح آدم تُغادره. كان الوقت ليلاً، ولم يقدر على النوم. فكر في جلب حاسبه من القبو ليعمل لبعض الوقت، لكن أوقفه صوت آدم من غرفته. دخلها في فرع، ووجدته في الحمام، يتقيأ كل ما أكله، ارتجف جسده وأصدر صوت تأوُّو غريباً. وظن زين أنه لن ينجو من هذا. وقف خلفه وذراعه مُمتدَّتان ناحيته ليساعده على النهوض، أو يمنعه من السقوط كلياً. ظن زين الشيء نفسه عندما رآه يستند إلى طاولة المطبخ بينما سالت الدماء من رأسه، بينما وقف القاتل أمامه. ظن وقتها أنها آخر مرة سيراه فيها. وظل في شكِّ عندما لم يُعد لثلاثة أيام. انقبضت معدته، وكتم أنفاسه لعدة ثوانٍ حتى لا يُشاركه في التقيؤ.

سأل زين: «هل نذهب لمشفى؟»

رفع آدم رأسه وقال: «لا، أنا بخير.» ثم التفت وجلس على الأرض معتدلاً، وأكمل كأنه يتحدث عن الطقس: «تعرف كيف هي إصابات الرأس، فحصني طبيب عند الراعي. لا تقلق.» لم يكن كاذباً، بالتأكيد فحصه طبيب عند الراعي، لكن ماذا وجد برأسه؟ مجرد ارتجاج، أم وجدهم جميعهم؟ ووجدتها؟ أراد زين أن يُجيبه: «لا، لا أعرف إصابات الرأس، ويجب ألا تعرف أيضاً.» لكنه اكتفى بقول: «أنت أحمق.» بينما ساعده على النهوض والتوجُّه للفرش.

قال آدم في سأم: «فقط اذهب لتنام.»

«لن أترك هكذا.»

ابتسم آدم وقال: «أنت تنشر الإشاعات مُجدداً. اخرج.»

أوماً زين في يأس، وهمَّ متجهاً للباب، ارتقى آدم على الفرش وأغلق عينيه.

توقف زين للحظة وسأل: «ليست إشاعات هذه المرة، أليس كذلك؟»

فتح آدم عينيه مستمعاً، بدون أي ردة فعل.

سأل زين في تردّد: «هل هي السبب؟ هل فعلنا هذا بك؟»

لكن لم يحصل على إجابة، أغلق آدم عينيه بشدة وتظاهر بالنوم. ولم يضغط عليه زين. لكنه لم يُعد للنوم. هبط للقبو، رغم إرهاقه. لكنه لم يُفكر في تقليل وقت الاستخراج والتحميل، لم يفكر في أخطاء البرنامج أو الاختبارات. فكر بها بطريقة أخرى. لم تكن أمامه كتناج أفكاره وعمله، رآها بمنظور آخر في هذه الليلة. رآها كتابوت. ليست للأحياء، بل للموتى.

\*\*\*

الشمس مشرقة، وجلبت الدفء إلى المنزل بأكمله. انكسر برد أشهر الشتاء أخيراً. وقف يوسف في المطبخ، وحدّق ببقعة في الأرض أمام الطاولة. لقد قاموا بعمل جيد في تنظيف آثار الدماء، بالنظر إلى قلة خبرتهما. طبّقاً لما قاله لهما أيمن قدر استطاعتهما.

بينما تحبّبوا في رُعب هذه الليلة، كان أيمن رزيناً ودقيقاً بدون قطرة عرقٍ واحدة. أجرى مكاملة، مع الراعي بالتأكيد، أو الراحية. وطلب منهما أن يعملوا على الجنة. لم يكن هناك جدوى، فأخّر ذكرى للشاهد معروفة والقاتل معروف. لكنه أصرّ وقال لهما: «أي شيء يمكننا استخراجه منه سيفيد.» ولم يكن بهما إرادة تكفي لمقاومة أيمن. أخذوا القاتل لنيموسين. لكن كان لها رأي آخر. لم تُكمل المهمة. وبدأت رسائل الإنذار الحمراء تظهر على شاشتها. في النهاية أخذ الجسد وآدم ورحل. القبو مضاء، استطاع رؤية خطّ النور من أسفل الباب. لقد قام زين بعمل جيد عوضاً عنهم، ليُعيدها. وما زال، سيهبط يوسف للقبو ويقوم بعمله، بعدما ينتهي من هذه المكاملة. فقط إذا استطاع إجراءها.

عندما نزل إلى القبو أخيراً، ووجد زين جالساً على الأرض وحوله فوضى من الأوراق والمعدات. من هيئته لم يبدو أنه حظي بأي نومٍ منذ أمس.

سأل يوسف وهو يحاول قراءة ما يفعله: «ما هذا؟»  
أجابه زين، وهو يحكُّ عينيه من أسفل نظارته: «شيء كبير. بما أنك هنا، أحتاج المساعدة.»  
«هل أحضر آدم؟»

فكر زين قليلاً قبل أن يقول: «لا، دعهُ يرتاح. يمكنني مناقشته معك حالياً.» ثم أدار له شاشة الحاسب ليرى.  
جلس يوسف بجانبه وقال: «أحتاج القليل من السياق أولاً، لأفهم هذا الهراء.»  
«ماذا تفعلان؟» فاجأهما الصوت من منتصف السلم، ورأس آدم يميل ليُطل عليهما من أعلى.

قال يوسف مازحاً: «ينام بعينٍ واحدة مفتوحة.»  
«أعتقد أنه يُمكننا التحدُّث بشأن هذا الآن.» قال زين وأشار لآدم لينضمَّ إليهما.

فحص آدم حالة الغرفة بعينيه وسأل: «هل كان الضرر بهذا السوء؟»  
تنهد زين وأجابه: «لا ... نعم، لكن أعتقد أن الأسوأ خلفنا.»  
ابتسم آدم، وجلس بجانبهم قائلاً: «إذن يُمكننا أن نجرب مجدداً؟»  
حدَّق به الاثنان كأنه مجنون هارب.

قال آدم ليوضح قصده: «أقصد لن نتوقَّف بالتأكيد!»

«ستتوقف.» قال زين ثم أخذ نفساً عميقاً وأكمل: «يجب أن تُوقف التجارب البشرية.» وقبل أن يبدأ فيضان  
الاعتراضات الذي رآه يتكوّن في ملامح آدم، بدأ في الشرح: «بالأحرى سنوقف جزءاً، أظن أنه يُمكننا إزالة الجزء البشري  
الحي من هذا. كنتُ أفكر في طريقةٍ لإعادة بناء ذكرى الشاهد كفيديو وإظهارها على شاشةٍ بدلاً من بني آدم.»

سأل يوسف: «كيف هذا؟»

قال زين: «سيتطلَّب بعض الوقت ...»

قاطعهم آدم: «سيتطلَّب أعماراً للوصول لدقّةٍ يمكن الاعتماد عليها.»

قال زين في محاولةٍ للتشجيع، ولكن نبرته كانت مُترددة: «أظن أنه يُمكننا فعلها.»

نحس آدم منزعجاً، وبدأ في المشي ذهاباً وإياباً في مساحة ثلاث خطوات: «لا يُمكننا البدء من نقطة صفر. لدينا شيء  
هنا ناجح. هل سنطلب من الراعي أن ينتظر، بينما نُغيّر المشروع بأكمله؟»

وقف زين هو الآخر وقال: «هذا فقط إعادة توجيه. ثم أليس هذا مشروعنا، لم تُشعرنا أننا تحت رحمة الراعي طوال  
الوقت. يجب أن تتكيّف على حُطتنا.»

توقف آدم، ووضع يديه على الفراش ليستند، وقال بصوتٍ أهدأ نسيئاً: «هذه ليست حُطتنا. لم نحدِّ كل ما عملنا  
لأجله؟ لجرد أننا خائفون من بعض الحوادث؟»

قال زين: «بعض الحوادث! هذه الآلة تُسبب ضرراً للأحياء.»

«ليس لديك أي دليل على هذه النظرية.»

«أنا أنظر تجاه الدليل.»

قال آدم معترضاً، ولم يقدر على منع غضبه من الظهور: «أنا بخير، قلت هذا مراراً. توقف عن معاملتي كأنني مريض.»

«نصف الوقت كأنك في عالمٍ آخر. لا يُمكنك تجاهل هذه الأعراض طويلاً، ولا تُقل لي هذه إصابة الرأس.»

نحس يوسف، ووقف بينهما قائلاً: «توقّف! كفى شجاراً. آدم، هذه ليست فكرة سيئة. يُمكننا أن نحاول.»

التفت آدم تجاهه وقال: «لا يُمكننا إضاعة الوقت في نظرية.»

قال زين في إصرار: «لا يُمكنني أن أعمل بهذه الطريقة، في خوفٍ في كل مرة نضعك أو أي شخصٍ آخر تحت الآلة.»

هربت منه الكلمات، شعر أنه فقد نقطة قوّته. نظر آدم للمبرد. فقد السيطرة. نظر إلى قفص الفئران، للحظة شعر أنه معهم داخل القفص. قال: «أحتاج لبعض الهواء.» وصعد السلم في خطواتٍ سريعة.

## ١١. هي

هذا ليس منطقيًا! لماذا تتصرف هكذا؟ حدق زين بشاشة الحاسب أمامه، حكّ ذقنه ورأسه، لعلّ الأفكار في رأسه تبدأ في الحركة في اتجاهٍ مختلف، ويفهم ما يحدث. لم يعد يدري كم مضى من الوقت وهو بالقبو. لكنه استيقظ هنا. لم يرَ آدم أو يوسف منذ الأمس. لم يعرف كمّ الضرر الذي ألحقه بإصراره على إيقاف الوضع الحالي، وما الذي على وشك الحدوث. ربما كان آدم مُحفًا، أراد زين ترك كلّ ما وصلوا إليه من أجل فكرة، هذا جنون. لكن لا يمكن تجاهل المخاطر، حتى إن لم يكن لديه دليل غير ما يراه. وما اكتشفه للتو، زاد الوضع جنونًا. لم يكن لديه تفسير علمي. ربما لن يقود هذا إلى شيء، وربما إلى كل شيء.

انضمّ إليه يوسف بعد قليل. لم يكن يظنّ أن عينيه قد تُغمّر أكثر داخل محجريهما. إذا كان هكذا بدا يوسف، فتخيّل كيف بدا هو، أو آدم.

سأل زين: «أين آدم؟»

أجابه يوسف: «أظنّه في غرفته. ما زلت تعمل على هذا؟»

«كنت، لكنّ هناك شيئًا غريبًا.» قال زين ثم توقّف ليجد الكلمات المناسبة: «اكتشفتُ ملفات مخفية. الآلة تخزن

ملفات مشفرة، أظنها لذكريات، لكنها ليست الملفات التي نحفظ بها.»

عقد يوسف ذراعيه، يحاول فهم ما يقوله زين، قال مقترحًا: «نُسَخ احتياطية...»

«لم نبرمج هذا، ولم هي مخفية؟»

«فيرس ...»

حدّق به زين وكأنه يُهينه وقال: «لا تكن سخيفًا، لن أدع هذا يحدث.»

«امسحها، وسنفهم ماذا تكون من النتيجة.»

«هذا الأكثر جنونًا، لا تدعني أحذفها نهائيًا.»

سأل في بلاهة: «من؟»

هي.

نظر الاثنان تجاه الآلة في حيرةٍ وبعضٍ من الخوف. «هي!» القبو بارد، وربما هذا سبب تلك القشعريرة التي سرّت في أجسادهما، وربما لا.

ابتلع يوسف ريقه وقال زين: «هل نأكل؟» أراد أن يخرج من القبو، ووافق يوسف. سريعًا تركا القبو لها.

\*\*\*

لم يقدر على التنفّس، وصدْرُه يضيق ويؤلمه. فتح عينيه ووجد أنه مغمور تحت المياه. انتفض جسده ورفع رأسه فوق المياه وشهق، أخذ أنفاسًا سريعةً مُتتالية، سببت له دوارًا. حاول أن يُنظّم أنفاسه حتى هدأ. كان في الحمام داخل حوض الاستحمام. الماء بارد، كان هنا منذ فترة. لم يدّر متى غفا، أو متى قرّر الاستحمام من البداية. خرج من الحمام، وارتدى أول ما وجده أمامه.

تجمعت بعض السُّحب في السماء المظلمة. لكنه لم يكن متأكدًا من الوقت. أمسك بهاتفه، ووجد عدة اتصالات فائتة، من أيمن. لم يُرد أن يتحدّث معه، لم يُرد أن يشرح أو يُماطل أو أيًا من هذا. ترك هاتفه وهبط للدور السُّفلي.

أضاء التلفاز بغرفة المعيشة، كان زين جالسًا على الأرض يُحدّق بلا تركيز في الحاسب أمامه، ويوسف مُستلقًا على الأريكة بجانبه، نصف نائم. أدرك آدم حينها أن الوقت متأخّر، كان واضحًا أن لا أحد منهم أراد أن يكون وحيدًا. ارتقى

آدم على الكرسي أمامهم في صمت. فتح زين فمه على وشك أن يقول شيئاً، لكنه عاد إلى حاسبه. بعد قليل، صدر صوت طرّق على باب المطبخ أفرعهم، ونظروا إلى بعضهم في حيرة. ثم نهضوا جماعةً وتوجهوا للباب. قال الصوت من خلف الباب: «أنا أيمن، افتحوا بسرعة.»

فتح آدم الباب وتراجع، بينما دفع أيمن بالعربة للداخل، العربة التي تحتوي على حقيبة سوداء يعرفونها جيداً. دخل أيمن خلفها وأغلق الباب. حدّق الجميع به، ثم نظر يوسف وزين إلى آدم نظرات اتهام. رفع آدم يديه في حالة دفاع وقال: «لا أعرف شيئاً عن هذا.» ثم التفت لأيمن سائلاً: «لم نطلب أي جثث.» قال أيمن موجهاً الكلام لآدم: «لم تُجِب على هاتك.»

قال زين: «لن نقوم بأيّ اختباراتٍ حالياً. لسنا مُضطرين لطاعتك أو الراعي. نحتاج الوقت ...» لكن لم يستمع له أيمن، دفع العربة حتى باب القبو وقال أيمن: «خاطرتُ بكل شيء لأحضر لكم هذه الجثة، وظيفتي على المحكّ من أجلكم.» ثم فتح باب القبو، وبدأ في حمل حقيبة الجثة، لم يُساعده أحد، لم يُرد أي منهم لمسّ الحقيبة. فنظر ليوسف وقال في هدوء: «ساعديني على حملها.»

تردد يوسف، ثم ساعده بدون تعليقٍ حتى هبط السلم، ووضعها الحقيبة على الفراش. قال أيمن: «افعلوا ما شئتم بها، وقت الوفاة منذ حوالي ستّ عشرة ساعة، نريف في المخ نتيجة إصابة. اتّصلوا بي عندما تنتهون، سأكون في الجوار.»

قال آدم معترضاً: «هذا وقتٌ طويل. هل تختبر حدودنا؟ هل تعلم رنا بخصوص هذا؟» تردّد أيمن قليلاً، محاولاً كتّم مشاعره، أو الكلام الذي أراد قوله حقّاً. ثم أوماً في امتعاض، وأجّه إلى السلم ثم إلى الطابق العلوي. سمعوا صوت الباب يُعلّق خلفه بقوة. ولمرةٍ أخرى وقف الثلاثة في القبو مع جثة، لم يعتادوا الوضع بعد، ولم يظنوا أنهم سيعتادون هذا الوضع قط.

نظر آدم لرفيقيه وسأل: «الآن ماذا؟» قال يوسف، مُحدّقاً بالحقيبة في حيرة: «هل ستعمل حتى؟ ست عشرة ساعة وإصابة في الرأس.» ابتسم زين نصف ابتسامة، لم يُصدّق أنهم في هذا الوضع، وأمام هذا الخيار بهذه السرعة. لم يُرد الشجار، لكنه لن يُغير رأيه. قال منزعجاً: «فلنضعها في المبرد حتى يعود.» استند آدم إلى المكتب خلفه، عافداً ذراعيه، يُفكر بعُمق. ثم قال: «لكن، أليست هذه فرصة لنختبرها بعد التصليحات؟ ولنرى حدودها حقّاً.»

قال زين مندفعاً: «وهل ستطوّع مجدداً لحرق محكّ؟» تنهد آدم، لن يفتعل شجاراً آخر، هذا تحدّي لم يكن متأكداً أنه سيفوز به في هذا الوقت. أجابه: «لا... يمكننا فقط تخزين الذكري، لن أتلقّاها، إذا كان هذا سيُريحك.» لكن أوقفهما صوت زمام الحقيبة وهو يُفتح. أمسكه يوسف بيده ولم يتركه. تغلّب فضوله عليه، لم كان ينظر أيمن إليه هكذا؟ لم كان يتحدّث هكذا؟ كشف فقط عن الوجه وتوقف.

كان شعرها الأسود لزجاً من آثار الدماء، لكنه لم يُخفِ أثر انبعاج بالجمجمة. عيناها نصف مفتوحتين، وقرمزيتان بشكل تام. تجمّعت دماء جافة عند فتحتي أنفها، وأذنيها وعلى أطراف شفّتيها الزرقاء. للحظة لم يتعرّف عليها آدم فوراً، كان الأبعد عنها في الغرفة، لكنه رآها، ولم يكن بمُفرد حائراً. وكان عقولهم حجبت عنهم الاستيعاب لتحميمهم لبضع ثوانٍ إضافية.

الصوت الذي أصدره يوسف، لم يسمعه آدم منه قبل ذلك. صوت ألمٍ وكأنّ كل خليةٍ بجسده احترقت في نفس الوقت. هذا ما أزال غشيتّه، وأكّد له ما يراه. كتّم نفسه، شعر بأن التنّس إهانة في مثل هذه اللحظة. فكيف يُمكنه التنّس بينما

لا تقدر هي؟ وجد نفسه جالسًا على الأرض، والأصوات حوله غير واضحة. سمع صراخ حزينٍ وهلعٍ. دفن يوسف رأسه وسط الحقيبة، ووقف زين بجانبه مُتجتمدًا كالصخر، لكن وجهه مُبتلئٌ من الدموع. تمتى آدم أن يفقد الوعي والوقت، مثلما كان من قبل. لم لا يأتي النسيان عندما يُريده؟ لم عقله واعٍ وحى هذه الدرجة الآن؟

سمع أسئلة قصيرة: كيف؟ ولماذا؟ لم يكن لديه إجابات لها. نظر تجاه الآلة؛ فلديها هي كل الإجابات التي يحتاجها. نهض بصعوبةٍ واتجه ليوقظ نيموسين ويسألها: كيف؟ ولماذا؟ لكنه كان بطيئًا، فتحرك يوسف في جنونٍ حولها، رفع اليد وبثَّ فيها الكهرباء.

«يوسف ...» بدأ زين، ولكنه أوقف نفسه، هل يقدر على منعه؟ هل سيُجادله بينما تستلقي ندى على الفراش، ويسلبه فرصته الأخيرة لمعرفة سبب رحيلها؟ لم يقدر. انضمَّ إليه زين، وأخذ مكانه عند شاشة الحاسب، ليفتح لها كلَّ الطرق، ويسمح لها بكل شيءٍ مقابل إجابتها.

وقف يوسف أمام الفراش يُحاول تثبيت الأسلاك بيدينٍ مُرتجفتين. تسقط منه يداه، ويُعيد الكرة حتى أمسك بها آدم. أزعج شعرها للخلف، وثبتت الأسلاك واحدًا تلو الآخر. انتهوا وبدأت الآلة تدور وتنتج بصوتٍ لم يسمعه منها من قبل. وقفوا حولها في صمت، يُراقبون نيموسين تحتضن الشاهدة.

هاجم آدم نوبة غثيان، واتجه سريعًا لأقرب سلةٍ وتقيًا. ظن أن الظلام آتٍ. لكنه رفضه، يجب أن يظلَّ هنا، يجب أن يعرف من هو مُدبِّر حياتهما. من الذي هدم كل شيءٍ؟ قال له أيمن عن أعداء آخرين. كاد عقله ينفجر من فكرة أن هذا بسببه. فكرته، أعداؤه، آله.

سمع زين يحاول التحدُّث. كلماته غير واضحة وغير منطقية. من نبرته كان يهدف إلى العزاء والمواساة، لكنه بدا أكثر رعبًا وذنبًا. أدرك أنهما يُفكران مثله من ملامحهما. الذي أمامهم لم يكن موتًا واحدًا، بل العديد. جلس مكانه ودفن رأسه بين ذراعيه، مُحتضنًا ساقيه. جلس يوسف على الأرض أيضًا بجانب الفراش، وجلس زين في المنتصف بينهم. مرَّ الوقت ببطء، تحذلت ذراعا آدم وساقاه، ولكنه لم يتحرك. استغرقت الآلة وقتًا أطول من التجارب السابقة ورغم قلقهم لم يُعلِّقوا، ما دامت لا تزال تعمل، سينتظرون.

«لقد خذلتها.» بدأ يوسف في الحديث بصوتٍ مُحتنق، بدون أن يجيد نظره عن الفراش. «لم أُجب اتصالاتها. كنت أشعر بالخجل، لم أقدر على جلب الأمان لها والاستقرار. لم أعرف كيف، قتلْتُ شخصًا. والآن ...» قال زين: «لا تلم نفسك هكذا. فعلت ما اضطررت إليه.»

لم يلتفت له يوسف وأكمل باكيًا: «خذلتها ... خذلتها مجددًا.»

رفع آدم رأسه وقال: «لن نخذلها الآن. سنعرف من فعل هذا، وسنجلب لها العدالة.»

أجابته الآلة برسالة انتهاء التحميل على الشاشة. وقدمت لهم حلَّ هذا اللغز. اتجه زين للشاشة، ليتفقد النتيجة. ونهض آدم ويوسف بسرعة. ترددا للحظة قبل أن يحملا الحقيبة معًا، ويضعها على الأرض في رفقٍ وحذرٍ، لا يريدان أن يُسببا لها المزيد من الألم. وضع آدم يديه على الفراش.

لكن أمسك بها يوسف وقال: «لا، يجب أن أتلقاها أنا.»

قال آدم في قلق: «لا تعرف ... لم تفعل هذا من قبل.»

قال يوسف مُصبرًا: «هذه مسؤوليتي، دعني أفعل هذا من أجلها. أرجوك.»

«لا أريدك أن تتأذى.» قال آدم وكان صادقًا، لا يمكنه أن يُنكر ويتعنَّت الآن بخصوص ما تفعله هذه الآلة، ليس في هذا الوقت.

قال زين: «دعه يا آدم.»

واستسلم آدم أخيراً، أخرج المحاقن والمخدر، بينما صعد يوسف على الفراش واستلقى. التفت لآدم مشيراً للمخدر وقال: «لا تفعل، لا أريد النوم.»

كان هذا مُمكنًا، كان المخدر لراحتهم. يجب ألا تؤلم هذه العملية. لكنه نظر تجاه زين، توقع معارضة لم يجدها. ترك آدم المخدر على الطاولة، وبدأ في وضع الأسلاك على جبهة يوسف، وعندما انتهى وضع يده على كتفه وقال: «سأكون بانتظارك يا صديقي.»

ظل زين بجانب الشاشة بعد بدء العملية، ولم يقدر آدم على الوقوف، فجلس. كان قلبه ينبض بسرعة، ويداه ترتجفان. لم يكن في استطاعته الصبر، أراد أن يعرف ماذا حدث، وفي نفس الوقت، كان مُرتعبًا من المعرفة. لم يقدر على تحمّل الذنب. دارت أسطوانة الآلة بسرعة حتى صار ضوءها كالدوامة تكبر وتكبر، تبتلع يوسف.

«هل قتلتها؟» أراد آدم أن يسألها. شعر بشيء ينتهي، شيء يموت. لن تعود الأمور مجراها أبدًا. بجانبه على الأرض من داخل الحقيبة. تحركت ذراع ندى ببطء، ولمست أصابعها رأسها المحطّم، تحركت وكأنها تحاول إصلاح الجزء المدمّر. أراد مساعدتها، لكنه أوقف نفسه قبل أن يلمس وجهها البارد.

همس آدم: «لماذا الآن يا ندى؟ ألم يكن بإمكانك الانتظار قليلاً بعد؟» سمعه زين، والتفت تجاهه. كان هناك شيء يُحيره في ملامح آدم، في ردة فعله. فسأل: «آدم. هل تُخفي علينا شيئًا؟» وكره سؤاله، لم يُرد أن يأتي منه هذا الشك، لكنه مُضطرب.

قال آدم بصوت مرتجف: «لم أُرِد إخفاءها. لكنني كنتُ خائفًا من الخسارة. خسارة يوسف ونيموسين و... هي.» «ماذا تعني؟» سأل زين في تردّد، لكنه في داخله أدرك ما يعنيه آدم. أكد له شكوكه. فقد قال: «هي!» قاطعها صوت إنذارٍ من الشاشة. التفت زين سريعًا تجاه الشاشة. قال زين في ذهول: «لا... لا.» وحاول أن يكتب على لوحة المفاتيح بسرعة بيدين مرتعشتين.

سأل آدم: «ماذا يحدث؟» «لا أفهم، هذا ليس صحيحًا. إنها تعمل بقوتها القصوى. ستحرق محّة!»

التفت آدم تجاه يوسف، ووجد الكائن ذا الرداء الأبيض، أكثر وضوحًا من أي مرة. تقف بجانب الفراش امرأة طويلة ذات شعرٍ منسدل، وعيون مضيئة. إلهة الذكريات، نيموسين. وضعت يدها على وجه يوسف حتى غطّته تمامًا، وبدأت تضغط.

صرخ زين في رُعب: «لا تتوقّف!» بدأ جسد يوسف في الانتفاض بعنف. ضرب زين لوح المفاتيح بقوة بكلتا يديه وصرخ في يأس. نحض آدم وأمسك بجسد يوسف بكلتا ذراعيه. ليس هو. نظرت تجاهه وحدّق بها، ملامحها ثابتة، لا ترمش. واستمرّت في الضغط في إصرار. صرخ آدم متوسلاً: «اتركه... أرجوك.»

فجأة أزلت يدها من على وجه يوسف واختفت. توقفت الأسطوانة عن الدوران، وتوقف جسد يوسف عن الانتفاض. خلفه، وقف زين ويديه كابلات الكهرباء، مزّقة من مكانها. ساد الصمت المكان للحظاتٍ عدا من صوت أنفاسهم العالية.

قال زين في فرح: «حاولت قتله. أرايت؟ لا يُمكننا السيطرة عليها.» قبل أن يقدر آدم على الرد، فجأة، أمسك يوسف بياقته بشدة وجذبه نحوه. عيناه حمراوان، وبدأ أنفه في النزيف. تحركت يده ووجدت عُنق آدم. أمسك آدم بذراع يوسف بكلتا يديه وحاول الابتعاد، فاندفع الاثنان من فوق الفراش، وسقطا على الأرض معًا. آدم أسفل يوسف الذي لم يكن واعيًا بالكامل، لم يبدُ كنفسه. وجهه يشتعل بالغضب، وقبضته على عُنق آدم لا تترزعزع. هُرِع زين إليهما، وأمسك بقميص يوسف من الخلف، وحاول دفعه عن آدم. لكنه لم يتركه، حتى كاد آدم أن

يفقد الوعي. لكن بآخِر ما يمتلك من قوة ركّله بركبته، أفلتت قبضته وسقط للخلف ومعه زين.  
سعل آدم بشدة، وزحف على ركبتيه تجاه يوسف. توقّف بجانبه واقترب زين منه، حدّقاً به. لكنه أغلق عينين مُتلفتين  
بالدموع. ولم ينهض مجدداً.

نادى زين في فرع: «يوسف! هل تسمعي؟»

لكن دون جدوى. وضع زين يده على رقبته ليتفقد نبضه ثم قال: «يجب أن نأخذه لمشقى.»  
قال آدم: «سأرسل لأيمن.» ثم أخرج هاتفه بيدٍ مرتعشة، وياشر في الكتابة.

نفض زين وخطا مبتعداً، أمسك برأسه وأشار إلى الحقيبة السوداء وبصعوبة خرجت الكلمات: «كانت هي، أليس  
كذلك؟ رآك في ذكرياتها.»

لم يحتج زين تأكيداً، فلم يقدر آدم على النظر إلى وجهه. جاءت الفكرة في عقله أولاً. رأني، إذن نجحت الآلة. تغلبت  
على الوقت والإصابة، وحفرت في الذكريات حتى وجدتني. لكن مما رآه في الذكريات، هل سيتفهم؟ أراها تُنقذ حياته  
عندما وصل للحضيض؟ وكم كانت وحيدة؟ وكيف شعرت أن الجميع تحلّى عنها؟ مثله. لم تطلب المساعدة، لكنه شعر بها  
وقدّم لها كل ما يقدر عليه، لأنه رآها وسمع كلماتها المخبأة أسفل قناع قوّتها وعندها. وقدمت هي حُبّاً لم يعرف أنه موجود  
في هذا العالم. حُب لم يعتده، لم يألفه، ولم يُدرك كم احتاجه.

لكن لماذا فعلت نيموسين هذا بيوسف؟ هل كانت تحاول حمايتي؟»

سأل زين في خيبة أمل: «كم من الأسرار ما زلت تُخفي؟» ثم أشار إلى الآلة وأكمل: «كم من التضحيات ستقدم من  
أجل هذا ... الشيء الوحشي؟»

لم تكن وحشاً، هي إلهة، كل ما تسعى إليه هو العدالة. وهم وسيلتها.

قال آدم بصوتٍ آلي: «نحن مُحاربون. يجب أن نُحقق العدالة.»

اندفع زين غاضباً: «توقف عن ذكر العدالة. لا يُمكننا تحقيقها بهذا الشكل، على حساب حياة الآخرين. كم من الموت  
ستغاضي عنه؟ لم يكن يجب أن نتدخل في أمور الموتى. لم يكن من المفترض أن نسرق ذكرياتهم.»  
حدّق به آدم في دهشة. كيف يقول زين هذا الكلام؟ ألم يكن هذا ما أرادوه؟ حلمهم. لم يكن هناك وسيلة أخرى؟ هل  
سيتملّى عنه حقاً؟

ملاحح زين مُرهقة، لكنّ بها تصميمًا. أكمل: «هذه النهاية، لا يُمكنني المتابعة. يا ليتك لم ترسل لي هذه الرسالة قط،  
ووقّدمني لهذا الكابوس.»

كلماته تردّد قسوة، تُخيفه وتُغضبه. خلفه وقفت الإلهة بردائها الأبيض، راقبت في حدّر ما دار بينهما، تنتظر في صبر. لم  
يُرد آدم أن يلفت لها الانتباه.

قال آدم: «كابوس! وماذا تدعو الحياة التي كنت تعيشها؟ كفأر.»

قال زين: «على الأقل لم أضطرّ للتغاضي عن جرائم قتل، كنتُ بلا أسرار.» ثم مسح وجهه الرطب من العرق والدموع  
بيديه.

قالت نيموسين: «مُحاربي ...» ولم تتوقّف، ردّدت الكلمة كهمسٍ في أذنه مجدداً ومجدداً.

أكمل زين: «آدم، هذا الشيء غيّرك، لن أتركه يُدمرك أيضاً.»

«لا تُصبح عدوها. أرجوك.» أراد آدم أن يتوسّل، التفتت تجاهه نيموسين. فجأة رفع زين الكرسي فوق رأسه، واندفع  
تجاه الآلة. أسرع آدم ووقف أمامه، تلقّى الضربة بذراعيه، لكن ليس قبل أن يتراجع زين للخلف في آخر ثانية، ليحميه من  
قوّتها. امتدّ ألم صارخ في كلتا ذراعيه. سقط الكرسي وانحنى آدم من الألم. شعر بالوحدة، فقد السيطرة كلياً.

مدّت نيموسين ذراعها تجاه آدم. أراد حمايتها وأراد حمايتها؛ فزين ليس في حالته الطبيعية. بالتأكيد لم يُرد أذيتّه أو أذيتها.

رأى آدم المِحقن على الأرض، لم يستخدمه على يوسف. احتاج زين فقط للوقت، للراحة، مثل يوسف و... ندى، سمع صراخها وبكاءها، من أجل أخيها أم من أجله؟ خلال ثوانٍ، وجد آدم المِحقن في يده فارغاً. غداً سيكونون على ما يُرام وسيحدثون بشأن كل هذا. سقط زين، وجهه مُقابل الأرض، انتفض جسده مرةً وسكن.

خطت نيموسين تجاه آدم، وأمسكت بذراعه وقادته للشاشة. ذكرى ندى ما زالت محفوظةً بداخلها. يجب أن يعرف الحقيقة ويُحقق العدالة. أعاد لها الكهرباء وبدأ العملية.

## ١٢. الفأر

استيقظ في غرفة غير مألوفة، ظنّها غرفة في مشفى في البداية، بسبب الرائحة والأجهزة والأنايب المتصلة بذراعه. لكن بعد فحص سريع للمكان، تأكد أنها ليست مشفى، وخنن موقعه. مثل المرة الفائتة، كان في منزل الراعي. «وماذا عن البقية؟»

أزال الأسلاك سريعاً، ونهض من فوق الفراش. تعثر في طريقة للباب، لكنه لم يسقط. أمسك بالمقبض وأداره. الباب مُغلق. بدأ يطرق الباب بقوة، وينادي بأعلى صوته. كان أيمن من أجا به بعد عدة دقائق. دخل الغرفة ولم يكن وجهه غاضباً أو ساخرًا كالعادة.

سأل آدم لاهتًا: «أين هم؟»

«اهدأ.» قال أيمن ووضع يده على كتفه.

دفعها آدم وقال: «لا. ماذا حدث؟»

صوت أيمن هادئ، ربما حتى به القليل من التعاطف، قال: «بدأت أتشاءم من منزلك، كل مرة تكون الكارثة أسوأ من سابقتها.»

«أين هم؟ أرجوك.»

تنهد أيمن وقال: «صديقك في الغرفة المجاورة، لكن الآخر كان ميتًا من قبل وصولي.»

تردّدت الكلمات في رأسه كالصدى، ثم سرى ألمٌ في أنحاء جسده، واستقرّ في صدره، ضغط بشدة، حتى صار التنفّس بصعوبة. رأى وجه يوسف يبكي ويتوسّل ليتلقّى الذكرى، لم ينبج منها. وجد صعوبة في التصديق. هل يقصد أنه لن يُجيب عندما يتصل به؟ لن يجده في المنزل يعمل ووجهه ملطخ ويده مليئة بالجروح الصغيرة؟ سيلومّه زين ولن يُسامحه قط، وهو مُحقّق. طلب منه أن يترك حياته وعمله من أجل حلمٍ قتله في النهاية.

كل ما استطاع قوله: «أين الغرفة؟»

قاده أيمن عبر الممرّ لباب الغرفة المجاورة، وفتح الباب. كانت غرفة عمر السابقة. وجد نفس الأجهزة الطبيّة والشاشات تُحيط بالفراش حيث استلقى الجسد الساكن. هناك قناع للتنفّس على وجهه، لذا اضطرّ للاقتراب ليراه. لم يكن شعر زين أسود، ووجهه أخف. ليس هو النائم. كان يوسف من استلقى على الفراش أمامه. توقف عقله للحظاتٍ في حيرة. للحظة كان سعيدًا، يوسف حي. لكن هذا يعني أن زين لم يكن كذلك.

«لماذا هو...» تلعثم آدم في الكلمات وكأنه نسي كيف يتحدّث: «أين... زين؟»

أجاب أيمن: «كما قلت. وجدته ميتًا.»

«لكن... كيف؟»

«كنت أتمنى أن تشرح أنت ما حدث. وجدوا كميةً زائدة من الميخّر في دمه.»

مرّت ومضاتٌ من تلك الليلة أمام عينيه، كان المحقن في يده، تذكر هذا. صرخ زين وهدّدها. أراد أن يُسكنه فقط. ماذا فعل؟ لا، هي جعلته. لن يؤذي زين أبدًا. كانت حادثه. مجرد حادث، لكن لم كان بالمحقن جرعة زائدة من البداية؟ فجأة خانته ساقاه، وترك نفسه يسقط جالسًا بجانب الفراش. كان أيمن يدرس ملامحه. نظراته كلها شك. التفت آدم تجاه يوسف وناداه بينما هزّ جسده.

قال أيمن، وحاول أن يُجبر الشفقة في نبرته، لكنه لم ينجح: «للأسف، لا يتوقع الطبيب استيقاظه من هذه الغيبوبة، الضرر في محّه شديد. لكن للحظة شككنا أنك لن تستيقظ أيضًا، فلا أعرف ما يمكن أن يحدث.»

نظر إليه آدم وكأن ما يقوله خيال. بداخله أدرك أنه خسير. خسر كل شيء من أجلها ... هي. حاولت ذكرى أخرى أن تندفع من داخل متاهات عقله. ذكرى حاول ألا يسمح لها بالمرور. لكن كانت إرادته واهنة، وبعد كل شيء. هو من سعى لتلقيها.

\*\*\*

تصرخ وتبكي. خائفة عليه وعلى أخيها. تترجّاه أن يعود إليها، تترجّاه أن يتوقف. فكفى كل هذا الضرر. تريده لنفسها. تُهدد بمصارحة يوسف بعلاقتهم. صار خائفًا من خسارته، فالآلة تحتاجه، تحتاجهم جميعًا. تقترب منه والدموع في عينيها، تطلب منه اختيارها هي فقط. لا يتدكّر هو كل هذا. فهذه ليست ذكرياته التي يراها. لا يتدكّر عندما دفعها بقوة ليس لها مبرر غير الأذية. لا يتدكّر سقوطها، ولا يتدكّر ضرب رأسها بالأرض مرارًا. يتدكّر فقط ما رآته هي. وقبل النهاية، تدكّرتّه بيتسم، يُواسيها، يجعلها تضحك. رأى نفسه من خلال عينيها، ولم يكن يُشبه ما يراه في المرايا كل يوم. كان جميلًا بطريقة لم يتعرّف عليها. هكذا رآته، حتى آخر لحظة، قبل الظلام.

\*\*\*

أحاط آدم رأسه بين ذراعيه وضغط بأقصى قوته، أراد أن يُخرجها، أن يخرج كل الذكريات من رأسه. صرخ حتى انقطع صوته، تراجع أيمن في ذهول. ثم بدأ آدم في ضرب رأسه بالأرض، هاجمه الألم بعنف، لكنه لم يتوقف، حتى أسرع أيمن وأمسك به. رفعه وقيد ذراعيه خلفه، ولم يقدر آدم على مقاومته، لكنه حاول ضربًا وركلاً. كل ما أرادته في هذه اللحظة هو أن يتوقف كل شيء. ونال مراده ... مؤقتًا.

وجد نفسه في نفس الغرفة عندما استيقظ. لكن هذه المرة كلاً ذراعيه وساقيه مقيدان بالفراش. لم يحاول مقاومة القيود طويلاً. كانت تجلس بجانب فراشه، تنظر إليه في عطف. شعر بالقليل من فزعه يزول عند رؤيتها.

قالت رنا: «هذه لسلامتك مؤقتًا فقط، حتى تصير في حال أفضل.»

لم يُجادل في أمر القيود، رغم أنها كانت تؤلمه. هذه فرصته. عليه إقناع رنا، عليه أن يقول الحقيقة قبل أن تعود الإلهة وتسيطر عليه. عليه أن يسمع فقط كلام زين.

حاول أن يبدو عاقلاً، أن يتحدث بالمنطق فقط. حاول. ألمه حلقه وجعل صوته ضعيفًا: «لن أصير أفضل، لقد غيرتني. لست بخير. أرى أشياء ليست موجودة، وأفعل أشياء لا أتدكرها. أفقد وقتًا، أفقد نفسي.»

أمسكت رنا بيده وقالت: «أفهم أن الأعراض قد تبدو جسيمة الآن. لكن يمكننا التعامل معها، والتغلب عليها. طبيبنا نجح بالفعل في البدء في تقليل التورّمات في رأسك بدرجة كبيرة.»

أراد أن يُصدق ذلك. يُمكننا التغلب عليها، لن يكون وحده. لكن ليس هذا كلام زين. فأصرّ بأقصى قوته: «لقد قتلتمهم. جعلتني أقتلهم.»

تنهدت رنا وقالت: «أنا آسفة للغاية على خسارتك. وألوم نفسي أيضًا؛ لأنني لم أكن الراعي المثالي لكم. لكن يُمكننا تجاوز كل هذا، معًا. لن أتركك، ولن أخسرك.»

«لن تركني، لست وحيدًا، بالتأكيد لا يريدك زين أن يكون وحيدًا. لا ... لا يهم هذا، فقدته، فقد زين ويوسف وهي.»

قال آدم، وحملت كلماته كراهية لنفسه: «لقد أصبحت مسخًا، محاربًا وحشيًا من أجلها. يجب أن ... نُدمرها.»

ابتسمت رنا في عطف تجاهه كطفل فقد لعبته. قالت: «لست مسخًا يا آدم. أنت مخترع رائع. هذه مجرد وسيلة، آلة صنعتها ويمكنك تطويرها لتصير أفضل. فكّر بكل الناس الذين يمكنك مساعدتهم. كل من سيفقد عزيزًا عليه، كل أم مثلي يأكلها ألم عدم معرفة ما حدث لطفلها. أفهم أن التضحيات كانت فادحة. لكن كل معجزة لها ثمنها.»

لم تكن مجرد آلة، الآلة لا تختار ولا تقتل. أدرك آدم أنها لا تفهم، أو لا تهتم. وقعت تحت سيطرة نيموسين أيضًا. خشني أن يفقد عزيمته أمام رنا، لم يكن قويًا للدرجة الكافية لتحديها. كل ما به هي قوة مُستعارة، بثّها به زين ويوسف وندى.

«لا أريد أن أكمل هذا المشروع بدونك.» قالت رنا وفهم قصدها، ستكمل نيموسين به أو بدونه، لن يقف هو في طريقها، مهما فعل الآن. ولم تكن تمنحه خيارات. يدها مقيدتان ومعهما خريته.

نخضت وقالت وعلى وجهها ابتسامة أمل: «أريد عقلك الماهر أن يكمل هذا. لم ينته حلمك يا آدم، بل دخل مرحلة جديدة. وسأساعدك بكل ما لدي، كل ما أريده الآن هو أن تتحسن. فلدينا الكثير لنحققه.»

\*\*\*

كانت الغرفة أكبر من القبو على الأقل بخمسة أضعاف، امتلأت بالأجهزة والمعدات وكل ما يحلم به مخترع صغير. لقد أمضى شهرًا في علاج مكثف، وعندما وجدت رنا أن حالته تحسنت، عندما توقفت عن نوبات الصراخ والغضب، سمحت له بالخروج لأول مرة، وجلبته لهذا المكان، معمله الجديد المجهز. عرفتته على فريق جديد من المهندسين والعلماء. كلهم يعملون تحت أوامره، كما قالت. كان مُنهرًا، فمن لن ينهر؟ كل ما قد يحتاجه ليُكمل مشروعه تحت يديه. بلا وسيط أو أسرار.

وفي منتصف الغرفة وقفت الآلة، عكست الأسطوانة الضوء الساطع على معدنها المثقل. مُتصلة بكابلاتها وأسلاكها بطريقة منظمة، ليس كما كانوا في القبو، حيث تعثروا مرارًا بسبب زحمة الأسلاك، والمعدات الملقاة هنا وهناك. أمامها ثلاث شاشات كبيرة مُتصلة بحاسبها مباشرة. وبدلاً من الفراش، هناك كرسي أسود جلدي أسفلها. مرّر آدم يده على معدنها الباردة، وشعر برجفةٍ بينما أضاءت الأسلاك الضوئية مع لمستته.

همس آدم: «هل افتقدتني؟»

وقفت رنا في فخرٍ خلفه، مبتسمة. سألته: «ما رأيك؟»

قال لها آدم مبتسماً: «كل شيء مثالي.»

سألت رنا: «أحتاج شيئاً آخر؟»

نظر إلى جانب الآلة حيث وقف زين، ويوسف أمام لوح أبيض يُخططان ويكتبان طلب طعام. تردّد آدم قليلاً ثم قال: «لا.»

أضافت: «على أي حال، سيكون أيمن جوارك طوال الوقت، إذا احتجت إلى شيء.»

أوماً آدم. بالتأكيد سيكون جواره، وليس كوسيط، بل كحارس.

التفتت رنا وقالت: «سأتركك لعملك إذن.»

الغرفة واسعة، لكن مُحاطة جدرانها من كل مكان، لا يرى بعدها، ولا مخرج في مرمى بصره. ولكنه معتاد هذا، ليست أول مرة، ولن تكون الأخيرة، يعرف ما يجب فعله. يعرف هدفه. وسيُرضي نهمه فور الوصول إليه، لكن هل سيمنحه أسرته خريته؟ من حينها سيحمله ويُخرجه من هذه المتاهة الخائقة؟

\*\*\*

من الكتاب الإرشادي للقسمة:

أثيرت مخاوف أخلاقية تتعلق بالخصوصية وحقوق المتوقّين، وقد تم وضع لوائح صارمة لضمان الاستخدام السليم والمسئول للتقنية. لا يتم الإجراء إلا بعد الحصول على الموافقة من أهل الضحية أو الحصول على تفويض مباشر من السلطة القضائية المصرّح بها. للتعرف على اللوائح التنظيمية وطلب التفويض انظر الفصل الرابع.

تُدْرَج شهادة العميل كدليل موثّق في تحقيقات القضية. للتعرف على بروتوكولات إدراج شهادة العميل انظر الفصل التاسع.

## المحارب الأخير

أكمل زين كلامه: «استجابت نيموسين لتوسُّلات الموتى لتحقيق العدالة فمدت ذراعها داخل رءوسهم وأخرجت ذكرى موتهم ثم وضعت الذكرى داخل رأس مُحارب اختارته. ألا يبدو هذا مألوفًا؟»

أجابت ندى: « LMR والمحاربون هم العملاء؟ »

أكمل زين: «نعم، لكن مع الوقت، صارت الإلهة أكثر قوةً وقسوة. جسُّها بالعدالة صار مشوَّهاً. هذا ما كتب بالنص: «قتلت الإلهة محاربيها، قتلت الإلهة الأبرياء.» ولم يقدر على إيقافها أحد.»

ابتسمت ندى وقالت: «ما هذا الهراء؟ هذه مجرد قصة؟»

«هذا ما ظنَّاه في البداية، لكن داخل هذا الكتاب تفاصيل، لا يمكن أن يعرفها أي شخص، من كتب هذا الكتاب كان عميلاً أو مهندساً. شخص عمل مع LMR قديماً. عرف نفسه بالمحارب الأول. وضع خريطة بالأدلة التي تُثبت أن هذه التقنية مُميّنة.»

قالت ندى في استنكار: «مميّنة! لم يمت أحد من استخدام الجهاز.»

«أنتِ مخنّطة. قتل أحد العملاء نفسه في العام الماضي. كان اسمه ...»

قاطعتها ندى: «خالد، أعرف ... لكن هذا ليس بسببها.» شعرت بجمرة خلف عينيها، تتذكّر هذا اليوم جيداً، حين سمعت هذا الخبر. كان في إجازة مرضية لعدة أسابيع، خلالها رفض التحدُّث إليها ولا حتى مرة. ثم أنهى حياته ولم يترك حتى رسالة. شعرت وقتها بغضبٍ شديد منه، فلم يطلب مساعدتها، وعَصِبت من نفسها لأنها لم ترَ علامات أنه يمُرُّ بأزمة.

أكمل زين: «لا نظنُّ أنه قتل نفسه. قبل أن يموت قام بعمل عدَّة فحوصات وأشعة خارج القسم، قالت لنا أخته إنه أخبرها أن الجهاز سيقْتلُه، إنه يُسبِّب له هلوسات وأنه يبثُّ أفكاراً ليست له في عقله. حصلنا على الأشعة من أخته، كانت تحتفظ بها سرّاً. كانت مُرتعبة.»

سألت بصوتٍ مرتجف: «وماذا وجدت فيها؟» اعتصر الخوف قلبها، لم تُرد أن تعرف، أو أن تتأكَّد. أجلسته على الكرسي مراتٍ عديدة وقالت في كل مرة: «سأكون معك، لا تقلق وشكراً لخدمتك.»

أجاب زين: «لا شيء.» وعادت روحها لجسدها، مؤقَّتاً.

لاحظ زين شحوب وجهها، فأعطاها عدة ثوانٍ. نظر تجاه الرجل، ليتأكد أنه ما زال نائماً ثم أكمل: «قرَّر مروان البحث أكثر والحصول على أشعةٍ تصويرية لعميل آخر للمقارنة. ولم نكن لنفهم ما كان يحدث حقاً إلا عن طريق الكتاب. يترك الجهاز مفاجآت صغيرة مع كلِّ استخدام. تشوُّهات ضئيلة ومخفية في المخ، تُسبب هذه المضاعفات وأكثر.»

فهِمت ما يقصد، ربما هو من أساء الفهم. قالت له: «كان للجهاز بعض المضاعفات كما تقول في الماضي، مثل نزيفٍ مجهري في مناطق مختلفة مع بعض الناس. لكن كل هذا تم التغلُّب عليه.»

قال زين مندفعاً: «تم تغطيته جيداً فقط، وأي من يقترَب للحقيقة، يختفي.» ثم وضع يده على رقبته، يُدلكها من الألم.

«أتقول لي إنه لمدةٍ تقرب لعشرين عاماً، أيمن نصار وشركاه وكل رؤساء (تورك) قاموا بحياكة مؤامرة كهذه؟»

«هم بالتأكيد يستطيعون، أتدركين كم من المال يجلب هذا الجهاز؟ تعملين مع الجزء الجنائي فقط. أنعلمين شيئاً عن التطبيقات الأخرى؟ طبقاً للمُحارب يمكن استخدام هذا الشيء في استخراج أيِّ ذكرى من أيِّ شخص. لديك علم بشأن

التوسُّع العالمي للقسم أليس كذلك؟ ألم يتفاحروا به أمامنا؟ سيُغطون موت بعض العملاء مقابل هذا.»  
«ربما هذه مجرد حالات خاصة.»

«ليست خاصة أو جديدة. هناك شيء آخر في الكتاب. طلب المحارب أن نحصل على أشعة لمخِّ شخص، تظهر فيها هذه التشوُّهات بشكلٍ واضح. اكتشف مروان أن الرجل في غيبوبة منذ فترةٍ طويلة وكان بمركز رعاية، تحت اسم عمر أبو العزم.»

سألت ندى في تعجُّب: «أبو العزم، مثل مؤسّسي (تورك)؟»  
«نعم، لكن المحارب الأول قال إنه محارب رقيق له، وقتلته الإلهة عمدًا. وبمقارنة هذه التشوُّهات بين العملاء الحاليين والمحارب القديم سنجدها مُتماثلة.»

«وهل حصلتُم عليها؟»  
هز يزن رأسه، وقال بصوتٍ يملؤه الندم: «لم أكن معه، تشاجرتُ معه وطلبت منه التوقف. كان هذا المكان حلمي، وراقبته تدريجيًّا يتحوَّل لكابوس. أردتُ أن يكون كل ما وجده مروان كذبًا. لكنه ليس كذلك، هذا القسم هو الكذبة.»  
قالت ندى بصوتٍ متقطِّع، تبحث عن أي مُبرر، أي مخرج: «ربما كان. ربما لم يجد ...»  
قاطعها: «وجده، وأخفاه. قال لي ذلك في الذكرى. كانت خدعته الأخيرة. لهذا أحتاج الخروج من هنا، سأحرص أن تُذاع حلقتَه الأخيرة.»  
«لن يتركوك.»

«أعلم، لا أفكر فيما سيحدث لي بعدها. كان مروان كل ما لديّ لفترةٍ طويلة، سأكمل ذلك من أجله، سأكون محاربًا للعدالة بحق.»

جلست ندى على الأرض وحدقت بالعميل النائم. للحظةٍ تحيَّلت أنه ينهض، عندها سينتهي كل شيء، وأراد جزءًا صغير منها هذه النهاية السريعة. فقد فاق كل ما سمعته قُدْرته على الاستيعاب. دمر بكلامه كل ما عرفته وأمنت به. تحوَّل كل أبطالها إلى أشرار، وهي منهم؛ فكم عميلٍ وضعته تحت رحمة الجهاز؟ لا يُمكنها أن تجزم إذا كانت هذه الحقيقة، لكن لا يُمكنها إنكار ما قاله. إذا كان في قصة المحارب، حتى لو جزء من الحقيقة، لن تقدر على تجاهلها. أدركت أن هذه نهاية هذا الجزء من حياتها، مهما كان ما ستؤول إليه هذه الليلة. لا يُمكنها الهرب، لن تقدر على المتابعة. ما تعرفه الآن بالتأكيد هو أنها لن تترك يزن في المكان الذي حاولوا قتله فيه. يُمكنها على الأقل إنقاذ حياة هذا العميل.

نحضت وأومات له. رأت ملامح وجهه المتوترة ترتاح قليلًا. لم يكن واثقًا بما ستفعله. ربما رآها كالأخريين الذين سيضحُّون بكل شيء من أجل استمرار المشروع. لم تلمه. لكن كيف ستساعده؟ لن يتركوا أيًّا منهما يخرج. ليس على قيد الحياة.

سمعت الصوت الخفيف من آخر الممرِّ وبدأت ملامح خطةٍ تظهر في عقلها. خطة بها الكثير من المتغيرات، لكنها أفضل ما يُمكن أن تُقدمه في هذا الوقت. قبل أن تُطلع يزن عليها، طرأ في رأسها سؤال.

«ماذا كانت نهاية المحارب الأول؟»

«لا أعرف، الصفحة الأخيرة ممزقة.»

\*\*\*

وقفت ندى ويزن يُحدِّقان بالجنة داخل الحقيبة. امتلأت عيون يزن بالدموع. علمت أنه صديقه وقدّرت مشاعره، لكن عامل المكان الأحق سيعود سريعًا. وعليهم التحرك. أمسكت بالحاسب وكتبت حتى يعود يزن لرشده. لم يكن سهلًا، لكنها خلال عملها هنا، تعلّمت بعض الخدع الخبيثة، مثل تغيير اتجاه الكاميرات، أو تغيير توقيت أو تاريخ في إذن ما.

انتهت وقالت: «أعرف أنها ليست الطريقة المثلى.»

أوما لها يزن، ومسح وجهه. ساعدته على نقل الجثة لثلاجة أخرى. ظلّت يد يزن على ذراع الجسد لثوانٍ قبل أن تُغلق الباب وتُغيّر الاسم على البطاقة. ثم ففز يزن على الطاولة واستلقى داخل الحقيبة. قالت ندى وهي تُعدّل وضع الحقيبة حوله: «سيكون الوضع باردًا وخانقًا قليلًا.» سألها في سخرية: «هل تظنين؟» لم يقصد إزعاجها ولم يُرد الاعتراف بخوفه أيضًا. «أنت جثة الآن، لا تتحدّث.»

وضعت شفرة حادة في يده. وأكملت: «المشفي على بُعد عشرين دقيقة. هل يمكنك التحمّل؟» لم يجب وأشار إلى الحقيبة، فهو جثة الآن.

بدأت في إغلاق الحقيبة، لكنه أوقفها في آخر لحظة لم يكن متأكدًا أنه سيرها مجددًا، فقال لها: «شكرًا يا ندى. كوني حذرة.»

أغلقت الحقيبة ونظرت إليها للحظة قبل أن تخرج من الغرفة، انعطفت سريعًا، فكان العامل عائدًا من آخر الممر. سيدخل ويرى أن وقت نقل الجثة قد تغيّر على حاسبه، وسينقلها في سرورٍ فهذه فرصة العامل للانصراف من هذا الوضع الخانق.

خرج العامل من الغرفة وسحب خلفه الطاولة المتحركة وفوقها الحقيبة السوداء وكما ظنّت كان مبتسمًا. كانت الحقيبة ساكنة لدرجة أخافتها قليلًا، يزن بارع في التظاهر بالموت. راقبته من على بُعد بينما مرّ بجانب الغرفة التي بها العميل ذو الندبة. لم يستيقظ بعد. دخل العامل المصعد، وشاهدت الباب يُغلق.

\*\*\*

لم يسمح لها الأمن بالرحيل. وطلبوا ممن تبقي من الموظفين - وكانوا قلة - البقاء في مكاتبهم. جلست على الكرسي في مكتبها وأغلقت الستارة، لم تكن متأكدة من نجاح حُطتها وهروب يزن. فلم تقدر على الاسترخاء وظلّت تحوم في الغرفة في توتر. بعد فترة، فتحت الباب ونظرت من خلفه لترى الوضع بالخارج. كان المكان هادئًا، عدا من ظهور العميل ذي الندبة. وجهه غاضب ويتحرك بخطواتٍ واسعة سريعة ناحية باهما. لم يتسرّ لها فرصة إغلاقه. شهقت وتراجعت للخلف. دخلت الغرفة وأغلق الباب، لكن ليس قبل أن تصرخ. اقترب منها وأمسك بذراعيها وجذبها ناحيته.

سأل: «أين هو؟» وكشّر عن أنيابه، كوحشٍ على وشك ابتلاعها.

هزّت رأسها في خوف. «لا أعرف ...»

دفعها إلى الأرض وصرخت مجددًا. القسم كبير، لن يسمعها أحد، لن يُساعدها أحد. ظنّت أنها النهاية.

«ماذا تفعل؟» قال الصوت من عند الباب.

قال العميل: «سيدي، لقد خدّرتني وساعدته.»

قال أيمن في حزم: «هذا ليس مبررًا. لن أسمح بالعنف تجاه أيّ من موظفي.»

دخل أيمن وساعدها على النهوض ثم التفت تجاه العميل وأمره: «يمكنك الذهاب الآن.»

أطاعه العميل. وألقى بنظرة حارقة تجاهها قبل أن يرحل.

«دكتورة ندى، هل تأدّيت؟»

هزت رأسها في نفي.

قال أيمن: «يتصرّف العميل سيف بتهوّر في بعض الأحيان. لكنه وفي.»

نظرت تجاهه، تقرأ وجهه، لتعرف ما يعرفه.

أكمل أيمن: «ماذا عنك يا دكتورة؟ هل أنت وفية؟»

«لمن؟ وفائي ليس كوفاء سيف. لقد حاول قتل عميل.»

«يا دكتور، لقد أسأت الفهم. حاول تخديزه، وجلبه هنا في أمان. لكنني أتفهم الوضع. ربما كان سيف أكثر عنفاً مما يجب، فبدا أنه يؤذيه.» قال أيمن ثم جلس على الكرسي أمامها، وأكمل: «فمننا جميعاً بأخطاء فادحة هذه الليلة. لكن المهم الآن هو إصلاحها. يجب أن نجد العميل يزن، هو ليس في حالته الطبيعية.»

حاول قتله أمامها، رأت ذراعاً حول عنقه. لم تُسئ الفهم. لكن لا يوجد كاميرات في هذه الغرفة، هذه كلمتها ضد كلمته.

«تعلمين ما يمكن أن يحدث للعميل، إذا لم يتلقَّ الرعاية المناسبة بعد الإجراء الأول. وللأسف أظن أن يزن لم يكن مؤهلاً لتلقي هذه الذكرى. الشاهد شخص مُصاب بالبارانويا والهلوسة. عقله لم يكن في حالةٍ صحية. لهذا تم رفض الإجراء.»

للحظة رأت يزن وهو يضغط على أذنيه، يسمع ويرى شيئاً ليس موجوداً. ارتعشت يداها ونظرت إلى الأرض. لم تُرد أن تظهر ترددها وخوفها.

«دكتور ندى، لن أسامح نفسي إذا حدث له شيء، وأعلم أنك ستشعرين بنفس الندم.»

قالت: «لا أعرف ...»

«نقوم بالكثير من الخير هنا. وترك يزن في هذه الحالة، يُمكن أن يعرض القسم للخطر، ويعرض نيموسين للخطر.»

تجمدت عند سماع الاسم للمرة الثانية في هذه الليلة. همست: «نيموسين!»

ابتسم أيمن وقال: «أعتذر، هذا اسم قديم نحن القدامى نعرفه. تدعوها LMR الآن.»

عندها زال ترددها. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «لم يكن متزنًا، لم أفهم ما قاله. حاولت أن أساعده. لكنه كان مُرتعباً من شيءٍ لا أراه. تركني وركض. كان آخر ما سمعته منه هو أنه سيذهب إلى حيث بدأ كلُّ شيءٍ أو شيء كهذا.»

عقد أيمن أصابعه، يُفكر بعمق. للحظة رأت قناعه الرزين يهتز.

«حسنًا، يا دكتور.» قال أيمن وهمَّ بالرحيل مسرعًا.

\*\*\*

تحولت مناوبتها ذات الست والثلاثين ساعة إلى الخمسين ثم السبعين. قضت معظم الوقت بين مكتبها والكافيتريا، تم إعطاء معظم موظفي القسم إجازة استثنائية، عدا هي. لم يسمح لها أيمن بالخروج. ولم تعرف ممن يُمكنها طلب المساعدة. بالتأكيد أدرك أنها كانت تخدعه، وتبتاع ليزن وقتاً أكثر. لكنه لم يتحدث إليها مجددًا. رأته بضع مراتٍ يمرّ بالساحة مع سيف أو غيره، وفي كل مرة سقط جزء من قناعه، وازداد توثره. فتتأكد أنه لم يجد يزن بعد.

لم تدّر أنها قد غفت إلا عندما أيقظها صوت هاتفها. أمسكت بهاتفها، ووجدت رسالةً غريبة من أختها:

أين أنت؟ هل شاهدت الحلقة الأخيرة من أصداء الموتى؟ الوضع جنوني في كلِّ مكان، لا أعلم ماذا يحدث عندك بالقسم.

قفزت من مكانها، وفتحت الموقع الذي تُذاع عليه الحلقات. آخر حلقة منذ ثلاث ساعات. ضغطت على زرّ البدء.

\*\*\*

وقف مروان في منتصف المكتب المشهور الذي يستخدمه كخلفية لتصوير حلقاته. وجهه لم يكن شاحبًا، وعيناه زرقاء صافية. ولم يكن هناك حفرة ثاقبة في جبهته. كان يبتسم ابتسامة تُثير الحماس، تقول أعرف أكثر منك، ويتفاخر بهذا.

«أعلم أنه قد مضى وقتٌ طويل منذ آخر حلقة، لكنني كنتُ أحضّر لكم تحقيق القرن. بعد مشاهدته، سيتغيّر العالم من حولك بطريقة جذرية. ما اكتشفته كان مرعبًا وواجهتُ أخطارًا كثيرة لم أكن حتى أتخيلها في كوايبيسي بينما كنتُ أبحث عن هذه الحقيقة. وأعترف أنني كدتُ أراجع مراتٍ عديدة. لكن صوتاً في عقلي ظل يقول لي إنه تم اختياري لهذه المهمة. لكشف هذه الحقيقة وتحقيق العدالة.

أدركت خلال تحقيقي أن مفهوم العدالة مُتغير، كل مجموعة لديها عدالة خاصة بها، تُناسب احتياجاتهم. أدركتُ أن هناك

من سيضحون بكل شيء من أجل عدالتهم. هل هم شجعان ونبلاء، إذا ضحوا بأرواح بريئة لتحقيقها؟ هل يمكننا أن ندعوها عدالة حقًا إذا صارت كإعصارٍ مُدمرٍ لا يُفرّق بين الظالم والبريء؟ سألتُ نفسي هذه الأسئلة والآن أنا أسألها لكم، ربما معًا يمكننا أن نجد الطريق الصحيح.

إذن هل أنتم مُستعدون لتسمعوا معي أصداء الموتى؟»

تجمدت الصورة، حيث وقف مروان مبتسمًا، يده مرفوعة في ترحيب. ثم صدر صوت مألوف.

«لم يُكمل مروان تصوير الحلقة، لأنه قُتل بواسطة من حاول كشفهم. محاربو العدالة المزيّنون. وهذه شهادتي كعميلٍ من قسم التحقيقات الخاصة التابع لـ (تورك). اقتحم بيته عميل آخر وهدهده ثم رماه من شرفة بيته، وحطّم رأسه. اسم العميل سيف عادل. لكن مع ذلك استطاع مروان الوصول إليّ، كصدي. لبتّك لي هذه المسؤولية. لستُ شجاعًا أو بطلًا نبيلًا، لقد وقفتُ ضده في هذا كالأحمق، لكنه لم يكن يستحق هذا.»

تقطّع صوته في محاولة كتم بكائه.

تنفس بعمق وأكمل: «كان محقًا. وسأُكمل ما بدأه. أرسلتُ نُسَخًا من تحقيقه بالكامل لكل المحطات والجرائد وكل من تذكّرتَه حقًا. وستجدون ملحقًا بالحلقة الكتاب الذي بدأ كل شيءٍ ومعه ملفات مروان. هذا التحقيق يكشف خدعة عمرها يقرب من العشرين عامًا، لا تمسحوه، لا تتجاهلوه، أرسلوه لكلٍ من تعرفونه. من أجله ومن أجل كل من فقد حياته بسببها. الإلهة تقتل محاربيها. الإلهة تقتل الأبرياء.»

خفت الصوت وكأنه صار بعيدًا، تائهاً: «أنظر جيدًا. أنظر جيدًا.»

مضت عدة لحظاتٍ من الصمت ثم عاد الصوت بقوة: «لا أعلم إذا كان ما فعلته كافيًا لهزيمتها، أو ماذا سيحدث لي بعد هذا.

مروان، لست بمفردك هناك محاربون صالحون في العالم، رأيتُ شجاعةً حقيقية في طريقي إليك. أتمنى أن تظلوا أقوىاء.

وأبها المحارب الأول أينما كنت، لقد وصلت الحقيقة للضوء، أتمنى أن يجلب لك هذا الخلاص والسلام.»

انتهت الحلقة. لقد فعلها يزن حقًا، تغلّب على الوحش. شعرت ندى بالارتياح والفرح في نفس الوقت، حتى كاد قلبها أن يقفز خارجها. لكنها ستظل قوية، كما طلب منها. وضعت هاتفها جانبًا. وأخذت عدة دقائق حتى استجمعت قواها ونهضت متجهة للباب. كانت الساحة فارغة. عبرتها حتى وصلت للبوابة، لم يُوقفها أحد.

خرجت من المبنى وإلى الشارع. كان الوقت صباحًا والشمس ساطعة. توقفت على بُعد عدة خطوات. ونظرت خلفها إلى المبنى الزجاجي اللامع. تأملتته من مكائنها، كان لديها إحساس أنها لن تراه مجددًا.

أعلاه، وقف ظلُّ شخصٍ على طرف سور سطحه في ثبات. ملامحه غير واضحة من هذه المسافة. حدّقت به للحظة ثم التفتت وخطت للأمام، حتى عندما سمعت صوت الارتطام بالأرض، لم تنظر إلى الخلف مجددًا.

# الصفحة الأخيرة

هذا ليس الكتاب الأول ولا الثاني، وأشكُّ في أنه سيكون الأخير. شاهدت العديد من النسخ يتم تدميرها أمامي، لكنني لن أتوقَّف عن الكتابة. قد تكون كل نسخةٍ مختلفة قليلاً عن سابقتها، حيث أضيف بعض الأشياء وأنسى أخرى. لكن الفكرة الرئيسية ما تزال كما هي.

الإلهة تقتل محاربيها. الإلهة تقتل الأبرياء.

لم تنتصر في النهاية. بعد كل هذه السنوات، لم تُسيطر عليَّ بالكامل. ظننتُ ذلك مرات عديدة، واقتربتُ لدرجةٍ مخيفةٍ مرات عديدة. لكن في النهاية، ظلت أصواتهم قوية بداخلي. تحثني على المقاومة والكتابة.

لا أعرف من سيحصل على هذا الكتاب في النهاية أو إن كان سيُصدِّقه أم لا، لكنني سأحرص على أن يخرج للنور حتى آخر أنفاسي، والتي أعتقد أنها تقترب بسرعة؛ فالوحوش التي تركتها الإلهة في رأسي تزداد شراسةً مع مرور كل ثانية.

فإلى من سيحصل على هذا الكتاب ويفكِّ الغازه. اسمي آدم، وأصدقائي هم زين ويوسف، ووالدي كانت سارة. وحُبي كان ندى. أحضرتُ هذا الاختراع إلى العالم، بدأتُ كل هذا، وأتمنى أن تُنهيَه أنت. أنت الآن مُحارب للعدالة والحقيقة... محاربي الأخير.